



عمان تشتعل حبا في الربيع

دة. امتنان الصمادي *

كنت عقدت العزم على أن أجعل افتتاحية هذا العدد السابع والعشرين في إبداع المرأة العربية روائية لاعتقادي بأن خطاب الأديبة الشخصي حول الذات والأسرة والمجتمع يسهم في تكوين هوية الرواية العربية وذلك في ضوء الدراسات التي تحاول إثبات وجود صلة بين الإبداع وبين الشخصية والسلوك منذ مي زيادة وحتى يومنا هذا، خاصة إذا ما انطلقنا من التساؤل الذي استوقف العديد من الكتاب والنقاد، لماذا تكتب المرأة أتكتب لنفسها، أم للتطهير الذاتي، أم ردة فعل على المعاناة الخاصة بها،كما صرحت بذلك بعض الروائيات في مقابلات صحفية أمثال: كوليت خوري وسحر خليفة وحنان الشيخ ورضوى عاشور وسلوى بكر وغيرهن، وهل امتلكت المرأة هوية نفسها بمجرد تحرر جسدها الذي بات أكثر الوسائل تعبيرا ووضوحا في أدب المرأة ؟

ولما طافت النفس حول جنباتها كانت أجواء عمان تستدعي قلمي بعيدا عن جزالة العبارة وعمق المصطلح وفخامة التعبير وتقعير الجملة كما تستدعي أقلام الكثيرين في الاحتفال بمئويتها هذه الأيام، فلا يعقل أن تمر نسمات الربيع مرور عابرا ولا يمكن لتفتق الأزهار إلا أن ينادي البعيد والقريب عبر شميم الياسمين في كل حارة وزقاق، وخاصة في ظل هذا الحراك الثقافي الذي تشهده مراكزها الثقافية وجامعاتها ودارتها ومنتدياتها مؤسساتها المختلفة، فعمان الجبال السبعة يقظة لتحرس مشهد الحياة الجميل الذي لا يغيب عند الكثيرين من الكتاب والأدباء كيف لا وهي ملتقى المؤتمرين وملاذ الشعراء الحالمين ترخي لهم جدائلها فوق الكتفين .

لذا ارتأت أسرة المجلة أن تسهم في بث روح الفرح بقدوم الربيع الذي يفرض نفسه على شرفات عمان وسائر مدننا العزيزة، فكان أن خططت ليكون محور العدد الفني حديث الأزهار بكاميرا الفنان المصور الفوتوغرافي فؤاد حتر حتى وإن كان الموت قد غيب عددا من رموز الأدب العربي وران بثقله على المشهد الأدبي العام منذ رحيل محمود درويش إلى محمد طمليه إلى محمود أمين العالم إلى الطيب صالح، إلا أنه من الواجب فهم هذا الرحيل في ضوء دورة الحياة الطبيعية كما هو الحال في دورة أزهار الربيع التي تتجدد كل عام، ولست مع القائلين إنه بغياب الطيب صالح يصبح باب الرواية العربية ضيقا، وبغياب درويش يغلق آخر معقل من معاقل الشعر العربي، وبغياب طمليه يموت الأدب الساخر، وبغياب محمود أمين العالم يضمحل الفكر التنويري، فهؤلاء جميعا هم أزهار الربيع لونا ورائحة وجمالا ونورا، هكذا كانوا وكان لا بد أن يرحلوا....

ولابد أن يبقى للفرح مكان كالمضحك المبكي، فسعينا أن تكون ندوة العدد مخصصة للأدب الساخر، وغالبنا الفراشات نحو رحيق الأزهار فركضنا شوقا نحو القدس عاصمة الثقافة العربية التي ليس لها على بعد مرمى سوى عمان تدفئها وتربت على كتفيها في عناق وطني وقومي صادق، فجاء حوار العدد مع عبد الله كنعان أمين عام اللجنة الملكية لشؤون القدس، علما أننا سنخصص العدد التاسع والعشرين من المجلة للاحتفاء بالقدس عاصمة الثقافة العربية.

فعمان التي تختبئ بين الجلد وملمس الذكريات تعلن عن فرحها دوما وتدعو مريديها لشرب القهوة عبر شرفات مسارحها ومنتدياتها التي نضجت أنوثتها وصار لصوتها الرخيم صوت يسمع في مشاهد الحراك الثقافي العربي عن ثقة، ويعبر عن جرأة الأديب الأردني بمنجزه والمفكر بفكره أمام تحديات العصر، فأعلنت عمان، بكثافة مشهدها الثقافي، عن انتصارها على الغول القابع في نفوس الباحثين عن الجمال المفرط بين العواصم وسؤال الطبيعة يلح في الظهور ويتجسد في قوة حضور شقائق النعمان التي لم تكن يوما شقائق نيران لأحد بل هي إلف من البنفسج والسوسن ذي الحضور البصري الطاغي الذي لا يقل

عن حضور الياسمين في أنوف العاشقين، من هنا جاء احتفاؤنا بالربيع وبنبتة السوسنة السوداء في لونها المذهل الذي لا يقل سحره عن أي نبتة تستدعي رائحتها في أنف القارئ قبل جمالها المرئي أحيانا .

ولم تكن عمان يوما عشبا مد البصر بل سوسنة لا يحلو لها العيش إلا في قلب الصخر تعتاش على ظلها الرطب ، فلا تتعطر بالصمت ولا بالصخب بل تنمو بتؤدة، وحراكها هادئ يثير العدو ويدهش الغرباء فهي أمٌ في الصبر والحب، تحب أهلها بالقدر الذي يسمح لهم بمعرفة غيرها ثم لا يلبثوا أن يعودوا لها فرحين مستبشرين لأنهم عرفوا أنها لم تلبسهم من حبها يوما ثوب الخداع وزيف الوهم.

وفي ضوء رؤية العديد من الشعراء للعواصم والمدن من حيث جمال الاستدعاء الفني في توظيف حاسة الشم التي يفرضها الياسمن في علاقاتهم بالعواصم ، لنا أن نرى عمان كما كان للشاعر سعدي يوسف أن يرى المدن، فعبر في إحدى قصائده عن علاقته الوجدانية بدمشق وعدن في أجمل صور الطبيعة مستدعيا حاسة الذوق في قوله:

لدمشق
طعم السكر والليمون
أما هنا (عدن)
فالزنجيبل الشراب

وحري بعمان أن تستدعي حاستي السمع والبصر اللتين لا تفتآن تلحان بعلاقتهما المتينة بالفؤاد، فعمان يا سادتي، صوت ناي حنون يسمح للسوسنة بأن تتفلت من عقالها وتعيش في كل حي وزقاق.

---

*رئيسة التحريرالمسؤولة



المقالة الساخرة تلاقي رواجاً لدى طلبة «الأردنية»

"أقلام جديدة" تواجه الكاتبين: الزعبي وغيشان

أدارت الندوة : دة. امتنان الصمادي
أعدها للنشر : إبراهيم السواعير



نظرة عامّة

ما يلفت أنّ طلبةً في الجامعات: الأردنية نموذجاً ما يزالون ينظرون إلى الكتابة الساخرة مادّةً للإضحاك: بين ثنايا المحاضرات، أو للتندّر بين الأصدقاء؛ ولربما غاب عن البال أنّ حفراً عميقاً في الموضوع تتكئ عليه، وتتخذ منه سوطاً ينبّه على قضيّة، أو مهمازاً يحرّك راكداً؛ ولعلّ في تلهّف طالبة في ندوة الأدب الساخر بين الرسالة والتهريج : "ياالله ضَحّكونا!" التي أقامتها مجلة أقلام جديدة في الجامعة، ما يثير أسئلة!

الندوة التي حاورت بها المجلة الكاتبين أحمد حسن الزعبي من جريدة الرأي، ويوسف غيشان من جريدة الدستور، وأدارتها رئيسة تحرير المجلّة د.امتنان الصمادي، في مدرج الكندي، في الجامعة الأردنية/ كلية الآداب، كشف فيها المحاضرون: الباحث د.حسن محادين، ومدير الدائرة الثقافية في "الرأي"حسين نشوان، ،والكاتب نزيه أبو نضال عن أمور، قالت فيها الصمادي إن الندوة الشهرية الرابعة لأقلام جديدة، في رحاب الأردنية، تتناول لوناً أدبيّاً خاصّاً، محيّراً، (مضحكاً، مبكياً)، ويزيد الندوة غنىً أن طلبة الجامعة يحاورون فيها المجرّبين في إبداعاتهم، وقد قَدِما من قلب الحركة الثقافية والصحافية، وتضمّخا بحبر المجتمع الأردني ببساطته وعفويته، وهما كاتبان ساخران جادّان، موجوعان، تفتح لهما جامعة الفكر والأدب والفن، الجامعة الأردنية، جامعة المجتمع المحلّي، أذرعتها برعايتها المشهد الثقافي واتخاذه أجندةً يقوم عليها مثقفون أكاديميون.

وقدّمت الصمادي إطلالةً على المناكفة والشغب وبدايات هذا الأدب القديم الجديد منذ "أخبار الحمقى والمغفلين"، و"حكايات هبنقة"، وشعر أحمد مطر وأحمد فؤاد نجم، وقصّص زكريا تامر، ومسرح الماغوط، وقالت إنّ الكتابة الساخرة في الأردن بدأت بكتابات هاشم السبع منذ الخمسينيات، كما في كتابات القاص الساخر فخري قعوار ومؤنس الرزاز ومحمد طمليه، وأشارت إلى أنّ الأدب الساخر هو ما يهزّ البديهيات الراكدة الجوفاء في تقاليد المجتمع دون المساس بالثوابت، وهو ابن الواقع يعكس جماله وقبحه، وهو معرّي الواقع، وهو الموظّف للمحكيّة وفيه حزن وفرح وبوح وخيبة.

وردَّ الكاتبان على أسئلة الطلبة الذين جلبهم موضوعها- على غير العادة- وسألوا عن دوافع الكتابة، ومداليل اللفظة، والهم المتولّد، والتقنية المتبدّلة، والثبات على الموقف، وتفسير خصوصية أدبهما، وتجدده، واستناده إلى قضيّة، وأنه لم يأت اعتباطاً، أو تجنّياً على أحد.

> "ثقل الحياة وهمّها خلق ما ترطّب به أكبادنا، ونزرع به ابتسامات تحت ضغط الحياة"

من جانبه أكّد نشوان أنّ الأدب الساخر في الأردن ليس جديداً، وترفده "سواليف" الجدّات والمجالس والدواوين والأمثال الشعبية والحكايات، وأنّ ثقل الحياة وهمّها خلق ما نرطّب به أكبادنا، ونزرع به ابتسامات تحت ضغط الحياة التي فيها الألم هو الطبيعيّ والفرح هو الاستثناء.

واستفاد نشوان من اشتغاله بالصحافة في تشبيك الموضوعات بطريقة المفارقة، وهو ما أعطى ورقته قبولاً، وقد نأت عن السرد التاريخي لنشوء الأدب والكتابة الساخرين وروّادهما؛ يدعم ذلك تشريحه لمفردات بعينها استخدمها الزعبي وغيشان، من مثل: "سواليف"، و "المعوط" ، و "جهد بلا" ، و "اللحلحة"، و "قو الغانمين"، و "على حطّة إيدك" ، و "بلا زغرة"، و "احفظ هاللطش"، و "واحد فاز"، و"أطفال تيك أوي".

وردّ نشوان المفردة "العنوان" إلى ما يرهص به صاحبها الزعبي: مثلاً، أو حكمةً، أو حكايةً، وانتقل إلى "شغب" غيشان وإعلانه الحرب، والمفارقة المستعارة

المدروسة: "لماذا تركت الحمار وحيداً؟!"، و"مؤخرة ابن خلدون"، و"أولاد جارتنا"، وغير ذلك الكثير.

عناوين يوسف المستفزّة كانت مادةً أطنب فيها نشوان، والتحام الكاتبين بالناس جاء في ورقته من التزامهما بما ينفع العامّة، ورصد نشوان تقنياتهما في نوافذ الأدب والفن: حكايةً، وقصّةً، ومسرحاً، وسينما، ودراما مُتَصوّرة، وتمثّل بمقالة الزعبي "قحّة اقتصاديّة"، وحلل ما رمى إليه الكاتب.ولم ينس أن يؤكّد جديّة الكاتب الساخر وانشغال همّه بالقضيّة- موضوع الكتابة- وكلّ ذلك يصدر عن موقف تتولد منه أسئلة.

حملت ورقة الباحث د.حسين محادين عنوان "ثقافتنا والأدب الساخر في الأردن: محليّة القسمات، إنسانيّة المعنى/ قراءة من منظور علم اجتماع الأدب"، وجاء فيها إهداؤه إلى المبدع الحاضر الغائب محمد طمليه، وشرحُه اللغة ظاهرةً اجتماعيّة، وسؤاله: هل ثمّة أوجه أخرى للسخرية أو المفارقة تكاملاً مع خطاباتنا المكتوبة عبر المقالات اليوميّة صحافيّاً وإلكترونيّاً في مجتمعنا الأردني؟ وعدّ مصادر من مثل: دبابيس اللغة البكر في زمن تجهّم الحياةِ والأرواح والصحراء والجبال، فأضحك من أضحك وأبكى من أبكى، ومع ذلك فما يزال من يردد: "اللهم اكفنا شرّ هالضحكة!".

وبيّن محادين أن هؤلاء الكتاب لامعون، بل مبدعون بعليّون، وليسوا عضويين على حد تعبير غرامشي، وتناول الوعي التنويري، وديكتاتورية الحياة الثقافية المناوئة للتعدد: ثنائيةً مدميةً في الموروث السياسي المؤذن بالناس: "حط راسك بين الروس، وقول يا قطّاع الروس".



وانتقل محادين إلى المصدر السياسي وجل العاملين في الحقل الثقافي، وانحسار المشهد الكتابي الساخر أو اتساع آفاقه بسبب من الممنوح من الحريّة اللازمة. وذكر المصدر الثالث: الأهل وخزانتهم التي لا تنفد في إثراء كتابنا الساخرين.

وسار نزيه أبو نضال يشرح تأخر ظهور الكتابة الساخرة في الأردن قياساً باليوم، وتناول البدايات في الثقافتين: الشفاهية والمكتوبة، والطرائف العربية: "أخبار الحمقى والمغفلين"، و"البخلاء"، و"نوادر جحا وأبي نواس. وتمثّل أبو نضال بخفّة الظل، وسرعة البديهة، والتعليق الساخر، والقدرة على التأليف والتوليف والسرد، وعاد إلى محمد طمليه: كاتباً ساخراً، وهو ما خالفه فيه الزميل نشوان في أنّ طمليه كان كاتبا ينهج منهجا عبثياً، وأن العبث ينطوي على سخرية.

أبو نضال عدّ من الساخرين كتابةً: يوسف غيشان، أحمد أبو خليل، أحمد الزعبي، كامل نصيرات، إبراهيم جابر، موسى حوامدة، طلعت شناعة، رسمي أبو علي، فؤاد أبو حجلة، باسل طلوزي، ماجد خواجا، عبد الهادي راجي المجالي، سامي الزبيدي، ومحمد الشواقفة في المسرح، وماجد المجالي الشاعر.

الصمادي: المضحك المبكي

تأتي ندوتنا الرابعة "الأدب الساخر بين التهريج والرسالة" بعد ثلاث ندوات ناجحة؛ توخّينا بها تعريف طلبتنا بمبدعينا، وتأكيد حضورهم، وهو دورٌ لا يجيء من غير تصميم مسبق على أنّ هذا الجيل هو جيلٌ مشارك في الحدث السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي، ولا بدّ من إعطائه





الفرصة للمحاورة والاقتناع بما يحيط.

وفي ندواتنا المقبلة نأمل وفريق المجلّة أن نشتغل على مواضيع حواريّة تثمر عن فهم الطالب الجامعي للمسؤولية التي تنتظره: أديباً كان أم مفكراً.

فأهلاً وسهلاً بكم في رحاب الجامعة الأردنية حيث مجالس العلم والأدب ومجالس الفكر والثقافة، حيث التنافس الشريف بين الطلبة الراغبين الطامحين الحالمين بوطن أجمل وواقع أقلّ قسوة.

واليوم نتناول لونا أدبياً خاصاً، مضحكاً مُبكياً، ومُحيّراً، موضوعاً لحوار الكاتبين المميزين: أحمد حسن الزعبي ويوسف غيشان، ويشاركنا في حوارنا الكاتبين الضيوف: أستاذ علم الاجتماع في جامعة مؤتة الدكتور حسين محادين المهتمّ بالكتابة الساخرة المُؤلِّف فيها، والناقد نزيه أبو نضال وهو من أهم المتابعين للحركة الأدبية الأردنية، وله صلة وثيقة بالمشهد الثقافي الأردني، وخاصة ما يغني به من متابعات تتعلق بأدب المرأة الأردنية "الأدب النسوي"، ودوره الريادي في تحرير مجلة تايكي الأدبية الأردنية الصادرة عن أمانة عمان الكبرى، والكاتب التشكيلي مدير الدائرة الثقافية بصحيفة الرأي حسين نشوان حيث الكلمة العميقة الرزينة، والحضور القويّ بمواده الفكرية والثقافية والأدبية المبدعة.

> "ندوات المجلّة الحوارية تتوخى فهم الطالب الجامعي للمسؤولية التي تنتظره: أديباً كان أم مفكَراً".

أما ضيفانا العزيزان القادمان من قلب الحركة الثقافية والصحافية، المضمخان بحبر المجتمع الأردني البسيط المسالم الذي لا يعرف غير الحب، الساخرانِ الجادّانِ فهما أحمد حسن الزعبي، كاتب "سواليف" الرأي الذي صدرت له مجوعتان: سواليف والمعوط . ويوسف غيشان الذي لا يهدأ شَغَبُه في جريدة الدستور، وما نزال نقرأ له مجموعتيه: "أولاد جارتنا" و "لماذا تركت الحمار وحيداً".

أهلا وسهلا بهما أديبين موجعين، وأهلاً بالأساتذة الجادين في جامعة الأردنيين التي تفتح أبوابها للمجتمع المحلي رغبة في تعزيز مختلف أشكال التواصل الفكري والثقافي

والتعليمي، وأنا على يقين أن هذا الحضور الذي آثر متابعة هذا اللقاء على كل مجريات يومه الجامعي الحافل هو حضور جادٌّ، يعلم ما يريد.

وقبل أن أتيح الفرصة لضيوفنا الكرام أرجو أن أطرح بعض الجوانب المتعلقة بفن الأدب الساخر ؛ فانطلاقا من عناوين الأستاذين الكريمين نلمس حالة من المناكفة والشغب تستدعي السؤال: ما الذي يرمي إليه هذا الأدب القديم الجديد، منذ "أخبار الحمقى والمغفلين" وحكايات "هبنقة"، وغيرها في تراثنا العربي الغني.

فهذا اللون هو صفة تقترن بلون من ألوان الأدب، في الشعر عند أحمد مطر وأحمد فؤاد نجم، وفي القصّة القصيرة عند زكريا تامر، وفي المسرحية عند محمد الماغوط.

والكتابة الساخرة في الأردن ذات عمق بدأت بكتابات هاشم السبع في الخمسينيات واستمرت مع القاص الساخر فخري قعوار ومؤنس الرزاز ومحمد طمليه، والآن تتوج بضيفينا الكريمين بالإضافة إلى عبد الهادي راجي المجالي وآخرين.

أدبٌ يهز البديهيات الراكدة الجوفاء في تقاليد المجتمع دون المساس بالثوابت، وهو ابن الواقع يعكسه بجماله وقبحه، وقد وصفه علماء النفس بأدب مانع صواعق الانهيار النفسي، أدب المضحك المبكي المشغول بوخز الإبرة لا بخيطها، الملخص حياة الأردنيين بعفوية، المنتقد الواقع المعيش، الذي يعريه بلغة موجزة رامزة، فيقدم نمطاً من أنماط المقاربة بين الخيبة والأمل، الحزن والفرح، وهو شكل من أشكال التمرد على هذا

> ".. مع تعاظم استحقاقات الأوضاع الاقتصادية والسياسية أخذت ظاهرة الكتابة الساخرة تتسع وتزداد"

الواقع بسلاسة معذبة لا عذبة، الظاهر في النص الساخر بريء أما الباطن فأشد قسوة وخطورة.

هو فن أدبي ذو أصول فنية وعناصر تركيبية تميزه عن غيره يلتزم ببنية سردية متدرجة في تطور الأحداث حتى تصل إلى الخاتمة الأكثر أهمية ذات البنية المفارقة المدهشة والمثيرة التي تستدعي نفسها برفع نبرة التوتر. نبرة تعتمد التلاعب اللفظي والتركيب الجملي المستفيد من سواليف الموروث الشعبي، بقصد تكسير جميع الحواجز اللغوية والأدبية وإعادة بنائها بطريقة خاصة. أدب المصارحة أدب الصوت الداخلي الكامن.

أبو نضال: استحقاقات الكتابة

ربما تأخر ظهور الكتابة الساخرة في الأردن، على النحو الواسع الذي نشهده الآن، إلى أواخر الألفية الثانية، ولكن بداياتها المتناثرة والمتباعدة موجودة بالطبع في الثقافتين الشفاهية، والمكتوبة، وهي قبل ذلك موجودة في كتب الطرائف العربية القديمة، ومنها كتاب "أخبار الحمقى والمغفلين" لابن الجوزي و"البخلاء" للجاحظ عن قصص البخلاء من أهل مرو. وهناك دائما مهرجو السلاطين ونوادر الأدباء كأبي نوّاس، ثم جحا الحاضر عبر ثقافات المنطقة.

في الأردن كما في غيره من البلاد يبرز أفراد يتميزون بخفة الظل وسرعة البديهة والتعليق الساخر والقدرة على تأليف النكات وسردها، والتقليد الذي يثير ضحك الآخرين، بل إن قرى وبلدات بعينها عرفت بقدرتها على توليد النكت والسخرية، سواء على نفسها أو على غيرها.

أما الكتابة الساخرة كظاهرة فقد ارتبط حضورها اليومي المتصل بمحمد طمليه، وهذا ما أكده الكاتب الساخر يوسف غيشان في ندوة "الكتابة الساخرة" قبل عامين، وقد قال: "منذ زاويته (شاهد عيان) في الدستور 1983 ظهر مصطلح "كاتب ساخر"، وحمله طمليه وحيداً حتى بداية التسعينيات، ومن تحت عباءته ظهر الكتاب الساخرون.. كنت أنا أحدهم". ويضيف غيشان " إن طمليه ابتكر أسلوبا عبقرياً في التلاعب بالكلمات والجمل، لم يستطع أيٌّ منا تقليده أو الاقتراب منه".

وقد أجمع كل المعنيين على ريادة طمليه، كما أجمعوا على فرادة صوته وتميزه الذي لا يجاريه فيه أحد. ولكن لدى متابعتنا لكتابات طمليه الساخرة نلحظ أن هذه التجربة، رغم فرادتها وتميزها، هي جزءٌ من سياق ثقافي عام في الأردن، وهذا ما يمنحها شرعية الولادة الطبيعية.. فمع تعاظم استحقاقات الأوضاع الاقتصادية والسياسية أخذت ظاهرة الكتابة الساخرة تتسع وتزداد، وأخذت مجموعة من الأسماء تفرض حضورها اليومي أو شبه اليومي على صحافتنا اليومية والأسبوعية فصرنا نقرأ كثيراً من الساخرين على تباين التقنيات والمواقف والاستمرارية: يوسف غيشان، أحمد أبو خليل ، أحمد الزعبي، كامل نصيرات، إبراهيم جابر، موسى حوامدة، طلعت شناعة، رسمي أبو علي، فؤاد أبو حجلة، باسل طلوزي، ماجد خواجا، عبد الهادي المجالي، سامي الزبيدي وهناك محمد الشواقفة في المسرح وماجد المجالي في الشعر. ورباعيات "سليمان عويس" الشعبية وحجاج في الكاريكاتير. وقبل هؤلاء كتابات ساخرة متباعدة لفخري قعوار ولطفي ملحس ومؤنس الرزاز وحسني



عايش..الخ.. وقبلهم جميعا بالطبع الشاعر عرار.

ووفـق قـاعـدة شـر البلية مـا يضحك.. يبدو أنه كلما تعاظم الهم العام تعاظمت الكتابة الساخرة، وتعاظمت أعداد الكتاب الساخرين، هذا رغم أن الكتابة الساخرة قطع نادر في العالم كله وحتى في مصر، أم النكتة والفرفشة، فثمة عدد محدود من الكتاب الساخرين... فما بالك بالأردن الذي يبدو فيه عكس هذه القاعدة، خاصة وهو المتهم بأنه (أبو كشرة)، و"وجهه ما بضحك للرغيف السخن"، الذي تتردد في جنباته الغاضبة أقوال شائعة ترتقي إلى المسلمات من نوع: "الله ينجينا من شر هالضحك"، و"شر البلية ما يضحك"، أو "الضحك بقلل الهيبة"..

لقد سبق لي أن رصدت ظاهرة الكتابة الساخرة في الأردن فوجدت على مستوى احتراف الكتابة الساخرة اليومية أن العدد الفعلي لا يكاد يتجاوز أصابع اليد الواحدة أو اليدين، رغم العدد الكبير من الأسماء التي أوردناها، وأن معظم كتابنا الساخرين شبه المحترفين الذين ذكرناهم هم كتاب أعمدة ومقالات وليسوا أدباء ساخرين. بل إن معظمهم لا يمتلك إنجازات أدبية تذكر، نستثني هنا الزعبي وإبراهيم جابر وغيشان.

وعلى وجه العموم يمكن القول بوجود فرعين أساسيين للكتابة الساخرة: يقف على رأس الأول يوسف غيشان ومعه عبد الهادي المجالي وكامل نصيرات.. فيما يقف على رأس الثاني أحمد الزعبي وأحمد أبو خليل.

في الأول يبدو أن مرجعية هذه المدرسة



في المشهد أو الحكاية الشعبية التراثية، وربما في واقعة ما حديثة تستدرج الكتابة الساخرة. ومن هنا نجد على الدوام أسماء وشخصيات وأماكن محسوسة وحوادث يمكن أن تروى بلغة ساخرة كحكاية... ولنتذكر فقط كم من كتابات يوسف ترتبط بمأدبا وحكاياتها وطفولته فيها، وكم من كتابات عبد الهادي تتصل بالكرك وأيام الدراسة فيها، وكم تحضر الأغوار في كتابات كامل نصيرات، وعلى العموم فإن هؤلاء لا يهتمون إلا نادراً بلغة المقال الساخر أو بصياغته فنياً، رغم أن يوسف هو بالأساس شاعر متميّز.

أما المدرسة الثانية فهي فيما أرى تنحت موضوعاتها وعناصر سخريتها من اللغة، فنجد أنّ المفردة القاموسية الشعبية هي الوعاء الحامل للمخزون الاجتماعي بتقاليده وحكاياته، ولكن الكتابة هنا تستولد خطابها من متابعة المفردة اللغوية بتجلياتها المتعددة والمتغيرة.

ولكن رغم تباين المرجعيات فكلتا المدرستين تغرف حكماً وقطعاً من التراث الشعبي ومن موجوداته ومكوناته الاجتماعية... ولكن خارج هذين الاتجاهين هناك كتابة طمليه الساخرة التي تنتمي إلى عالم الإبداع الأدبي بامتياز، فهي كما وصفتها أكثر من مرة نسيج وحدها فقد وجد صاحبها سر الخلطة العجيبة التي تحيل تعليقاً يومياً صغيراً في صفحة جريدة إلى نص إبداعي مدهش ومتوفر على كافة شروط الإبداع الأدبي، بانزياحاته وكمائنه الفنية المدهشة، وصياغاته الأسلوبية، وبكثافته الشعرية المحتشدة بالإيحاءات والصور والترميزات. ولعل أحمد الزعبي أكثر من يمتلك عناصر تقاطع إبداعية مع تجربة طمليه المتفردة.

ومن البديهي من وجهة نظري القول إن الكتابة الساخرة لا يمكن أن تتغرب أو تذهب إلى متاهات النخب المثقفة، فهي من الشعب وبصوته وإليه، وبالتالي فكل كتابة ساخرة حقيقية هي كتابة شعبية ملتزمة تتصل بوشائج وثيقة بقضايا الناس وهمومهم الاجتماعية.

> "كُتابنا الساخرون دبابيس اللغة البكر في زمن تجهّم الحياةِ والأرواح والصحراء والجبال"

محادين: مغامرة الضحك

لا شكّ أنّ اللغة ظاهرة اجتماعيّة؛ فلولا اجتماع الأفراد وحاجتهم إلى التعاون والتفاهم وتبادل الأفكار والتعبير عما يجول بالخواطر من معانٍ وحركات ما وُجدت لغة ولا كان التعبير.

ولعلّ السؤال الواخز هنا: هل ثمّة أوجه أخرى للسخرية/ المفارقة تكاملاً مع خطاباتنا المكتوبة عبر المقالات اليومية: صحافياً وإلكترونياً في مجتمعنا الأردني؟.. وفي هذا السياق أقول: نعم.

ولو أردت أن أحدد مصادر الخطاب الساخر أو الفارق عن أطروحات العلم في مجتمعنا الأردني فإنّ المقام يطول والحديث يتشعب، ويكفي أن أشير إلى هذه الثّلة من كُتّابنا الساخرين التي رطّبت بتألّق لافت ما تيبّس وكسد من معانينا، وأقول إن هؤلاء كتاب متمردون أشبه بدبابيس اللغة البكر في زمن تجهُّم حياتنا وأرواحنا، وهؤلاء كثيراً ما اعترفوا باقترافهم مغامرة الإضحاك والإبكاء المكتوب، وهم لم ينساقوا أو ينافقوا معنا

حينما نفصح عادةً عن عقدة ذنب ما بقولنا: "الله يكفينا شرّ هالضّحكة"، وتحديداً بُعيد اقترافنا مثل هذا الذنب المضحك أيضاً، في محاولة جادّة منا لاسترجاع ما أنفقناه من ضحك نادر أصلاً في هذا القحط العاطفي الذي نعيشه وأسميناه هزلاً "العمر"!

ولقد جاهر هؤلاء الكتاب اللامعون، وبصدق المبدعين البعليين ولا أقول العضويين على حد تعبير "غرامشي"، جاهروا بأنهم بالضد من السلوك الشعبي السائد الذي بقي في حالة ترصّد للضحك والمرأة في آن.

هؤلاء المبدعون يعملون بوعي تنويري مُضاد، ويضعون في حسابهم ما يتردد: "إذا انجنوا ربعك عقلك ما بنفعك"، و"حط هالرّاس بين الروس وقول يا قطّاع الروس"!

نشوان: حقل ألغام

الكتابة الساخرة تتعدى الإضحاك إلى المغزى وتوصيل الرسالة، وإذا كنا نمرّ عليها فرحين بالطرفة أو المفارقة فإنّ الأهم هو ماذا بعد ذلك، وما الرسالة التي تسيطر على ذهن الكاتب فيوصلها بالكتابة الساخرة؛ ونسأل: هل يستدرجنا الكاتب الساخر لنتورط معه؛ فنشاركه؟!.. وما الثقافة التي ينبغي أن يتوافر عليها لتنجح مهمته؟ وكيف يمكنه أن يطوّع كلّ معارفه مهاداً للفكرة؟!

وأقول: الكاتب الساخر حينما يكتب للناس بكلّيتهم فإنه حتماً يكون في أشدّ حالات اليقظة، ولا بدّ أن يكون متيقناً مما يكتب، حذراً، قلقاً، متحفّزاً؛ لأن الكاتب الساخر ببساطة أشبه بالواقف في خندق مواجهة، أو المار في حقل يغصّ بالألغام.

ولكن، مهلاً: إنَّ هذه اليقظة لا تجيء هكذا، فصاحبها يتيقظ لأنه يحس بمسؤوليته نحو المجتمع بكلّ قضاياه، وهو لا يخاطب شريحة معيّنة، بل دائماً ما يكون على تماس مع قارئه المثقف وغير المثقف.



وأجزم أن ضيفينا لا يستطيعان أن يستغنيا يوماً عن صحيفة أو كتاب أو خبر مهما كان نوعه، وهما إذ يمثلان الكتابة الساخرة عندنا فإنّ وعياً تسنده الثقافة المستمرة ومتابعة أبسط الأمور وأعقدها؛ وهما مُكَلّفانِ من ضميرهما بمتابعة أحوال الناس وتلمّس حاجاتهم وما تمور به صدورهم؛ فينقلان كلّ ذلك بتقنيات نسميها "الكتابة الساخرة" تلاقي رواجاً وفرحاً من متلقيها، وقد يُطوّران ذلك إلى أدب ساخر، فيخضع نصّهما شروطه أو يحاول الاقتراب ما أمكن من شروط الأدب الأساسية.

الزعبي: الاحتيال على المعنى

الحضور: كيف يوزّع الكاتب الزعبي مصادر مقالته اليوميّة الساخرة؟

الزعبي: أواجه تحديات على مستويي: الفكرة والأسلوب؛ وأظلّ مهجوساً بما أقدّمه صبيحة كلّ يوم في "الرأي"، وأوزّع مصادر مقالتي بنسبة 50 بالمئة للموقف أو الحدث اليومي، و 25 بالمئة للحكاية الشعبية وما تجود به صدور الجدّات، والباقي من مخزوني الخاص.

الحضور: كثيراً ما يتم التمييز بين أصحاب المهنة الواحدة: الكتابة الساخرة مثالاً!

الزعبي: الواقع أنني أشترط التجدّد، والإخلاص للكتابة بـ"إنسانيّتها"، وأعتقد أنّ المقارنات بين أصحاب المهنة الواحدة في هذا النوع من الكتابة مسألة يمكن الاستغناء عنها؛ لطبيعة توجّه الكاتب وجمهوره وما يشغله لتلبية حاجة الصحيفة التي لا تنتهي، ومن هذا فإنّ ظلماً للقارئ والكاتب يكون مصدره: "هذا أفضل من ذاك، وذاك أشهر من هذا".

الحضور: تفرحنا "لامباشرتك الكتابة"؛ فنقرأ الحكاية ونسعد بالمضمون!

الزعبي: أحاول أن أنأى عن المباشرة في الكتابة، منطلقاً من أنّ الاحتيال على المعنى، وجرّ المتلقي معه إلى حيث مغارة الفكرة أمرٌ يجب أن يتمثّله كلّ كاتب ساخر، وأبرر الاستعارة والتوريات، وأسقط في ما أكتبه، وأعترف بالمفارقة انطلاقاً من أن تقنيات الكتابة الساخرة كثيراً ما تتبدّل؛ فلم يعد توصيف الفريق الوزاري بفريق كرة القدم نافعاً؛ لسهولته.

الحضور: أين الكاتب الزعبي بين النخبة والعامّة؟!

الزعبي: لا أتقصّد من الناس "النخبة"، كما لا يروق لي أن "أستعلي" على قرّائي بحجب الكتابة إلا لفئة بعينها، وعندي أنّ الاتكاء على "الأدب" كثيراً ما يفيد، وأدلل بالراحل طمّليه الذي كان يطبخ مادته بالأدب الرفيع، ويقول إنّ "الحدوتة" تفيده ويوصّل بها فكرته.

الحضور: أيّهما يدوم: الأدب الساخر أم الكتابة الساخرة؟!

الزعبي: الأدب الساخر يدوم طويلاً؛ في حين أن الكتابة الساخرة في الصحف تتقادم بمحرقة "المواد"، ويمكنني أن أسوق "تشيخوف" مثالاً؛ كما لا يخفى عليكم أنّ كُتاباً أدباء ما تزال آثارهم ماثلةً في المؤلّفات، ولهذا فقد استصفيت من مقالاتي ما يدوم في "المعوط"، عنونتها بكتابات ساخرة، تتناول المسحوق في السياسة والوظيفة والعيش الكريم.

الحضور: أيّها يستهويك في الكتابة: الموضوع السياسي أم الاقتصادي أم الاجتماعي؟!

الزعبي: لا أفصل بين قضايا المجتمع: السياسيّ منها أو الاقتصاديّ أو الاجتماعي؛ فكلّها لديّ سواء، ولا تشغل بالي قضية دون أختها؛ فما يجري يشكل مرتكزاً أكتب به، بأولويات معيّنة تمس الناس؛ وأنا أسميه

"الخبر الأبرز" ومثال ذلك موضوع "زيادات النواب" مؤخّراً، ومن هذا فإنّ أولويّةً أتتبع بها ما يكون، ودعوني أصارحكم أنني أعترف بالمواضيع من الدرجة الأولى والثانية أو الثالثة.

الحضور: كيف يختار الزعبي عنوانه الحاضر معه دائماً؟!

الزعبي: دائماً أقول إنّ العنوان يشكّل "إصبعاً سادساً في يد الكاتب"، أما الثقافة فشرطٌ لازم؛ أتقوّى به وأشدّ به أزر مادّتي، ولكن ليس إلى درجة الاحتراف الكامل في السياسة أو الاقتصاد، ولكن تكفي معلومة يكون مصدرها أكاديمي أو كتاب عابر، أو خبر في صحيفة، أو قصة متوارثة.

الحضور: هل تفضّل اللهجة المحكيّة، وإلى أيّ مدىً تسمح بها في كتاباتك؟!

الزعبي: أزجّ ببعضها في مقالي، وهي ليست هاجسي؛ فربّما دلّ إيحاؤها، ولكن اتّباعها سطوراً وجملاً يضعف المقال، وربما يجعل من صاحبها مجرّد "حكّاء" لا هدف من كتاباته، أو "ردّاح"؛ وتحديداً إن هو قذف بما هو نابٍ من اللفظ، وأقول: بيئاتنا



"الحاراتيّة" بيئة كريمة معطاءة بشعبيتها، ولكنّ "التهريج" حتماً مطرودٌ صاحبه من التصنيف كاتباً ساخراً.

الحضور: كثيراً ما ينال كتّاب ساخرون من تخصصاتٍ حفرت وراكمت، مادّةً للإضحاك؟!

الزعبي: يمكن أن أردّ ذلك إلى ظاهرة السعي للتعليقات ولفت النظر بما هو ممنوع؛ ولا يؤدّي إلى نتيجة. وأقول: نحن الكتاب الساخرين أشجع الجبناء وأجبن الشجعان، ونحتاج نفساً طويلاً، ومتابعةً وتمرّساً.

غيشان: شرارة الحريق

الحضور: كيف يختار الكاتب غيشان مواضيعه؟!

غيشان: المواضيع مطروحةً على قارعة الطريق، ولا عناء في الوصول إليها، وقد أجدها في "صحن الخبز"، أو على "الحائط"، والمهم أن " تعطني عين القارئ لا موضوعاً"، والكاتب الساخر هو من ينظر بعين متلقيه.

الحضور: أين يكون غيشان بين التقرير في الكتابة والتشويق؟!

غيشان: الكتابة الساخرة عندي أسلوب، يبتعد عن التقرير إلى الجذب والتشويق، وألفتكم إلى هذا الخليط من السخرية والطرافة والاستخدام الجديد للغة، وذلك هو ما يميّز كاتباً عن سواه؛ ويمكنني أن أشبّه ذلك بالمطابخ التي تميّزها نكهاتها معلومة النّسب.

الحضور: أين أنت من كتابة الأدب؟!

غيشان: ليس كلّ ما أكتبه أدباً؛ فالأدب أكثر رقيّاً، والكتاب الساخرون يشتبكون مع الحدث يومياً، وربّما جوّدوا مما بين أيديهم في كتاب.

الحضور: كيف تفصل بين السياسي والاقتصادي والاجتماعي في الكتابة الساخرة؟!

غيشان: ذلك أمرٌ عسير؛ فأنا منذورٌ لكل ذلك، ويكفي أن يؤثّر القرار السياسي في الاقتصادي والاجتماعي، أما "القومي" فلا نتنصّل منه؛ بوصف الأردنيين عروبيين وحدويين "قومجيين" بطبيعتهم، يتأثرون بالمحيط، ويستجيبون لقضاياه.

الحضور: كيف تستلّ عناوين المادة الساخرة؟!

غيشان: في "العنوان" لا أمتلك ترف التفكير، وتكفي الشرارة ليندلع الحريق. والجمهور حاكمٌ على كتابات الساخر، فهو منهم ويمكن أن يخطئ، وإذا أدرك الساخر أولويات قارئه نجح، ويستلزم هذا تقنيةً في بثّ الرسالة: آخر الموضوع أو بين ثناياه.

الحضور: يأخذ عليك من لا يعرفك أنك تتسابق إلى العناوين الجاذبة؛ ويكفي "لماذا تركت الحمار وحيداً"، و"مؤخرة ابن خلدون"!

غيشان: لا أتسابق مع غيري إلى عنوان الكتاب اعتباطاً أو لأضحك الآخرين، وإنما أصدر عن معرفة بالمراد، فأنا خرجت للصحافة الساخرة من جلباب الشعر والأدب ودرست الفلسفة؛ وأعلم أن الأحوال المتأخرة بعد ابن خلدون تتباين مع السالفة؛ فأسميت كتابي "مؤخرة ابن خلدون" واعترفت فيه بأن الأحوال العربية مختلفة كليّاً عما أراده، أما "الأعمال الهاملة" فسببها أنني أرى الأعمال للناس لا لي؛ انطلاقاً من أنّ "الهاملة" التي لا راعي لها كما أعلم، وهكذا قصدت من "الحمار"، واعياً لما أراده درويش في إسقاطاته ومداليله العميقة.

أما "برج التيس"، و"أولاد جارتنا"، و"شغب"، و"يا مدارس يا مدارس"، فلها ما يبررها بالتأكيد.



قحّة اقتصادية

أحمد حسن الزعبي

اضطجع على يمينه.. فور قيام المذيعة بالترحيب بأحد الخبراء الاقتصاديين الكبار، والبدء بسؤاله عن أسباب الأزمة الاقتصادية العالمية،ومدى نجاح خطة أوباما في التخفيف من هذه الأزمة..ونتيجة هذه الأسئلة الطويلة والثقيلة التي يعجز "أوباما" نفسه عن الإجابة عنها ، مد أبو يحيى رجليه على طول الفرشة وكأنه "أرخى" اهتمامه تماماً ، أو أنه في طريقه "للفسحلة" الفكرية..

تنحنح الضيف كعادة المحللين الكبار وشكر المذيعة على الاستضافة ثم قال: "في الحقيقة.." ...عندها أشعل أبو يحيى سيجارة على عجل ثم "طجّ" الولاّعة على ظهر "باكيت" السجائر غضباً، متسائلاً بينه وبين نفسه لماذا يمهّد الاقتصاديون والساسة في كلامهم بعبارة "في الحقيقة" وهم أبعد الناس عنها؟؟..ثم سرح قليلاً بكلام المحلل، وبالسرد التاريخي لانهيار الاقتصاد وعلاقة ذلك بتسهيلات العقار الأمريكي وعلاقة ذلك بسياسة الجمهوريين..جازماً هذا الاقتصادي الكبير أنه كان بالإمكان تلافي الأزمة لو تمت استشارة اقتصاديين أكفاء "شرواه".

وعندما سألت المذيعة الضيف عن تأثير الأزمة العالمية على الاقتصاد المحلّي.. وبدأ الضيف بهزّ رأسه نافياً.. ضبط أبو يحيى التلفاز على وضعية "صامته"..ثم التفت إلى أم يحيى وهي تقوم "بتزييت" الصوبة سائلاً: أبو يحيى: هسّع "القحّة" عادة قديش بتقعد!.

أم يحيى: إذا بدون دواء أسبوع ، وإذا بدوا عشرة أيام...لويش بتسأل؟

أبو يحيى: شايفه هاظ الزلمة اللي بحكي بالتلفزيون؟؟!!!! أم يحيى : ماله؟

أبو يحيى: حكيه زي دوا "القحّة"، أخذت فيه ولا ما أخذت فيه، "الأزمة" بتروح لحالها.

ثقالة دم

يوسف غيشان

بعد الفحوصات السريرية والمخبرية والإشعاعية والصوتية ، تبين بأثر قطعي وحازم وعلمي بأني ثقيل دم عالأخير. وأن سخرياتي وضحكاتي وقهقهاتي وهمزاتي ولمزاتي ما هي إلا محاولات بائسة ويائسة وفاشلة للتغطية والتمويه على ثقالة دمي المفرطة.

إذ بعد فحوصات مخبرية أجرتها المدام على دمي، تبعتها العديد من الصور والمراجعات، تبين أن دمي مفرط الثقل إذ تبلغ قوته أو كثافته أو لزوجته (لا أعرف بالتحديد) 20، وهي أعلى بأربع درجات من المعدل، كما تبين أيضاً أن الدهنيات عندي تزيد بثلاثة أضعاف عن أعلى معدل، مما رفع من درجة ثقالة الدم إلى مستويات تكاد تقترب من حالة الصلابة ، وليس اللزوجة فحسب.... المعنى أني على أهبة الجلطة في أي لحظة.



لذلك أرجو ممن له (طلابة) عندي أن يستعجل للحصول عليها، وإلا راحت عليه للأبد ، أما من أريد منه شيئا، فليعده لي عالسريع أحسن له، وإلا سأظهر له شبحا مزعجا بين الحين والآخر ..... كما أني على استعداد أن أحمل معي المعونات العينية والنقدية ممن يريد إرسالها إلى الأحباب والأصحاب في العالم الآخر، ولا بأس بإرسال الكونديشينات وآلات صنع البوظة والمايوهات والكريمات الواقية ..إذ إن المكان الذي سأذهب إليه حار جدا.

أعود إلى السخرية، لأقول إني حالة تستحق الدراسة في مجال الكتابة الساخرة، إذ رغم أني أحد الكتاب الساخرين الناجحين في الأردن ، إلا أني أثقل مواطن

أردني دماً بلا منازع (بل محتضر).
بالمناسبة أعفي الأصدقاء والأحباب من مهمة المشاركة في سواليف العزاء والتأبين وخلافه ، فلم أكن ملتزماً بها كثيرا تجاه الأصدقاء، وأدعوهم - إن شاءوا - إلى التجمع على قبري بعد أشهر ومعهم (الكرستا) ، ليتسامروا معي كأني لم أمت بعد، كما حصل مع (كانكان العوام الذي مات مرتين) في قصة جورج أمادو الرائعة ...إن تحول القصة إلى حقيقة واقعة قمة السخرية ..أن تحول الحلم إلى واقع، وتجعل الواقع كالحلم... أي أن تخربط الأشياء ببعضها .. هذه قمة السخرية.
بالمناسبة أيضاً، سوف أشارك اليوم مع زميلي أحمد الزعبي، وعدد من السادة النقاد، في ندوة حول الكتابة الساخرة في الجامعة الأردنية- كلية الآداب- مدرج الكندي، الساعة 12.30 اثنعش ونص ظهراً، بدعوة من مجلة أقلام جديدة.....وأدعو من يريد أن يقدم التعازي برحيلي، أن يتفضل ويقدمها لي شخصياً، أو أن يلقي النظرة الأخيرة على جناب حضرتي، ولو على سبيل الاحتياط.





شعر

صمتي ...

حازم أمين *

قال لي صديق أتعبت خاطري ...
و صمتك أعياني ...
آه ... و أعياني ...!!!!
تؤرقني دموع قديمة ...
حملت فرحا و ابتساما ...
و طفولة حب ...
حملت أهلاً لي ومضت ...!!!
عزفت سنين العمر على أوتار الحزن يوما
فيوما ...
صارت حينها رمادا مفرداتي ...
صديقي ...
أنصت قليلا ...
أتسمع صوت التهام القهر لقلبي ...
أتسمع نحيب الضلوع ...
يا صديقي ذاك صمتي ..!!!!

جريح ...

في طريقي جرح يفضي لجرح قديم
و هذا الأخير يفضي لآخر ...
و في نهاية العمر قلب و دمعة ..
و ذكرى طفلة كانت لي كأمة ...
غزلت لي من طقوس الحب
.. حزنا ..
.. قهرا ..
.. وحدة و ذلة ..
غزلتني .. آه .. قطعة صمت ..
تتخبط فيها ذاتي ..
فيها حب .. موسيقى .. فكر .. تيه ..
فيها سنون تلتهم العمر ...
و في آخر زاوية للقطعة ..
أسفلها ...
سراب أمل ..
و أعود أسيرا لذاك الطريق
طريق لجرح يفضي لجرح قديم
و هذا الأخير يفضي لآخر ...

* طالب جامعي/ك. الآداب



شـــعـــــر

لها وحدها

(إلى سناء محيدلي، ودلال مغربي)

د. سـلـيـمـان زيـــدان *

يَا امْرَأةً لَيْسَتْ امْرَأةْ
لَمْ يَمْسَسْهَا شَغَفُ النَّشْوَةْ
لَمْ تَغْسِلْ أَحْلامَ صِبَاهَا عِنْدَ غُرُوْبِ الشَّمْسِ
لَمْ يَتَسَاقَطْ بَيْنَ يَدَيْهَا وَرَقُ الْجَنَّةْ
امْرأةٌ قَامَتْ وتَرَامَتْ بِبَرِيْقِ الوَعْدِ ضَفَائِرُهَا
وتَسَامَتْ بِمَخَاضِ الْفَلَقِ مَحَاجِرُهَا
وتَلاقَتْ بِعَلِيْلِ الخُلْدِ أَوَاصِرُهَا
لَمْ تَبْغِ مِنْ صَخَبٍ زَائِلٍ وَطَراً
تَبْغِيْ مِنْ عَبَثٍ جُنَّة
تَمْحَقُ عَنَتَ الرَّغْبَةْ
تَسْبَحُ فِيْ عُمْقِ الْمَعْنَىْ
يَرْشِفُهَا النُّوْرُ رَحِيْقاً
يَرْتَدُّ الْبَصَرُ بَصِيْراً
يَنْهَشُ جَسَدَ اللَّيْلِ
يَمْحُوْ عَارَ ظَلامِهْ

***

يَا امْرَأَةً جَاءَتْ مِنْ فَجِّ المَاضِيْ
تَنْفُخُ فِيْ صُوْرِ التَّارِيْخ
تُلْقِيْ بِعَصَاهَا تَلْقَفُ مَكْرَ الحَاضِرْ
تَجْمَعُ لوْحَاً للفُلْك
تَكْتُبُ سَطْراً فَوْقَ الْجُوْدِيْ
تَنْزَعُ خُفَّ تُمَاضِرْ

***

يَا امْرَأَةً تَجْهَلُ عِلْمَ النَّوْعِ
وَتَعْلَمُ أَنَّ أَصَابِعَ أَقْدَامِيْ تَتَفَاوَتْ
أَنَّ إِقْدَامِيْ تَقَاعَدْ

أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَفَاوُتْ
وَحَسِيْسُ المِقْدَادِ يُرَدِّدْ :
مَنْ تَعْمَىٰ عَنْ صَوْتِ الرِّيْحِ بَصِيْرَتُهُ
يُغَالِبُهُ دَرْءُ الإِعْصَارِ

مَنْ لا تَتَّقِدُ طَوِيَتُهُ
مَنْ لَمْ تَضْطَرِمْ أَبِيَّتُهُ
هَشِيْماً تَأْكُلُهُ- فِيْ الْجُبِّ- النَّارُ

* شاعر ليبي





شعـــــر

اضطراب

سيف الدين محمد محاسنة *

في العزلة ثمَّة أزمنة أقتلها
كان هنالك في قلبي امرأة؛
تتكسر كالمرآة الكانت تعكس أحزان الدنيا؛
فوق أديم زجاجتها.
***
فوق الطاولة الأقلام الوحشية؛
تستنزف كل دماء الحبر الأزرق
وتصلي فوق الأوراق.
***
في العتمة ثمةَ أشياء تشتهر بجرأتها
ضوء الشمعة
والمصباح
وعيناك الحائرتان
وزهرة سيجارة.
في قلبي عدة ألوان...
تتهامس في قلَق وتأمل
لون البحر
ولون السِّحر
وألوان زجاجات جنوني؛
المتمثل في ليل ضفائرك المنسابة فوق
مصيري.
***
بين القمر وبيني
أدخنة تتصاعد من رأسي
أبخرة تتصاعد من كأسي
أما من تجلس في عمري
دافئة كنبيذ الوردة.

* شاعر أردني



بيروت

صــلاح أبــو لاوي *

إليها
حيث يسعى الشعْرُ من أقصى قرى
الكلماتِ
مرتكبًا قصيدته
أسيرُ
تجوب الرّوح رعشةُ غيمها
والقلبُ في أصفادهِ
ودمَي أسيرُ
يعودُ السّاحرُ المجنونُ
يرْحلُ آخر الشعراءِ
تنغلقُ الجهاتُ
ووحدها بيروتُ والكلمات والقَدَرُ الكسيرُ

ووحدك أيها البحر المعلّقُ
في جناح فراشةٍ
تبكي على الشعراء والدّنيا
وأحلام على شطآنك الحُبلى بنرجسها
ويحتدمُ العبيرُ
تنامُ على فراشِ الوقتِ منتظِرًا
رجوع الفارس المنفيِّ
تنفتحُ السماءُ
وغيمك العصفور في أبَدٍ يطيرُ
هنا بيروتُ
رقصة طائر الكرْكيِّ
غانية من صلصالِ
مرآةٌ
ومسبحةٌ
ونهر نبيذنا النبويّ
وجهٌ أسمرٌ
ويدٌ أصابعُها خريرُ

فليستْ طفلةً صخريةً في البحرِ
تبكي عودة العشاق والسياحِ
ليست شاطئًا للصيدِ



ليست شارع الحمراءِ
حيث تلملمُ الشعراءَ أرصفةٌ
وينثرُهمْ غرورُ

ولا امرأةٌ
تعِدُ قوامها للزّند ِفي ملهى
ولا رجلا
يسيل لعابُ شهوته ِذا مرّتْ
-فهبَّ وراءها المقهى-
وفتنها حريرُ
ولا هي مَقعدًا في الباص ِ
يأخذنا من المنفى
إلى منفاهُ متكئا على دمنا
كما المنفى يدورُ

هنا بيروتُ
آهةُ قوسنا القزحيُّ
واحةُ عشقنا الصوفيّ
في صحرائنا الظمأى
وفاتحةٌ إذا قُرئتْ
تصيرُ حروفها حجلا
وأفئدةً تصيرُ

هنا قمرٌ
يحرّكُ ظله الأشياءَ في الخلجاتِ
يمشي عشبهُ المجنونُ في الطرقاتِ
يرسمُ صورةً أخرى
للون البحرِ
يزرع توته البريّ في شفتين تختصمانِ
يطلق سيله العذريّ للغرباءِ
يفتح كَوّةً للصبحِ
كي نمضي إلى عينيه ِ مرتعِشِينَ من تَعَبِ
ودمعته السريرُ
هنا بيروتُ



حقل بين مرآتين
شيخ ناهض للتوِّ
من غماءة التاريخِ
سبع ُسنابلٍ للشعرِ
هدهدُ مائنا المذبوح
تاج بين مملكتينِ
يحْرُسُهُ ضريرُ

إليها
والزمان البخْسُ يسلبنا معاطفنا

ويطلقنا
عراة في صقيع اللغو
كالأطفالِ عدْتُ محملا باللّهوِ
والكلماتِ
أطْلِقُ ُصرختي في وادٍ عبقرها
وأنثر غيمتي الثكلى
لتشربني الصخورُ
وحيدًا
أرتقي جبلا من الأمطارِ
أبْعُدُ
عن هدير البحرِ
كم يا بحرُ بايعناكَ
منذ الرحلة الأولى
وأسلمناكَ
أنفسنا
فمزقنا الهديرُ

وحيدًا
جئتُ يا بيروتُ
أبحثُ ُفيك عن جَسَديْ
وعنْ قدمي التي التصقتْ
فلمْ ترحلْ على زَبَديْ
وعنْ قمح سنابله برغم الموتِ
لمْ تبرحْ شقوق يدي
ولي أملٌ
أنا الأعمى
أنا المهزوم من عينيكِ
لي أملٌ بصيرُ

* شاعر أردني



شـــعـــر

سيّدة النّهر

عـبـدالـلـه أبـو شـمـيـس *

...حافياً جئتُ نحوَكِ
سيّدة النّهرِ،
أمشي قليلاً وأنزعُ شوكَ الحنينِ

ولا أحملُ الوردَ!
أبقيتُ كلَّ الورودِ على أمِّها
وأتيتُ لأمِّي الحنونِ

ولو ركَضوا بخيولِ الزّمانِ العتيقِ
فلنْ يسبقوني

لقلبِك...
لو طرّزوا الكلماتِ نجوماً
فلن يبلُغوا صمتَ قلبي الحزينِ

..حافياً صامتاً جئتُ نهرَكِ
سيّدةَ النّهرِ،
لا ترفضيني...

"لإيلافِ غزّةَ..
إيلافِها
رحيلَ الدّماءِ بمجدافِها
إلى جهةِ الموتِ
تدفعُها
شتاءاتها بعد أصيافِها
فلا عَبَدَتْ غزّةٌ ربَّ بيتٍ
تضيقُ لديه
بأوصافِها
يساومُ بالخوفِ أبطالَها
ويُوْلِمُ جوعاً لأضيافِها"

كذلك كانت (سُميّةُ) تَهذي
وسيفُ (أبي جهلَ)
يمسحُ عن جسمِها الْهَشِّ
آخرَ أطرافِها...

* شاعر أردني



شعر

أنا لست سوى حارسة لنخيلك

مازن شديد *

(١)

..وكانَ أن كنت معكْ

كأنني:

بالندى أكلّلكْ

في موكب من البهاءْ

من أول الضياءْ ...

وكان أن كنت معي

كأنني:

رفّ طيور عاشق

يعبر فوق ساحلكْ

يلفّنا في موجةٍ من مخملكْ

لوّنتها أنا

جمّلتها أنت بما يليقُ بي

وما يليق بكْ

فساعة تلمّنا في شالها

تحضُننا في حضنها

وساعةً

تغسلنا بالبرق سيدي وبالعسلْ

أمدّ عندها يدي إليكَ كيْ أظلْ

قُبّرةً في خيمتك..

ها أنا ذي،

بكاملي أمشي إليكْ

خذني بضفّتيّ لكْ

ولترويني من الكلام والحنان

يا أمير العمر أنتْ

وسيّدُ الفلَكْ ....!

****

(٢)

من أيامك تبدأ أيامي

تتكوّن فيها

تتوضّأ منها

من أنهارك ونهاركْ

ما أجمل عمري بين يديكْ

حين تزيّنه بالغارْ

لأصير غزالة وديانكْ



ها هي أغصاني يا سلطاني
تمتدّ لتشتبكَ بأغصانكْ
(٣)
اسمعْ:
أنا لستُ سوى،

حارسة لنخيلك، راعيةٍ لخيولكْ
بين ذراعيكَ تنامْ
كي تحلم بكْ
أنا لست سوى،
حاملة للمسكْ
لأعطّر تاجك وأحنّي برجكْ
وأعزفُ لكْ
أقرعُ أجراسي وأدقّ طبولي
لمّا أصحوَ منك ....
(٤)
إسمعْ:
يكفيني أنك ألقيت وشاحكَ فوقي
زنّرني بالحبّ العذبْ
يكفيني أنك من غيماتكَ
نوّرتَ الوردَ ببستاني
وحدائق جسدي وكياني
وأعدت إليّ الخصبْ
خذني بالله عليكْ
واسندني بيديكْ
أنا يُرضيها منكَ الرّعشة
يُرضيها ماء الدّهشة
باللّه عليك
لا توقظني أبدا
إن كنت الآن أنا أحلمْ
دعني أحلمْ
باللّه عليكْ
دعني أحلمْ
دعني أحلمْ
أح ..ل..م ..م..م..م ....

* شاعر أردني



منذ زمان



مصطفى حسين مصطفى *

وهو يصغي..
وشوشات النساء

(١)
في الضحى
في الأماسي
في المآتم
في أدغال قريته البعيدة

(٢)
عواء السفائن
تحمل الراحلين
إلى
أحزان جديدة

(٣)
أدخنة
تتسلل
نحو أنوف
ورئات بكر
ودماء
ليس تعرفها
اللحظات القعيدة

(٤)
صياح الديكة
حول الفجر
وهل يكفي
خيط وحيد

بإعلان الصبح
والرؤيا الطريدة..؟

(٥)
تكسر أعشاش العصافير
بعد غنائها
وفرارها ثكلى
حين تدهمها
مناقير بليدة..

(٦)
منذ زمان
وهو يصغي
وهو الأصم
يمضي
باتجاه هدأته
بعزم المحاربين القدامى
وعناد الريح
يمضي
حالماً بالنهاية
علها
أمام عينيه
تعتدل الجريدة..

* شاعر مصري





شعر

حبّ و حقّ

مناهل العساف *

إذا الليلُ أمطَرَ و الحُزنُ دوّى — و حاصَرَ قلبي فما عُدْتُ أقوى

سأرسُمُ بسمَةَ عينيكَ تحكي — وُقوفي على سحرِ عينيكَ سَلوى

إذا ما الظلامُ بكَوني تمادى — و صوتُ الحقيقةِ في القلبِ نادى

سأرنو لطيفك بالحزنِ غنّى — لنُورِ الإلهِ علَيْنا تَهادى

إذا ما زرَعْنا ثرى الحقّ غُلْبا — و بالنّزفِ منّا روَيناهُ حُبّا

سَنُزْهِرُ يَوماً ستُحيي دِمانا — رِسالَةَ كَونٍ يُوَحّدُ ربّا

إذا بَدّدَ الحقُّ كُلّ المَخاوف — و قَدَّسَ جُرحاً منَ الرّوحِ راعِفْ

سنَصْمِدُ فالجُرحُ يُهدي يَقيناً — و يورقُ عزمٌ منَ الحبرِ نازِفْ

إذا سَكَنَ الحُزنُ أنفاسَ روحي — وَ جئْتَ تُهَدْهِدُ روحي ب «بُوحي»

سأبْسِمُ للحُسْنِ حولي تَهادى — و تُشْفى بِسِحرِكَ كُلُّ جُروحي...

إذا بعْثَرَ الحبّ أشلاءَ قلبي — و ضاقَ بيَ الكونُ واحتارَ دربي

أُنادي فَطيفُكَ دوماً يُلَبّي — و أسجُدُ شُكراً لأنّكَ قُربي...

إذا ما ترَنَّمَ قلبي بِشِعري — فحَلَّقَ طيرٌ أسيرٌ بِصَدري



رســـولاً يُـقـبِّـلُ عـيـنـيـكَ شـوقـاً   سَـيَبْـسِـمُ حُـزنُـكَ إن زار طَـيـري...

إذا راوَدَ الـلـيـلُ قـلـبـي فـأهـدى   حُـروفِـيَ لحـنـاً و روحِـيَ وِرْدا

سَـأغـفـو عـلـى سِـحـرِ عـيـنـيـكَ أدعـو   و أهـمِـسُ : إنّـي أُحـبُّـكَ جـدّا...

---

* طالبة جامعية/ك.الدراسات العليا



كأس البياض الأخير



د. نـزار بـريـك هـنيـدي *

ها صَفا الكأسُ،
فَلْتَصْفُ لَيْلَتُنا، يا نَديمي!
وصَحا القلبُ..
فأفردْ جَناحَيْكَ،
نعبرْ حدودَ السديم. !
كادَ يبلى رداؤكَ ؟..
ما هَمّ ؟..
ما دمتَ تسعى
لتلبسَ من نَسْجِ أيدي النجومِ!
أنتَ والبرقُ صنوانِ..
كلُّ المدى مَلعبٌ لكَ..
فأسفحْ ضياءَكَ فوقَ الغيومِ!
لا مكانَ سوى ما تراهُ
بعَينِ اشتهائكَ..
منْ وَقْعِ خَطْوِكَ
تَنشأُ كلُّ الدروبِ،
وليسَ غبارَكَ إلا
مرايا التخومِ!
نبضُ قلبِكَ جسمُ الزمانِ،
وما روحُهُ
غيرُ أشواقِ روحِكَ
للمطلقِ المستديمِ!
فانسَ كلَّ الذي كانَ
من أمرِ أمسِكَ..
ما الأمسُ إلا هَشيمُ الهوامشِ
إن عَصَفَتْ ريحُ مَتنِ الكتابْ.
لا الطلولُ التي شَهِدَتْ هَطْلَ دَمعِكَ، باقيةٌ
لا..
ولا ما اُستَقَرَّ بصَدرِكَ
من إبرِ الذكرياتِ
ومن شَوْكِ ليلِ الغيابْ.
آنَ أنْ تَتَخلَّصَ نفسُكَ ممّا تعلّقَها

مِنْ أنينِ الخساراتِ
أو من شجونِ الأسى
والحَنينِ السَرابْ.
فامْحُ مِنْ دفترِ العمرِ
ما شابَ أوراقَهُ البيضَ
من بقعٍ
نَثَرَتْها ظلالُ القَلَمْ.
وامْحُ ما تَركَتْهُ السنونُ
على سَطحِ جلدِكَ
مِنْ نُدَبِ الشوقِ،
أو مِنْ خطوطِ النَدَمْ!

***

يا نَديمي..!
كأنّي أُحسُّ الغَمامةَ عادَتْ
تُعَكّرُ صَفْوَ سمائي
وتَنْكَأُ ما كنتُ أحسبُهُ شافياً،
من جراحي!
هل طفا القاعُ ؟..
كيفَ طَفَتْ كلُّ تلك الشوائبِ
حتى اْستعادَتْ مواقِعَها
في الكلام المباح ؟
كيف عادتْ تَسدُّ نوافذَ قلبي
وترفعُ حولَ خَيالي السدودَ
وتربطُ بالحشرجاتِ جناحي؟!

***

آه.. ماذا جَرى؟
لَسْتُ أبصرُ غيرَ البياضِ
هل اْندَلَقَ الكأسُ؟
ماذا جرى؟
لستُ أبصرُ شيئاً..
ولستُ أحسُّ بشيءٍ
سوى ما يحاصرُني
من بياضٍ يُدَوِّمُ
مثلَ الهزيم.!
لم أعدْ أستطيعُ التنفّسَ..
مَنْ ذا يَنيخُ بكَلْكَله
فوقَ صدري الحطيم.؟
خَدَرٌ يَتَغلْغَلُ داخلَ أوردتي
وخلايايَ تنحلُّ..
هل لن يكون لنا
بعدَ هذي العشيَّةِ ، يا صاحبي،
مِنْ شَميم؟

***

ليسَ غيرُ البياض..
فهلْ هوَ لونُ النهايةِ؟
هل ينتهي الكونُ في لجّةٍ
مِنْ بياضٍ بَهيمٍ؟!
ها أنا أتلاشى
كأني أثيرٌ تَبَخَّرَ
مِنْ جلْدِ جسمي السقيمِ!
فوداعاً..
وداعاً لكلِّ الذي كانَ،
أو سيكونُ
وداعاً لأفراحِ ليلي
وفجرِ همومي.!
ها أنا الآنَ
أدخلُ
في مَلَكوتِ العَماءِ العظيم!!

* شاعر سوري



شـــعــــــر

لك الياسمين

هـــمـــــام يـــحـــيـــى *

لكِ الياسمينْ
وهل لسواكِ تؤوب الزهورْ
وهل قربَ غيركِ تدنو
تحطّ على كفّكِ المخمليّ
وترجو جواركِ .. لو تقبلينْ
لكِ الياسمينْ
ولي حصة في الصباح الجديدْ
ولي ألف كون ضحوكٍ وليدْ
أسافر فيها لأنك فيها
ولي لذة الوصل للمتعبينْ

لكِ الياسمينْ
مُطلاً عن السور
مختلسا نظرةَ المُستطيبْ
و مُتّبعا خطواتك صبحاً
ومنتظراً عودةً في الغروبْ
تحضّك أعين أزهارهِ

ترافق مشيَكِ من أول الحيّ حتى
غياب الأثرْ
تُطوِّل أغصانها
تتسابق من يلمس الحلوَ لمّا يَمُرْ

لك الياسمينْ
على وقع خطوك يُفشي العبيرْ
وينشر عطرَ تراتيلهِ
يرحب فيكِ
وأوراقه الخضرُ
تهفو.. تطيرْ
لك الياسمينْ
يخبِّئ أحلى الزهورِ
إذا ما التفتِّ إليهِ
يبثُّك أوراقها باقة من رجاءْ
ويخجل منكِ
يُحدِّث عنكِ



زهورَ الجوارِ وطيرَ الصباحِ
ونجمَ السماءْ

لكِ الياسمينْ
يذوب دلالاً وأنت تحيِّينه بابتسامْ
وينسى الأماني
وينسى الأغاني
وينسى الكلامْ
ويذكر بعد انجلاء الشرودِ
مرورَ الثواني جليدية الخطوِ
بين السلام وبين السلامْ

أزور الحديقةَ كلَّ مساءْ
وتُخبرني الياسمينة عنكِ
وأسمع في لهفة الطفلِ
أحبس أنفاسيَ العاشقاتِ الظّماءْ
تُحدثني عنكِ
كيف مشيتِ
وكيف نظرتِ
وكيف ابتسمتِ
وكيف وقفتِ
وخصلةَ شعرٍ لعوبٍ رددتِ
وأية أثوابكِ الباسماتِ ارتديتِ
وأية عطرٍ عليها نشرتِ
وكيف تداعت سروبُ الفَرَاشِ
وكيف أطلَّ حمام السطوح
وكيف تجمد نبض الزمانْ
وكيف غدا الصمتُ صوتَ المكانْ
وكيف انحنى نحوكِ الياسمينْ
وكنتِ وكلُّ اللقا صار شِعراً
يغنّي يغنّي

لكِ الياسمينْ
ولي حصة في الصباح الجديدْ
ولي ألف كونٍ ضحوك وليدْ
أسافر فيها لأنك فيها
ولي لذة الوصل للمتعبينْ

* طالب جامعي/ ك. الطب



شـــعـــر

غجرية الحلم

يـــزن سـمـيـر دبـــك *



قد زارني الفشل الذريع مع الهوى
لكنني ما زلت أسقط في صفاء مستدام
ما زلت أصغي للصدى من رجع أنّات تلاها
قلبي المضطور من وقع الطفولة في جدائل
شعر قاتلتي من الغجر الذين بقربهم
عشت المحبّة والهيام

بدأت حكاية طفلتي في شال ليل
طرّز النجم التماعا
فوق ذاكرة لخربوش تراخى في الظّلام
في جنوة النار التي من حمقها
تأبى مداعبة النسيم لنورها
جلَسَت.. ولَمْعُ الشُّهْبِ في بُعد السما
حاكى بريق عيونها، وكأنه في لُجّة عَكَسَ الرّؤى!

الوجه يا سمراء مثل سبيكة فوقَ الضّرام
الليل يُغوي بالتهام شِفاهها
وشفاهها مفضوحة الإغواء لا تخشى الملام!
جلَسَت . . . تُسامِرُ نارها
خلخالها الغجري يروي كلّ ما في الشمس





من عُقَد تناقلها الزّمان!
وخصرها المفقود من تَعَب النّهار ورَعيه يهذي
كمخمورٍ بفرحة عيده
وكأنّه عن فَرحِه أبداً يُلام!

وبخطوة مكتومة الأنفاس سِرتُ على هُدى
وجنونُ ليلي يرقُبُ الخطوات منّي
نحو تلك الظّبية السمرا كأني
ضيغمٌ متربّصٌ، لكنّها لمّا أحست خطوتي
فاح العبير من ابتسام شفاهها حتى لأني كدت
أجزم أن ما في النّار من لهب خبا!
من حرّ ما في مبسم الغجريّة السمراء من حمم اللظى!

ولمحتُ غمزات النّجوم لبعضها
كاللؤلؤ المنضود تلمع غيرةً للِقائنا!

الشهب تلمعُ في العُيونِ وإنني
حين التقاء الكف بالكفّ المحنى
وارتياح الراحة البيضاء فوق جداول الحناء
ذبت من الحنين كشمعة
قد لامسَت شغفا صفاء العين يرحَلُ في المدى

وجدائلٌ غطّت سُباتاً فوقَ كتفيها
تراخت عن مفارقِ رأسِها
وَقْعَ الحَرير . . . !

وضمّة للصدر تشفي أنّةَ المحزون من صرف الزّمان!
ورشفة للخمر لا تبقي سقيماً لم يذُق شهد الحنان!

غجريّتي السّمراء لم أعرفكِ من قبل ولكن في المنام!
ها قد حلمت ...وقد صحوت... وإنني أُجزي على
غجريّة الحلم السّلام

---

* طالب جامعي/ ك.الشريعة



قـصـة قـصـيـرة

سحابة صيف

الحـسـن بـنـمـونـة *

- في الحقيقة نحن أمة واحدة ستقف سدا منيعا ضد أطماع ..

يقول عامل لرفيقه.

- ولكنا لم نأت لأجل هذا. إننا نريد أن تتحسن أحوالنا المادية ..هو ذا اليوم الذي ننكل فيه بالأغنياء..

- دعه وشأنه فهو مصاب بلوثة عمالية..

يتابع الزعيم حديثه:

- هكذا هو التاريخ، يعيد نفسه مرة واحدة في كل سنة ..فالنصر آت لا ريب فيه ..إننا نندد بالهمجية الصهيونية .

يقول العامل لرفيقه:

- عمّ يحدثنا؟ فلننكل بالأغنياء.

- أجل. أجل. ولكن، ربما كلامه ذاك مقدمة للحديث عن عيدنا العمالي ..يعيش الزعيم ..

- يعيش الزعيم ..ولكن ألا ترى أنه حاد عن الطريق..

- سيبين عن موقفه بإزاء قضية الأسعار والمواد الغذائية..فلننتظر..

- أجل . أجل. ولكن ينبغي له أن يثأر لشرفنا الضائع ..(يصرخ) السفلة ..أولاد الـ.. أيها الأوباش..الأنذال..

- يعيش الزعيم العمالي ..

- يعيش الزعيم..

أصوات: يعيش ..يعيش..

يتابع الزعيم خطبته:

- في كل عيد نطالب بالزيادة في الأجور..

- يعيش الزعيم..

- هكذا إخواني أخواتي، وجدنا أن المرحلة تجبرنا على خوض المعركة ضد الأطماع ..

يقول العامل لرفيقه:

- أي معركة؟ أنحن في زمن المعارك؟ كم خضنا من معارك؟ فماذا نلنا؟

- لا شيء .

- يصيح الزعيم عاليا:

- هذا هو حال الإمبريالية العالمية التي تريد السيطرة على منافذ البترول والذهب والماس..ولهذا فإن نقابتنا تندد بأطماع ..

يقول العامل لرفيقه:

- أنا أرى أنه أصيب بلوثة الإمبريالية ..إنها تقض مضجعه.. ولكن ما دخل هذا في شأن عيدنا العمالي؟

- يعيش الزعيم ..

- لو كنت خائنا لحملت ابني إلى الطبيب، لأنه مصاب بالحمى ..لست أنانيا ، فقد ارتأيت أن أحظى بطلعة الزعيم ، ولكن يبدو لي أنه يصيح في واد مقفر .

- هكذا تكون همة الرجال ..هون على نفسك، فالنصر آت لا محالة ..

- أجل .أجل. ولهذا تدنت أجورنا وارتفعت الأسعار ..

- ما هي إلا سحابة صيف ستمطر صخورا تدمي رؤوسنا ..

يقول الزعيم:

- في كل سنة، نحاور الحكومة.. حتى تعي أن العمال متذمرون مما يحدث لهم.. وهكذا فمهما نالت منا الإمبريالية، فهي زائلة لا محالة..

- يعيش الزعيم..يعيش..

- أيها الرفيق. يبدو أنك لم تنل حظاً وافراً من النوم .

- أنتظر انتهاء حفلنا العمالي، فأسترد عافيتي ..سأنام الدهر كله..

- إن نحن إلا أموات تسعى إلى العيش الكريم.

- لا تدع التشاؤم ينال من عزيمتك. انظر إلى الآتي بعين الرضا.

يصيح الزعيم:

- أتدرون ماذا قالت لنا الحكومة؟ قالت إنها تحيي عمالنا الأبرار تحية الإجلال (يعيش الزعيم. يعيش الزعيم) هؤلاء الذين زرعوا فحصد الأغنياء.. ولهذا فهي عازمة على أن

نحصد ما زرع الأغنياء!!

– أنا لا أرى أي بأس في ما أقدمت عليه الحكومة..

– ولكنها لم تقدم على فعل أي شيء..إننا نحن الذين نخطو إلى الأمام ..ولكن المشكلة هي أننا سنسقط لا محالة إلى الهاوية..

– وأي ضير في أن نسقط. سنسقط لنستجمع قوتنا ونعيد الكرة مرة أخرى.

– أنا خائف على ابني.. أتقتل الحمى ؟

– كلا. ما يقتلنا هو الذل..فلنكن صفاً واحداً مرصوصاً..

الزعيم: – فلنكن صفا مرصوصا لنواجه أطماع..

– يعيش ..يعيش..

– كيف حال ابني الآن ؟

– لا شك أن أمه__ وهي طبعا زوجك __ تضمد جراحه بخرقة مبللة . لما كنت طفلاً كانت الحمى تسكنني كما لو كنت بيتا لها. أتدري ما فعلت أمي رحمها الله؟ كانت تضع الخرقة المبللة على جبهتي وأنا مستلق على الفراش، فيبرد بدني. ولو لمسته آنذاك لقلت لي إنني كنت أتمارض حتى لا أذهب إلى المدرسة ..هيه..هيه.. هيه.. يعيش الزعيم ..

– أجل. فليعش الدهر كله. ولكن درجة حرارته اثنتان وأربعون.

– هيه..هيه..ألا تعلم أن درجة حرارة فقرنا مائة. هيه..هيه..قارن حمى ابنك بحمى فقرنا، فأيهما تفضل؟..يعيش الزعيم ..

– يعيش الزعيم..أخاف عليه من أن يفارق الحياة.

– هيه..هيه..ونحن؟ إن الحكومة تريد قتلنا جميعا . أفلا تخشى علينا من التفسخ؟

– يعيش الزعيم.. ولكنه فلذة كبدي..

– أعرف هذا، ولكن لندع الحلول الفردية جانبا حتى لا نكسر نضالنا. هيه..هيه..

الزعيم: وهكذا إخواني أخواتي العمال الذين زرعوا ليحصد الأغنياء، عمتم مساء، وإلى اللقاء في عيدنا العمالي القادم..

– يعيش الزعيم ..يعيش الزعيم ..يعيش الز..

في الطريق يحث الرفيق صاحبه على التعلق بأهداب الصبر .

– لا تنس الخرقة المبللة ..

– أجل، فليكن هذا آخر عهدي بالحلول الجماعية ..

– كأنك تريد أن يتكسر زجاج نضالنا ..

– فليتكسر..ماذا سأخسر ؟!!

---

* قاص مغربي



قـصـة قـصـيـرة

لعبة الوحش

شـفـيـق طـه الـنـوبـانـي *

كلّما أردت مقاطعته ليذهب إلى النوم كان يضحك فيعيد ورائي (أوح آم إتّ) فأضحك محاولاً عبثاً تقليد ضحكته، ثم أستدرك: ابق! فلنلعب قليلاً.

أختبئ خلف الباب بينما يغمض عينيه: خلص .

- خلص .

إما خلف الكنبة: لا يوجد، أو خلف الباب: هيّو، فأظهر له رافعاً يديّ إلى الأعلى مخرجاً لساني ليلامس رأس أنفي ... بع ... فيتراجع ضاحكاً مغمضاً عينيه متراخي القدمين، حتى إذا ما اصطدم بشيء خلفه وقع أرضاً، ولكن سليمة، فالروح الرياضية عالية جداً، لكنّه ملّ لعبة الخبّاية أو الأباية على رأيه: أم م ... وحش ... يمّا ... والليل موحش، فما باله تنفذ إلى رأسه مثل هذه الفكرة، لعبة الوحش لعبة سيئة . لا بد أن يتولد نوع من الجد وإن كان السياق مزاحاً ؛ ولقد سمعت بأن مثل هذا اللعب سيكسب الطفل نوعاً من الجبن، لكنه بعد ما قال كلماته حول الوحش وأبدى شيئاً من الخوف المصطنع، ثم ضحك وكأنه يدعوني إلى هذه اللعبة ويطلب مني أن أقوم بهذا الدور .

صرفت تلك الأفكار عن ذهني وقلت:

لعبة الوحش ... كما تريد .

تجاوزت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل . وعلى الرغم من ذلك لم يكن حمادة راغباً بالنوم.. هم ..وحش ... ثم يخفي وجهه بيديه الصغيرتين، ثم يقطب حاجبيه الباهتين، ويطلق ضحكته الطفولية الحادة .

ألبست رأسي قبّعة سوداء، رفعت يديّ بينما فتحت أصابعي، ثم انقضضت على حمادة ممثلاً دور الوحش.. هم ... هم ... هم ... يما ... وحش ... وحش ... ثم يتضاحك وأمسكه بين يدي وأقبله على خده المائل للحمرة .

بقينا هكذا حتى ما يقارب الثانية بعد منتصف الليل، ثم بدأ حمادة يتهالك أمام النعاس، فحملته ووضعته في فراشه، ولم تمض دقيقة حتى أسلم روحه وجسده للنوم .

والآن فلأرجع إلى السياق الذي كنت فيه ، ولكنني أخاف الوحوش. لماذا لم أقنعه بعدم وجود هذا النوع من المخلوقات ؟ وقد كنت أرى وحوشاً في منامي ولم أعد قادراً على العودة إلى سياق التفكير الذي كنت فيه، بل صبّ تفكيري في الوحوش والغولات . وبقيت هذه الفكرة تدور في رأسي إلى أن نظرت إلى النافذة وقد تعاظمت عليها صورة امرأة مخيفة ذات وجه مجعد ترفع فأساً في يدها لتهوي به على رأسي، فتخترق جمجمتي.

---

* قاص أردني







عبير حسن العاني *

صحوة متأخرة

عندما انتهى ليل الآخرين.. بدأ ليله. تذكرَ "مسجله" القديم.. منذ متى لم يشغّله؟ .. منذ أن بدأ يهرب من كل الأغنيات التي كانت ترافق كل لياليه. شعر بحنين غريب تلك الليلة.. نهض.. وفتح "المسجل" فصرخت أم كلثوم "يثأر المصباح والأقداح.. والذكرى معي.." دارت الدنيا في عقله وقلبه وكل أعضائه. في ذلك الليل الهادئ تفجر شيء ما داخله فأعنف الثورات والبراكين على الأرض تبدأ من هنا من نقطة صغيرة في عمق الذات.

شعر بوحدة لم تستطع حتى أم كلثوم أن تواسيها وتقتحمها. أغلق "المسجل"، أحسَ بقدسية وحدته، حين بدأ يسائل نفسه عنها.. عن أسبابها وأحلامها.

شعر بيديه خاويتين.. متلهفتين.. لم يدرك في البدء لِمَ.. ثمَّ شمَّ في الفضاء الذي يطل عليه من خلال شباك صغير رائحة الشتاء.

تذكر شَعر حبيبته.. شمَّ رائحته أحسَّ بملمسه..فركَ يديه.. لاشيء..سوى الفراغ.. احتلته اللهفة أكثر.. تذكر وجهها الناعم.. سمرتها المميزة البراقة.. عينيها المتطلعتين دوماً بتساؤل واحتواء.. ثغرها الصغير الممتلئ بنكهة الحياة التي لا تتكرر أبداً.. تذكر جسدها الدافئ.. حضنها الذي اعتقد أنه وطنه الأزلي.. تذكر.. وتذكر..

وبدأت ثورته بالانطلاق.. أحسَّ أنه لم يعد شيئاً! لم يعد أي شيء ! وضع كفيه على وجنتيه.. فأحسَّ-أخيرا- بخاتم خطوبته.. تذكرَّ خطيبته.. شعر بكره لها تلك اللحظة فقط حيث اقتحمت أجمل ذكرياته وأكثرها حقيقةً.. أخرج الخاتم من بنصره ورماه من النافذة، فشعر بتعاطف مع خطيبته لأول مرة.. نعم.. لأول مرّة ولكن من خلال كرهه لقيدها!

قررّ أن يصارحها في الصباح.. أن يقول لها..إنه أحبَّ مرّة.. وأعطى كل شيء مرّة..

وهو الآن بلا شيء ! فهل ترضى هي أن تتزوج من "لاشيء"!
ورأى ذلك مقنعا له.. مبرراً قوياً يثبِّت قراره، لأنه سيكرهها إن رفضته وسيكرهها أكثر إن قبلت به!
قررّ أن يذهب ليبحث من جديد عن حبيبته الضائعة.. حيث أضاعها منذ سنين.. في لحظات أنانية وغرور وغباء ورجولة زائفة!
قررّ أن يذهب لها و يركع ويقسم لها إنه لن يكون إلاّ بها.. فلعل ذلك سيرضي غرورها المجروح.. وتعود إليه.. ويعود لنفسه.
وبدأ يخطط لكل شيء.. فتح دولابه بفرح غادره منذ سنين.. نظر إلى ملابسه.. قميصه الذي ودّعها به.. رماه بعيداً.. لا يريد أن يراه.. وحاول تذكر أول قميص لبسه معها.. تذكره.. كان قد أصبح بالياً وممزقاً لكنه رآه الأجمل، فلعله سيخبرها ما يعجز لسانه عن أخبارها به.. هيأه وهيأ كل شيء للقاء الصباح..
وأمضى ليلته، وهو "يجتر" كل لحظات حبه.. كل نشوة شعر بها.. تذوق حلاوة كل قبلة، وشعر بعظمة حبيبته لأول مرة، كم كانت تحرص على إسعاده.. شعر بنفور من نفسه.. كره شعوره بالندم لأول مرة، لكنه أجّل كل مشاعر بعيدة عن الحب، وهيأ نفسه كي يكون كتلة حب فقط.
كان الليل يسير ببطء.. كان يسمع "شخير" جاره.. ويشعر بمداعبة جاره الآخر لزوجته وهما شبه نائمين.. أحس أن الجميع أفضل حالاً منه.. لكنّه واسى نفسه بأنه سوف يكون الأسعد من أي سعيد يوم غد.. لأنه سيملك من جديد أجمل وأعظم كائن أسمه (حبيبته)!
وأخيراً.. جاء الصباح ذهب للاستحمام.. نظر في المرآة.. تمنى لو يستطيع أخفاء تجاعيد رآها متكونة.. ربما منذ شهور فقط.. تذكر فقط الآن بأنه قد مضى ستة عشر شهراً على وداعه لحبيبته.. كان يفكر بمعزل عنها بثقة حب لم يخلق مثله!
خرج مبكراً.. وقرر أن يقتل الوقت المبكر في الطريق.. ذهب إلى محطة انتظار الحافلة سيراً على الأقدام.. وركب أبطأ حافلة..
كان منظره يدعو للضحك،حيث القميص القديم الذي لبسه أول مرة في أول لقاء.. كان ذلك منذ زمن.. منذ أكثر من خمسة أعوام.. وسرواله الذي لبسه معه يومها.. وحذاؤه البالي الذي سار به نحو أجمل حلم بأجمل لقاء..
كان متجهاً نحو بيتها.. ولم يفكر للحظة.. هل مازالت هناك أم لا؟.. وكيف سيستقبله أهلها.. وكيف ستستقبله هي..لم يفكر بأي شيء - كعادته- عدا ما يريده.
وصل بيتها.. نظر إلى ساعته.. مازال الوقت مبكراً ولكن.. لا يهم فالموضوع مهم، بل أهم من أي شيء.. أهم من التقاليد ومن النوم ومن الخوف!

طرق الباب لأكثر من مرّة، فخرج له شقيقها.. رآه من بعيد، وشعر أخيراً بالحرج.
كان شقيقها يعرفه.. حيث كان صديقاً لها قبل أن يكون شقيقاً. نظر شقيقها من بعيد.. لم يميّزه حتى اقترب وفتح الباب:

- من؟ سلام؟

فقال مبتسماً:

- نعم.. كيف حالك يا أحمد؟

قالها بحرج وبسرعة واضحة تدل على أن هنالك سؤالاً أهم في الطريق..

- بخير.. تفضل(قالها بلهجة باردة لا تنم عن أي صدق في الدعوة).

- لا شكرا.. فقط حضرت لأسأل عن ليلى.. أين هي؟

- ليلى؟ ألم تعلم بأنها قد سافرت منذ أشهر؟

كان وقع الكلمة تماما كالصاعقة، التي جعلته يصحو من كل غروره وجنونه..

- إلى أين؟

- لا اعتقد أن ذلك مهم.. ولكن.. بالمناسبة.. لقد تركت لك عندي رسالة..
وطلبت مني وعدا بأن أسلمها لك إذا أتيت إلينا وسألت عنها!

- أرجوك أين هي؟ أريدها حالاً (كان كالغريق الذي يتشبث بقشة).

فقال أحمد :

- حسنا.. سأجلبها لك.

دخل أحمد..تأخر أحمد.. "هل أضاعها؟ لا.. لا يمكن.. لعل بها كل شيء أنتظره.. هل كانت تتوقع حضوري رغم كل ما حصل؟ هل سمعت بنبأ خطبتي؟هل.........؟؟؟"

قدِم أحمد بسرعة وأعطاه ظرفا صغيرا يبدو من خفة وزنه أن الرسالة صغيرة جدا.. حتى انه ظن أن الظرف فارغ.فتحه بسرعة وقرأ:

"كنت أعلم أنك ستأتي معتقدا أنني سأبقى أنتظرك.. لكنني.. اخترت لك أفضل عقاب تستحقه هو أنك لن تراني للأبد!".

وقعت الرسالة ووقع الظرف من يديه.. ووقع كل ما فيه..

أمطرت الدنيا تلك اللحظة.. وابتل قميصه البالي.. شعر حتى بالسماء وهي تبكي فرِحة بعذابه..

فعاد أدراجه.. ومشى بنفس الحذاء القديم..نحو غد بلا حلم وبلا حياة وبلا.. غد.

---

* قاصة عراقية



قصة قصيرة

علاقة زوجية

عثمان مشاورة *

"أُففف..هذا البيت لم يعد ينفع..!!" ..قالت زوجتي بينما تقطع البطاطس على طاولة صغيرة في المطبخ..جاءني صوتها فظيعاً من خلف الجدران ..

بقيتُ أُقلِّب المحطات الفضائية دون أن أكترث لما قالت..

" نشتري آخر بالتقسيط" ...أردفت بنفس النبرة..

في هذه الأثناء كنت قد وقفت، واتَّجهت للباب، خرجتُ دون أن أقول شيئاً.. فقد بدا في هذه اللحظة بالذَّات أن لا شيءَ يستحقُّ المشاهدة في التلفاز..

عدتُ في وقت الغداء، وكنت جائعاً بطبيعة الحال..جلسنا نتناول حساء البطاطس مع الأرز واللحمة، أذكر أنَّ مذاقه لم يكن طيباً، "تبَّاً لكِ!" شتمتُ زوجتي في داخلي.

- الثلاجة أصبحت قديمة

قالت وهي تضع بقية الطعام بداخلها، وأردفت:

- لم تعد تتسع لشيء، صغيرة

- حاولي أن تُرتِّبي الأشياءَ، فقط رتِّبيها!! ضعي زُجاجات الماء في رفوف الباب، هذا الشيء لم يعد يصلحُ للأكل. أخرجيه. هل قَدَره أن يبقى هُنا؟! ثمَّ لا ضرورة لوضعِ البيض في الثَّلاجة فنحنُ في فصل الشتاء، ألستِ تتجمدين؟!. وماذا يضير لو وضعتِ هذا الشَّيء هنا. وهذا أفضل هنا. بينما هذا مكانه ليس هنا بالتأكيد! حسنٌ إذن؛ ما رأيكِ بهذا؟! سِحرٌ عظيم أليس كذلك؟! الثَّلاجة كبيرة الآن. أكبر من رأسكِ بكثير بلا شك!!

امتعضت زوجتي.. حرَّكت فمها بطريقة ملتوية. ودخلت إلى الغرفة تتمتم بكلمات لا تتعدى شفتيها.

" لو أنَّ أحداً يأتي الآن. أكادُ أموت من البرد" قالت زوجتي بينما تعطَّلت بنا سيارتنا في إحدى الطُرقات النائية خارج المدينة.

- "لا تقلقي . ستكون الأمور على ما يرام. عُطلٌ بسيط. اقرئي الجريدة. إنها في المقعد الخلفي. حلّي الكلمات المتقاطعة يا عزيزتي"

قلت وأنا مستلق على ظهري أسفل السيارة أحاول إصلاحها.

- نعم ليس أجمل من أصابع مرتجفة لحل الكلمات المتقاطعة..! هل سيأخذ ذلك منك وقتاً؟

- لا ..فقط إن..تظ..ري قليلا.. وكنت حينها أشدُّ بكل قوتي على قطعة حديدية صدئة..

صمتت زوجتي قليلا ثم خرجت عن صمتها..

- هل انتهيت؟؟!

- ليس بعد..! قليلاً فحسب..

كنت أشعر بها وهي تتململ بصورة تجعلني أتوتر كثيراً..

- أصلحتها..هل أصلحت السيارة اللعينة؟!

لم أجبْ. وبعد فترة صمت قصيرة:

- لا زلتَ بالأسفل؟؟

لم أجب أيضاً..كان وجهي مُحمراً..يتصبب عرقاً..

- أُفففْ ...لمَ لا تشتري لنا سيارة أُخرى..بربك هل هذه سيارة أم قوقعةُ سلحفاة عجوزْ؟!

كانت مُغمِضةً عينيها وقد أسندت رأسها إلى ظهر الكرسي وهي تخاطبني وأنا بالأسفل..ثم انتبهَتْ فجأة إلى النافذة بجانبها لتجدني أُحدِّق بها وقد احمَّرت عيناي واقتضب وجهي والكماشة في يدي أرفعها في وجهها..

- إن لم تصمتي قطعتُ لسانك بهذه..!! قلت ذلك بصرخة واحدة وبسرعة.

هناك في البيت تأزمت الأمور ..لسان زوجتي ما عاد يتوقف.. يخرج من فمها ويتلوى كثيرا.. مرة تصيح في هذه الغرفة وفي غرفة أخرى تركل قطعة أثاث برجلها .. ما أقدمها.. هذه الأشياء قديمة..كيف لي أن أعيش معها..يا رجل!! ..انظر إلى هذه السجادة..ألا تستطيع أن ترى؟!

- لا بأس لا بأس..لا عليك ..كلّ شيء سيتغير..كلّ شيء..فقط اهدئي..اهدئي يا زوجتي العزيزة..يا زوجتي الحبيبة ..يا ملاكي..هل أُقبِّلُ يديكِ؟! ها؟! أم ماذا..؟! هل أنت هادئة الآن؟؟.. اهدئي وحسب..

لكن زوجتي لا تهدأ يا جماعة.. أُقسم أنها تصرخ باستمرار.. ولا يتوقف لسانها عن الالتواء في فمها.. يقولون إنَّ في لُعاب النساء مادة مخدرة لذلك لا تكلُّ ألسنتهن..!

وهكذا أصابني انهيار عصبي بالفعل.. وقضيتُ ليلة كاملة في المشفى، وزارتني زوجتي



العزيزة، تلفتت حولها وتفرست في وجوه الزائرين، ثم همستْ في أذني:

- إن الغسالة اليوم لم تتسع لكل الملابس، لذلك غسَلتها على دفعتين!!

ونظرتْ إليَّ متسائلة ماذا يكون الحل؟! لكني ابتسمتُ في وجهها أمام الحاضرين وقلت بكل هدوء:

- أُقدر لك مشاعرك الصادقة يا زوجتي العزيزة، أُقسم ألا تبكي، لا تفعلي رجاء، من أجلي يا زوجتي الحبيبة، من أجلي زوجك العزيز! لا تبكي.ها

في المساء بكت زوجتي بحرقة عندما أخبرها الطبيبُ أني فقدت السمع، صرختْ في وجهه..لا..لا يمكن..!الهذا هُراء..!! ماذا دهاك يا زوجي الحبيب! بالأمس كنتَ تسمعني مثل حصان سريع، كان الله في عون أُذنيك يا حبيبي، هل أكتبُ لك مشاعري الصادقة على ورقة؟! ثم انحدرت دموعا على خدها..

جلستُ في البيت أُقلّب المحطات الفضائية بكل ارتياح. ثم جاءني صوت زوجتي من خلف الجدران كذلك تُقطع البطاطس مرة أخرى:

- "أففف.هذه السِّكينة لا تذبح عصفوراً! هذا البيت لم يعد ينفع..!

لكنَّها ومما هو مُؤكد أنها كانت تُحدِّث نفسها. فأنا قد فقدت السمع بالأمس. في الواقع، ليس تماما، ولكن إذا ما تعلق الأمر بحديث زوجتي فأنا قد فقدته. تقريبا كما أشار عليَّ الطبيب..! وأعطاني الطبيب الفاضل نصيحة أخرى؛ فإذا ما حاوَلتْ زوجتي العزيزة أن تبدأ بالكتابة لي عن بعض الأُمور المُهمة في المنزل. فسأبحث جاداً وبكل حرص في قضية فُقدان البصر بشكلٍ تامّ!

---

* طالب جامعي / ك.الصيدلة



قـصـة قـصـيـرة

سقوط الأبيض



مـنـــال حـــمـــدي *

1

استمرت في لهوها بعد عودتها من عيادة الطبيب. اغرورقت عينا والدها، بينما اعترت يديه رجفةُ الخبر الصادم.

جلست الأُم في زاوية، رافعةً رأسها إلى السقف، مستشعرةً خوفاً بارداً من مستقبل ابنتها. ألقت بثقل هَمّها على صدر جارتها، رفيقة عمرها، تفضي لها بما آلت إليه حياتها إثر تقرير الطبيب. أخذت الأخرى تحاول أن تخفف عنها:

"هَوِّني عليكِ. ما يقوله الطبيب شيء والنصيب شيء آخر. أنتم عائلة مُشرِّفة والكّل يطلب نَسَبكم. ستجد ابنتك مَن يحبها ويتزوجها، بغض النظر عّما قاله الطبيب."

غير أنَّ ذاك الطبيب ظل يلازمها بصوته:

"لم تبلغ ابنتكِ حتّى الآن، فهي تعاني من تشّوه في أعضائها التناسليّة. بإمكانها ممارسة الجنس، ولكن لن ينتج عن ذلك إخصاب، فرحمها رحم طفلة!"

2

تعبرُ البنتُ سن المراهقة. تغيّرت ألعابها، وقصصها، ورسوماتها، وألوانها. حتّى تماثيلها التي كانت تنتظر فصل الشتاء لتصنع من الثلج أجساماً؛ فلقد تغيّرت أشكالها. صار

التمثالُ رَجُلاً رشيقاً، بكتفين عريضين وبطنٍ قللت من بروزه المضحك. صار التمثالُ تشكيلاً حاولت البنتُ أن يكون شبيهاً بالولد الذي يعاكسها. لكنها واصلت، بعد انتهائها من تكوينه، أكْلَ جزرة أنفه، وقضم فِجّلة فمه، وقلع زِرّي عينيه، وأرسلت ضحكتها الطفلة في فضاء الحي.

اقترب الولد من كرة الثلج التي تحوّلت إلى تمثال. ربما لاحظَ شبهاً ما، لكنه لم يبال. ركلها بقدمه مقهقهاً، متعمداً استفزازها، كعادته، ليتراكضا من ثَم وراء بعضهما، يتراشقان بكرات الثلج التي سرعان ما تنتثر حال اصطدامها بما اتفق أن نال واحدهما من جسم الآخر. يتراكضان، ويتراشقان، ويضحكان، ويبتعدان إلى حيث لا يراهما أحد، أو يرى لهاثهما الصاعد بخاراً من فمهما.

توالَت الأيام. هُما ينتظران شتاءً تلو شتاء. ظَلَّ هو رجل الثلج، وظلّت هي صانعته بأنامل من صقيع.

3

"اسمعي. سأرسل أمي لتخطبك. ما رأيكِ؟"

ضحكت، وتكَرْمَشَ الوردُ في خَدّيها. أخبرت أمها. انتفضت الأم فرحاً، وأبلغت الأب، فاستقبلَ الأمرَ بفتور وحسرة. ذكّرها بحال البنت وكلام الطبيب.

"لكنه ابنُ صديقتي ورفيقة عمري. هي تعرف، وتعرف أنهما يحبّان بعضهما. ألم تَقُل هي إن النصيب شيء آخر!".

ما إنْ دخلت رفيقة العمر حتّى أفصحت، بعد تلكؤ مَليء بالحَرَج، ونظرتها تحدّق بالأرض:

"إنه الذَكَر على ست بنات. نصيبُ البنت ليس عندي!"

.. كأنَّ لوثةً انتابت البنت. أصابتها صدمةٌ وتملكتها، لكنها تذكّرت زيارة الطبيب، والفحوصات، وصور الأشعة التي لم تدرك، يومها، دواعيها.

أدركت الآن، والتزمت الصمت.

4

أمطرت السماء يوم زفاف الولد. تساقطَ البَرَدُ أوّلاً، ثم تحوّل إلى نثار من الثلج القطني المنهمر ما لبث أن تكاثف، على غير ما توقعت نشرة الأرصاد الجويّة. اضطر العروسان أن يتما حفلة الزفاف في بيت أهل العريس.

راقبت البنت تساقط الثلج. أنصتت للزغاريد الخارقة لأذنيها. ارتدت معطفاً ثقيلاً، وخرجت لتصنع رجل الثلج. كانت الأضواء الإضافيّة للمناسبة تسطع من بيت العريس،

فتنير الشارع تماماً. ابتعدت، لكنها استعانت بخيوط الإنارة الممتدة، وأكملت تكوينها لرجلها. عادت، وأخذت تراقب صنيعها من نافذتها، بينما تدسّ يديها تحت إبطيها تارةً، وتنفخُ في كَفيها تارةً أخرى.

ليلتها لم يتوقف هطول الثلج. ظلّت تراقبه وتراقب رجلها الواقف أمام نافذتها. لم تحسب كم ظلّت على هذا الحال إلى أن طُمس الرجل تماماً، واختفى تحت بساط سميك من القطن المتراكم. ضاعت تفاصيله.

اقتربت الأم وعاينت ما كان في الشارع أسفل النافذة.

"كان تمثالُ مَن؟"

لم تلتفت البنت. واصلت التحديق بما تبقى من الرجل الغارق بالأبيض الثلجي. لم تكن تعرف كيف تُجِيب. أرادت أن تقول شيئاً بعد أن تحوّلت الموجودات في الخارج ظلالاً خفيفة، لكنها عجزت.

لم تكرر الأم سؤالها الذي تعرف إجابته. فذلك عَبَثٌ بلا طائل. غير أنها، وقبل أن تتحرك لتخرج، سمعت البنت:

"أمي، أغلقي الباب خلفكِ."

أغلقته بهدوء، بينما أحكمت البنت رتاج النافذة، ثم أسدلت الستارة.

---

* قاصة أردنية





قصة قصيرة

ثرثرة أخيرة

هدى سعيد *

وأنا أدفع نفسي بعيداً عن أسنانه المخيفة؛ يتجسَّد اتساع عينيك المُفاجئ أمامي مشهداً مُرعِباً، يُجمِّدُني في مكاني برهة من الوقت؛ ليتدافع اللون الأبيض عبر خلايا جسدي، فيزداد شحوباً فوق شحوب.

وعندما تباغتني نفسي عائدة إلي، أبدأ في الانكماش والالتواء، ولا تفوتني حركة يدكِ اليمنى وهي تروح وتجيء يميناً ويساراً في بحثٍ فَزِعٍ عن شيء أكاد أعرفه لكني أخشى ، ولا أجرؤ الآن على ذكر اسمه، فأظن أن شيئاً من كل ما سبق لم يحدث، وأني ما زلتُ أتطلّع إليك – كما كنتِ منذ ثوانٍ راحلات – تسحرني ابتسامتكِ لصورتكِ التي تنعكس على سطح مرآتك جميلة مشرقة، بينما تعمل يداكِ بخفّة ومهارة لتضع قليلاً من الحُمرة فوق شفتيكِ، ولوناً ما – لا أميّزه الآن – كنت أعرفه لحظتها – تلونين به جفني عينيكِ الحلوتين، لكن اللعين الذي التصق بيمناك متعمداً يستحثكِ أن تسمحي له بمداعبة الشعر الأسود الذي انسدل طويلاً ناعماً على كتفيكِ في انتظاره – لكننا أبداً لم ننتظر طلعته العاجية!!

إن ذكراه تجعلني أفيق لنفسي أكثر، وتعيد إلي منظر عينيكِ المرعوبتين؛ فأتيقن أن ذلك الخبيث ذا الأسنان المخيفة قد فعلها، رغم أني بذلت جهداً وأنا أتودَّد إليه أثناء انسيابه مداعباً شعر رأسكِ، فأهمس إليه بدعابة ضاحكة أو فزورة مسلية، وأردِّد في سري ما شاءت لي ذاكرتي من أدعية كي لا يكشف ستري، إلا أنه يفعلها ضاحكاً مكشراً عن أسنان عاجية بيضاء – ولونه يدهشني الآن – مغيظاً إيَّاي، مترفعاً أن أكون بين سيداته فاحمات السواد، كاشفاً لكِ عن مكمني، ليصدمني اتساع عينيك المفاجئ،

ونظرتك الفزِعة الغضبَى التي تجمّدت على جسدي الأبيض النحيل الذي تسمَّر هلِعاً، ويا للعجب فأنا الآن لا أعرف أينا يخشى الآخر ؟

فالغضب الذي أبصرتُه في عينيك وقد عُقِد له حاجباكِ أكاد أزعم أنه امتزج بالفزع! وقد رُدَّت إلي نفسي الآن يا صاحبتي، أتمنّى أن أفهم.

تحضرني حكايات الجدَّات المختبئات في الأعماق بعيداً عن مخلوقك العابث ومحاولاته الدؤوبة ليكشف سترهن لك حتى يسارع مخلوقك الآخر ذو العينين الواسعتين إلى اجتثاثهن وتقطيع رقابهن دون رحمة أو تقصٍّ لحقيقة أمرهن، وقد حاولن مرَّاتٍ عديدة فهم سِرّ العداء السافر الذي يدفعه إلى هذا الفِعل إلا أنهن فشلن في ذلك، ولولا أن سرَّبتْ إليهن إحدى الرفيقات - قبل رحيلها المفاجئ - خبراً مفاجئاً أيضاً - سقط البعض على أثر سماعه مغشياً عليهن، فهذا المخلوق ذو العينين، من يقطع الرقاب يميناً ويساراً، هو نفسه تابع لا حول له ولا قوة، تُملي عليه يدُكِ إرادتكِ، وتفقأ أصابعكِ الملتفَّة - حوله - عينيه آمرة إياه بما يفعل فأصبح في نظرهن مخلوقاً ضعيفاً يستحق الشفقة، ولرِقَّةٍ فينا - تجهلينها - تعاطفن معه، فانحنين في حزن لأسْرِك إياه، ولجهلهن سرَّ قسوتكِ في التعامل معهن! فنحن منك ولم ننبت في رأس غريبة عنك، فأي معاملة نلقاها منك!!

وهذا التعالي الذي يفرِط فيه مشطك العاجي الذي لا يدرك خطره الحقيقي إلا أمثالي من شاء حظهم العاثر أن يقيموا قريباً من حدود رؤيتك لهن وأنت تمارسين طقسك اليومي المعتاد أمام مرآتك فيشتد ذعرك كلما حاولتْ إحدانا أن تنظر إلى نفسها، وتختال مثلك لونها الأبيض وجسدها الرشيق، فكأننا جَرَبٌ تخشين منه على نفسك!

صدقيني أنا لا أتعاطف مع مخلوقَيْك اللذيْن يعيثان في مستقرنا فساداً وتدميراً، كما أني لا أشعر ناحيتك الآن بنفس الشفقة التي سيطرت على خلال عمري معك وأنا أستمع إلى تلك النهنهة التي تصدر عنك كلما ألقيتِ رأسك على وسادتك، وأشعر بك تتكوّرين فتضمين رجليك إلى بطنك، وتضغطين بكل قوتك، وبعنف تنتفضين مثل دجاجة مذعورة رأت سكيناً يُشحَذ!!

فأين ذلك من جبروتك الآن ويدك التي ما زالت تنتفض في عصبية شديدة تبحث عن ذلك المقص كي تنقض به على جسدي النحيل ؟؟

هلاَّ أمهلتني بعضاً من وقت كي أجد لك عُذراً ولنفسي قليلاً من رِثَاء!

دعيني أحاول بجِدٍّ هذه المرَّة كي أفهم سر الصدمة الأولى التي اعترتك - كما روت إحدى الناجيات الأوائل - حين أشاح مشطك اللعين بوجهه مشمئزاً من اللون الأبيض الذي اختلس من الزمن عمراً ومن بين سواد شعر رأسك تبيَّن لكِ، ويا لِوَقْع الصاعقة

على جسدك المنهار على الكرسي، وقد صاحبتْ وجهك تلك البحلقة؛ فجمَّدت الدمَ الأبيض في الأجساد النحيلة الواقفة دهشة ورعباً، إلا أن مقصك ذا العينين لم يُتِحْ لهن حتى فرصة الدهشة أو الخوف .

وقد كان السائل الأسود اللزج الذي انسكب على رأسك مثار تعليق هؤلاء اللاتي اختبأن بعيداً عن عبث مخلوقَيْك، وكان قاتلاً لهن أن تُحيلي نهارهن ليلاً مظلماً!

أنا مستاءة منك، ومن غمغمتك تلك، وصياحك المتقطِّع تستدعين به وسيلة إعدامي، كأني لا أستحق منك تبريراً، ويا للعجب فإن أصواتك هذه تثير سخطي عليك لا دهشتي وشفقتي كما حدث من قبل فيما مضى من عُمرٍ رافقتك فيه، ورأيتك وحيدة في غرفتك تنظرين إلى مرآتك وتتأنقين في ملبسك ثم تبتسمين؛ فتغمر وجهك السعادة وتأتين بحركات غريبة وأنت تدورين حول نفسك ضاحكة، وتتقافزين رافعة صوتك بالصياح المتقطع حتى ينهار جسدك – يبدو أنها عادة لديه – على الكرسي، فإذا ما رفعتِ وجهك إلي المرآة؛ رأيتُ تلك المياه التي تغمر – أظن أن المنبع عيناك – بينما الاحمرار يسيطر عليه، فأخالك امرأة أخرى، لكني لم أتحرك قيد أنملة من موطني – رأسك أعني – فأنتِ أنتِ إذن، لا شك في ذلك، فتغمزني دهشة لا يعادلها إلا دهشتي من الفَزَع المسيطر عليك الآن ويدك تعبث في عنف تلقي بهذا وذاك في بحث دؤوب عن مقصك المرعب الذي صاحبنا في حكايات الجدات المخيفة ونحن ما زلنا صغاراً؛ فارتعبنا منه قبل أن يدفعنا مشطك العاجي الخبيث دفعاً إلى لقائه، فأي جُرم فعلتُ يا صاحبتي؟!

وأيهما تستحقين مِنِّي الآن: الشفقة أم الغضب؟!

تكرهين لوني الأبيض؟!

وكيف ذلك وما زالت صورتك تنطبع في ذاكرتي وأنتِ تحيطين جسدك الرشيق بردائك رائع البياض؛ فيحيل تفاصيله بروعة تجعلك مثل أميرة قادمة من إحدى الحكايات الجميلة..

كنتِ رائعة وأنتِ تبتسمين فخورة بجمالك، هادئة نفسك كأنها عثرتْ على ضالتها من السكينة مثل يدك التي هدأت حركتها الآن إلا من ارتعاشة خفيفة تنبئ بأن أصابعك قد انغرزت تفقأ عينيّ مخلوقك – مقصك الصغير – لترتفع لأعلى، فأراها في مرآتك.. لكن الأمر لم يعد يعني شعرة بيضاء مثلي!!

---

* قاصة مصرية



قـصـة قـصـيـرة

تعــارف

يحيى فضل سليم *

استدعوه.. لا يعرف لذلك سبباً.. صحيح هو رجل مهم.. لكنه لا يكره أحداً أكثر من كرهه لرجال الشرطة، ولا يحب شيئاً أكثر من حبه لتنفيذ أوامر رؤسائه دونما تفكير؛ لذلك رقي إلى درجة مدير بسرعة يحسده عليها زملاؤه.

لم تحدث مشكلة في العمل اليوم.. قال لأحد الموظفين:

ـ يا حمار، هات الملف بسرعة.

وعندما أحضر الملف قال له:

ـ حطه هنا وغور يا غبي.

لم يعرف سر ابتسامة الموظف قبل انصرافه.

بالأمس تشاجرت معه زوجته ؛ لأنه يقف في البلكونة.. يشرب الشاي.. ويتفرج على أثداء النساء.. وهن ينشرن الغسيل.. بالليل تتركه على راحته.. يشاهد العاريات في قنوات الدش وتنام.

لم استدعوه إذن؟! سأل نفسه.

كان راقداً بملابسه الداخلية.. يتابع في التلفاز خطبة مسؤول كبير.

فجأة. سكت مسؤول وأشار إليه.

قام وارتدى ملابسه بسرعة.. ووقف يصفق.. وفي التو رنّ جرس الباب واستدعوه.

قلّب الأمر في رأسه، في القسم أدرك أنه ليس مهماً بالدرجة الكافية.

سأله الضابط: أتعرف هذا الرجل؟

حدق في الواقف أمامه شكله ليس غريباً..لكنه لا يتذكر من.. ولا أين رآه من قبل ؟..

سال عرقه، حدث نفسه: أيكون الرجل تقدم بشكوى ضدي ؟ ولماذا ؟!..

أيتهمني بالرشوة مثلاً.. أنا لا أرتشي.. أتقبل بعض الهدايا فقط .

نظر للضابط: لا.. لا أعرفه.

انتفض الرجل: يا أستاذ.. أنا.. أنا..

أسكته الضابط وأكمل: هذا الرجل متهم بجريمة سرقة ، لكنه ينكر ، يدّعى أنه كان في المقهى ذلك الوقت، وسلم عليك، يقول إنه جارك.

لا.. ليس جاري.. لم أره من قبل.. ولا حتى في المقهى.

عند باب حجرة الضابط قابل الضابط امرأة.. وقف وانتزع لها ابتسامة.. سألها :

. هل استدعوك أنت أيضاً ؟

هزت رأسها ودخلت..حاولت حبس دمعتين وهى تستفسر عن سبب حبس زوجها .

قبل أن يخرج نادى عليه الضابط:

. تعرف هذه المرأة؟

تململ قليلاً ثم أجاب في تلعثم :

. جارتي.. تسكن في العمارة المقابلة لسكني.

---

* قاص وروائي مصري



مجرد تساؤل

أســامــة الــســاحــوري *

سألت الشيخ الجليل المتحلق حوله الأولاد عن معضلتي،كان رواده قد أحاطوه بدائرة مفعمة بالأمل، يصغون باهتمام شديد، يدوّنون كل حرف يملى عليهم وكأنه كلام مقدس، عندها علمت أن ذلك هو إقبال المتعطش إلى المعرفة، كنت أنتظر جواب سؤالي الذي ألقيته بين يدي الشيخ، لكن طلاب العلم عنده استهجنوا عليّ ذلك، أيقنت أني قد قطعت عليهم اعتكافهم وتأملهم في العلم، وعذرت هؤلاء الفتية على نظراتهم القاسية إليّ، وما زلت أنتظر الجواب الموعود، تمنيت لو أنّهم سمعوا سؤالي الذي لم يسمعه إلا الشيخ عندما دنوت منه، لعذروني وعرفوا بلواي .

مضيت في طريقي قاصداً ذلك الشيخ، الذي عُرف بالتقوى والصلاح من جهة، والعلم والأدب من جهة ثانية، وعلمت أنه موجود في بلدة نائية فذهبت إليها، أخذت أنظر في وجوه سكانها، أتأملها، وأحاول قراءة صفحاتها، لا أدري لماذا؟ ربما لأني عالم بقراءة الوجوه والعيون، متخصص في ذلك؛ مع أني لم أقصد عالماً لتعلم ذلك، إلا أني أجيد التأويل، أصغي إلى كلامهم مع بعضهم، لأحاول الوصول إلى طريقة تفكيرهم، فحوى نفوسهم . ونسيتُ قصدي الذي أتيتُ من أجله إلى هذه البلدة النائية، المنعزلة عما حولها، فأخذت أسأل الناس عن مكان ذلك الشيخ الجليل .

علمت أنّه موجودٌ في مكانٍ ناءٍ، منعزلٍ منطوٍ على نفسه، يقع عند كتفِ الوادي، والطريق المؤدية إليه وعرةٌ صعبة، محفوفةٌ بالمخاطر، لكنّ ذلك لم يكن ليشكل مانعاً لي، فقد كنت مصمماً على لقائه، كيف لا؟ وهو بالقلوب مفسر، وللألباب آسر، كان أسطورة حية، كان الناس يحجون إليه من كل صوب، طلبا لمنابع الحكمة.

وبعد كل ما سمعت عنه، وما رُويت عنه من حكايات، صممت على رؤيته، وطرح قضيتي عليه، عسى أن ينفعني، أو يكون لي من الناصحين .

لم أكن في قومي إلا مكرماً، محبوباً عندهم، كنت مصدر السعادة لهم، ليس لهم فقط، بل لجميع أهل قريتي، لا أرد سائلا، ولا أمنع طالباً، حتى الظباء، كنّ يقصدنني طلباً للمشورة، ولم أرد إحداهنّ يوماً؛ حتى وقعت يوماً من علٍ، ولم يُعنّي أحدٌ على الصعود . كنت أنتظر أن تمد إليّ يدها لأخرج، لكنها أعرضت وتولت، وفيم تولت؟ يظهر أن توقيتي لم يكن مناسباً، فقد سبقني أحد ما، وقد كانت حرياً مستعرة في البحث، وكان نصيبي أن أقفَ على رسم كان قد سبقني أحد بالوقوف عليه .

بعد هذه الصفعة، أردتُ أن أستعينَ برأيٍ ثانٍ، بعد أن استحلتُ جسداً فارغاً، وقلباً نابضاً بتردد، لا رغبة له بذلك . رأيتُ من الكأس نصفها الفارغ، رأيتُ العقرب المختفي تحت الزهرةِ المتفتحة زاهيةِ الألوان، والأرضَ المتسخةَ القذرة، لا الطاهرةَ النقية .

وبعد أن ضاقت عليّ الأرض بما رحبت، أيقنتُ أنه لا مفرَّ من الذهاب إلى البعيد، حيث يقطنُ الخبير. ومما زاد الحرقةَ في صدري أني اضطررتُ إلى كتم التساؤلات في نفسي أكثر مما ظننت، فقد وجدتُ روّاده حوله، وأعوانه يتوزعون على جانبيه. كنت أريد الخلوة به لدقائق معدودات؛ ليرشدني إلى الطريق المخفي عن الأعين بسبب الضباب الكثيف. وبعد أن ذهب عنه هؤلاء،كان قد مضى وقتٌ طويل، وكان



الظلام قد حلّ، فأُرجئتُ إلى الغد، ذلك أنهم لا يرون من العمل في الليل طائلا ً، ويستبشرونَ بالضياء .

لم أستطع النوم ليلتها، استغرقني التفكير، ذقتُ مرارة البؤس، ولم يسرّ عني شيء إلا دنو أجل اللقاء، بدت على قسماتِ وجهي السعادة، وما لبثتُ أن وقفتُ بين يديه قائلاً: يا شيخ، إني كنت مجاباً، تحجني السرائر، وعندما جاءَ قدري، فإذ به إلى غير مخرجٍ سائر، أحسستُ بمرارةِ الإهمال، تبدلت أحوالي كليةً، نفر من حولي الندماء، وكشفوا عن أقنعتهم السوداء، ليظهروا سواداً أعظم، فأتيتك لأنك ناصح، أملاً أن تخرجني من قوقعتي، وتقفَ بي على درب الحياةِ من جديد، فما رأيكَ فيما سمعت ؟ ردّ الشيخُ الجليلُ بعدَ أن أصغى بتمعنٍ شديد، دونَ أن يَظهر على محياه ملامحُ الاندهاش، أو الذهول، أو السرور، لا شيء أبداً ... ومع أني كنت مؤولا ً للملامح، إلا أني لم أتمكن من قراءة صفحته، كانت غامضة تنم عن وقار، يقين، ففتحَ عينيه وقال: لا تقلق يا بنيّ، الحلّ كامن بين يديك، فنظرتُ إليه منكراً، فقال وكأنما يريد أن يردّ على تساؤلي الخفي: نعم بين يديك، اعلم أنك قد جئتَ بتوقيتٍ غير مناسب على مرعى الظباء، وكان من الأجدى أن تستفسرَ لتعلمَ إن كانَ لكَ منافسٌ لتقارعه، هذا يوم الحساب، عبرةٌ لكَ لتعتبرَ، فكما تدين تدان، تعذب كما عذبت من قبل. تملكني الرعب مما سمعت، متاعبي جراء مغامراتي، عندها اكتسبت خبرةً جديدةً، فلا معاودةَ لمزاولةِ المهنةِ القديمة، لا بدَّ من التروي. عادتْ ثقتي إلى نفسي، فلما رآني كذلك أردف قائلا ً: لا شيء أجمل من الواقع، فلا تزغ عنه، وإن كان علقماً، فلا ألوانه زائلة، ولا مذاقه مفقود.

كان ذلك سؤالي الأناني المادي، فقلتُ له : أليسَ صحيحاً أنّ أشدّ ساعاتِ الليل حلكةً قبل الفجر بقليل ؟ وهذا كان الوجودي، نظر إليّ وكأني فقدتُ إيماني، لم يتوقع مني سؤالاً كهذا، كانت نظراتنا مشحونة، ً ثم بدد ذلك بقوله: بلى، هذه مسألة يقينيةٌ لا تحتاج إلى استفسار وإن طالَ الليلُ، فعقبتُ : وماذا أفعل حتى ذلك الوقت، أأنتظر، أصمت، أصرخ، أشفق على حالي وما أتاني من كمد، فقال : أن تشعلَ شمعةً خيرٌ من استمطار اللعنة على الظلام، فكرت بذلك، وكيف لي أن أعرف طريقتي هذه، وأين السبيل إليها؟ أخذتُ أفكر، تعمقت، ضاقَ صدري كأني أعلو، لم أصل إلى نتيجةٍ مجدية.

كنت ما أزال ممدداً على سرير في نزلٍ إجباري، انتفضت يداي، نظرت إليها، ماذا عساها فاعلة، هل تقدر على صنع المعجزة، بعد أن عجز عنها الألوف، أحقاً تستطيع؟ استسلمتُ لها، لم يكن بيدي حيلةٌ، كانت مغريةً، لأول مرةٍ أراها كذلك، كانت كالشمس في خدر أمّها، أخذت مني قبلةً على أسيلٍ مخطط، ومضت.



نـداء عميق

أسـمـاء المـلاح *

تكابد حرمانها، تراوغ صبرها، وتلوذ بالصمت الذي لا يكتم أسرار لوعتها، وكلما أمطر ليلها حباً، تأمل بانبعاث قمر يولد من سنا سهدها..

لا شغب في البيت، حتى تلك القطة لم ترها منذ يومين، ربما اختفت بعدما ركلها بقدمه..

مدّت يدها نحو مضجعه حين أفاقت فلم تجده، لكنها لم تكترث كما لم تكترث ببوحه الذي جاء اعترافاً متأخراً، كفرح متأخر، قامت كسلى تمسّد شعرها الطويل وتفكر بما تفجر بينهما على السرير، تتحسس بطنها مشبوبة العواطف، وصخب الأطفال المنبعث من البيت المجاور يؤجج أمانيها...

جلبةٌ خلف الجدار، أصاخت السمع، تدلى بصرها من النافذة، قطتها تموء بالتياع، تحاول تخليص صغيرها العالق بين لوحي خشب، تدور حول نفسها زائغة العينين، خرجت إليها، فصلت بين اللوحين المطبقين على صغيرها، وحين انفرجا انقضّت القطة عليه خاطفةً إيّاه وهاربةً به...

ما لبثت أن جرت خلف القطة، حتى وجدتها في ركن ما ترضع صغيرها، وقفت تراقبها، ارتعشت حواسها، ازدادت عاطفتها اتقاداً، تحسست بطنها، أنّى لها هذا؟!

أمومة القطة أشعلت في أحشائها ناراً، عيناها تثقبان الأفق برجاء، والانتظار المُمِضّ لمّا يزل حيلتها إزاء الزوج العاجز عن تحقيق رغبتها، بينما الوقت ينقضي بددا...

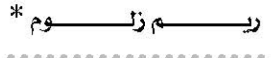
ربما أزفت الساعة... إنّه قرارٌ لا محيص عنه...

غذّت الخطى إلى أن كادت تتعثر، كم مرة تعثّر الأمل؟ وكم مرة تعذّر استمراره؟!

دلفت إلى البيت المكفهر، تناولت حقيبة ملابسها وشرعت بإعدادها، كان باب البيت نصف مفتوح حين عبر زوجها دون أن تشعر به، تقدم نحوها بخطواتٍ وئيدة، دُهِشت، تهادت في مقعدها، وضع طفلاً بين كلتا يديها، أخذته بحنوٍّ بالغ، وألقمته ثديها...



للطفولة حسابات أخرى....



مليئة هي بالخلافات والمشاكلات، الكل يعيش فيها مناورة للبقاء والنجاة. الناس فيها كسكان الغابة، يتنافس بعضهم ربما على الظفر بغزال ذي لحم طري، أو نحوص ذي جسد سمين، وربما يتنافس البعض الآخر على بضع حبيبات من ذرة، أو على حبة بندق بري تتربع على قمة شجرة شامخة، تختبىء بين أحضان أمها الغابة.

هكذا هي الحياة، صراع مستمر، وتنافس دائم للبقاء.

ولكن هذه النظرية ربما تكون خاطئة بالنسبة لفلسفة شباب المستقبل، فهم لا ينظرون للحياة من هذا المنظار، بل ينظرون إليها بمنظار يعجز عن الوصول إليه علماء الذرة، أو الفيزياء أو حتى الكيمياء، من وصل القمر وتجاوز غلاف أمنا الأرض، يعجز أيضاً عن فهم نظرية الأطفال البسيطة المعقدة. فهي معقدة لنا، فنحن نعجز عن التصرف بعفوية أو الخروج عن رتم واجباتنا المعقد. أما هم، فلا يحكمهم في مملكتهم قانون أو عيب، لا يتصرفون إلا كما يحبون ويشاؤون. هي هكذا بسيطة معقدة.

ألعاب، بالونات، صور هزلية وشخصيات كرتونية، هكذا هي الدنيا بعيون الأطفال.

العفوية، السجية، حب الجميع، اللاقانون، كلمات قليلة ولكن تشكل معجمهم الوسيط.

المدرسة لهم، هي عملية انتقال من المألوف إلى اللامألوف، من اللاقانون إلى القانون، من اللانظام إلى النظام، ومن الفراغ إلى ملئه.

ولكن عقلهم الباطني يأبى ذلك التحول الجذري في حياتهم، لذلك يلجؤون إلى فلسفة يكاد العقل البشري لا يدركها.





ومع مساعدة بسيطة من العائلة البيتية والأسـرة المدرسـية، تجعلهم يؤمنـون أن المدرسـة ليسـت سـوى لعبـة أخـرى من ألعابهم، يمكنهم اللعب معها وكأنما هـي دب بني كبير، أو كـرة ضخمة ملونة، ولكن مع قواعد مختلفة بعض الشيء هذه المرة.

فيذهب إليها الأطفال وهـم سعيدون باللعبة الجميلة التي أضيفت إلى مجموعة ألعابهم، وكل يوم يلبسون أحلى زي لها وكأنما هو زي "سبايدرمان" أو ياسمينة والسندباد، فهم في هـذه المملكة أبطال كهؤلاء، يتزودون بالعلم وتـزداد خبراتهم دقيقة بعد دقيقة، ويبنون لبنة بعد لبنة، وهم بهذا العالم الهزلي السامي يتعلمون حب وطنهم، وتغرس فيهم قيمة بعد قيمة، ويوضع على أكتافهم حمل بعد حمل، وهم ما يـزالون في ذلك العالم الـذي يكادون يحسدون أنفسهم عليه.

كل يـوم يعيشون فيه تجـربـة جـديـدة، ويتعلمون شيئا جديداً، ويزيد رصيدهم من الخبرات، وفي كل حلقة من مسلسلهم التعليمي يصنع منهم بناة للمستقبل.

في نهاية كل جزء من فلمهم الكرتوني، يلبسون فيـه عـمـامـة و"روباً" وهـم في غاية السعادة، ويحملون شهادة تقدير من المخرج (مديرهم) ومن المؤلفين (معلميهم) ويلتقطون صورهم التذكارية، التي تسجل لحظة لا ينبغي أن تنسى وهم بين زملائهم وأصدقائهم (أبطـال الفيلم) مـن وجهة نظرهم على الأقل.

تـزيـد مسؤولياتهم فـي كل خطـوة من خطـى العـلم ويتعـالـى اسمهم فـي عالم المجد.

هي هكذا لهم، ولولا أنها هكذا، لما عشق الأطفال المدرسة كما يعشق العازف الناي، وكما يحب الطير عشه.

---

* طالبة مدرسة



قضبان على سُكَّر.. الحياة!

فاطمة رافع نماس *

ها هي تبدأ يومها المعتاد بأن تبتلع أول رشفة من كأس الحليب بالشوكولا، ربما تكون قد زادت من ذرات السكر على هذا الكأس فيزداد حلاوة، ولكنها لم تستطع أن تزيد من حلاوة يومها هذا؛ فهي تعيش حياة روتينية وصعبة جداً كصعوبة أسئلة الأطفال عند بداية تعرفهم على الأشياء. تعيش حياة اللاحياة، بلا أمل أو غد، أو حتى وعد.

تعيش حياة اللاورود، اللاأحلام، حياة تنقصها ذرات السُّكَرِ التي تقوم بوضعها في مشروبها الصباحي المحبوب الذي كانت تحبه حلواً «زيادة» ...كانت «المسكينة» تعتقد بأنها ستعوض حلاوة أيامها بحلاوة كأس ترشفه مع أو حتى قبل بزوغ شمس يوم جديد، فهي تحاول أن تبدأ يومها «الحلو» على أمل أن يكون يومها سكراً أو تكون أيامها مختلفة يمتزج فيها الأبيض والأسود.. في كأسها الصباحي على أمل أن تكون أيامها لوحة فنية مليئة بالسعادة رسمها فنانٌ الأملُ يملأ قلبه وسحر ريشته ينثر السعادة والحب على الأعين التي تقع عليها.

سحرها لم يصب فقط غيرها بل الفنان نفسه فالسعادة والحب يسيران في كل كرة من كراته الدموية ...من رسام تذوق طعم الحياة وطعم السكر ليس بلسانه فقط وإنما بأيامه، وقد توجَّها بلوحته الرائعة التي تُشعر كل من تقع عيناه عليها بأنه ما تزال الورود في الدنيا تغني ... وما تزال هناك عصافير تزقزق ...وما تزال مياه عذبة ... ما يزال هناك من يسمعها ويطرب حين يسمعها، وما يزال من يعلم بأنّ ألواناً كثيرة غير الأسود، الورود الحمراء والبيضاء.. بل حياة قبل كلّ ذلك، فما يزال المشوار.. ولم ينته بعد

وما تزال الشمس تشرق كل يوم، والطيور تهاجر والسماء تمطر والأشجار تثمر ...لكنها كانت تفتقد كل هذا فهي لم تجد «رسّامها» الذي سيجعلها تعيش حياتها من جديد... ما تزال سجينة الأحزان والأشجان ...سجينة اللون الأسود وسجينة اليأس، الأمل بالنسبة لها تلاشى كتلاشي الغيوم من السماء وغياب الضباب في ساعات الصباح المبكرة، ما تزال بحاجة إلى جهاز ترشيح ينقي أيامها من الأسود.. تحتاج رساماً يلطخ أيامها بألوانه المجنونة المشعة... مصوراً يلتقط لها أجمل صور وأحلى ما في الحياة بكاميرته الملونة. بحاجة لمن يدرك ما بداخلها.. بحاجة ومضة حياة.. حب.. لتصبح نبضة الحب هي دقات أيامها.. فهل تجد يد العون التي تجعل منها شخصاً في مسرحية الحياة.. يجعل من عينيها الزرقاوين مليئتين بالأمل و الفرح ولذة انتظار غد أجمل ..يد تجعل أيامها ممتزجة على الأقل بلوني الأصفر والأزرق كلوني شعرها وعينيها.. وأن يدخل لون وجنتيها الحمراوين في حياتها وأن تؤمن باللون الأزرق لون عينيها الذي يشبه لون السماء الصافية و أمواج البحر الواسع والهادئ «اللازوردي» .. تؤمن بلون شعرها الأصفر الذي هو مثل لون سنابل القمح الذهبية.. بل الشمس المشعة الساطعة في صباح صيف مشرق، فأين أنت أيتها اليد التي ستكسر القفل وتحرر سُكّر الحياة من قضبان الآلام و الأحزان.. أين أنت؟؟





ليلى والذئب

ربيع محمود ربيع *

شكوى

لم تفلح كل الوساطات العشائرية ولا وجوه الخير التي ساقها الذئب من أجل إنهاء المسلسل الإرهابي الذي تتعرض له الذئاب منذ عقود طويلة، المسمى حكاية « ليلى والذئب»؛ ففي كل مرة تجلس فيها جدة إلى أحفادها لتحكيها لهم، لابد أن تنتهي الحكاية بخروج الذئب خاسراً مقتولاً، (وفي أكثر الحكايات رفقاً بالحيوان جريحاً مطروداً) ...

وقبل الالتجاء إلى شيوخ العشائر ومجالس الحق لم يترك جمعية لأصدقاء الحيوان أو لمكافحة الإرهاب إلا وطرقها.. ولكن لا حياة لمن تنادي ؟!!

ولم يبق أمام ذئبنا المظلوم إلا أبواب العدالة والقضاء ..

مقتطفات من مرافعة

... قال محامي الذئب أمام هيئة المحكمة: سيدي القاضي ..كيف يطلب منا أن نخالف العقل وما يفهم؟!

وكيف يريدوننا أن نصدق بأن حيواناً ذئباً كان أو أسداً يستطيع خلع ملابس الجدة وارتداءها ؟

وكيف يتمكن من شد وثاقها؟ وهو لا يملك إلا المخالب التي خلقت من أجل التمزيق لا من أجل الارتداء و«التربيط» .. !!

سيدي القاضي: هل يفلح الذئب في ذلك ؟!

وتابع:

« صار واضحاً أمام عدالتكم أن الوالد (والد ليلى) هو مدبر هذه الخطة جيدة الحبك..!!.. نعم!

ولمَ التفاجؤ؟ وإلا لِمَ لمْ يظهر في كل تلك الحكايات وهولم يحاول مرة واحدة أن ينقذ ابنته بدلاً من الصياد؟!

وأي صياد هذا الذي ترك عمله وشغله وتفرّغ لـ«الست» ليلى يقضي ليلة ونهاره



يحوم حول بيت جدتها حتى يسمع صوت ليلى تطلب النجدة.. فينقذها؟!!»

وفي نهاية المرافعة قدم المحامي دليلاً في غاية الأهمية يعد مكسباً لصالح «أخونا» الذئب ويحسن من موقفه وقد يعفيه من الذهاب بأربعته إلى المجزرة المنتظرة؛ فوالد ليلى ثبت بالدليل القاطع أنه يمتلك مصنعاً للجلود يدر عليه أرباحاً طائلة.

رفعتْ كلمات المحامي من معنويات الذئب وشدتْ من عزيمته .. فتغيرتْ ملامحه وصارَ يواظبُ على الاعتناءِ بمظهرِهِ الخارجي أثناء جلسات المحكمة حتى أنه أصبح يدلي ببعض المداخلات ويحتج على كلام محامي الخصم... وفي إحدى الجلسات، وبعد تحسن موقفه القضائي، صرح على لسان محاميه بأن القضية لم تعد ليلى وحكايتها بل تتعداها إلى أبعد من ذلك، فكل «من هب ودب» يأتي ويرتكب السبعة وذمتها ثم يقول:

«أكله الذئب». والذئب لن يسكت على هذا الافتراء . ومجرد البراءة من دم يوسف لا تكفي، فهو يطالب بردية شرف.. ثم قدم المحامي ورقة قال: إنها صورة عن توكيل رسمي من السيد قيس بن الملوح يوكله برفع دعوى على المتهمة ليلى، وهو شخصياً نادم على عمره الذي ضيعه في حبها والجري وراءها عدا عن الأموال والعقارات التي حرمه أبوه منها بسبب «دوارته وراء مراقع الفقس»على حد تعبيره ..وأنه الآن اكتشف الحقيقة وأنها ما أحبته يوماً..

قال المحامي: وهذا لا يخرجنا عن قضيتنا الأساسية.. « فليلى هي ليلى وإن اختلف الثوب.! »

مقتطفات أُخرى

من شكوى تقدم بها الراوي على كاتب هذه الكلمات... جاء فيها :

" بعد كل هذا الزمن على نضال الراوي ضد تدخلات الكاتب..ورسوخ الرأي على عدم تدخله فيما يكتب وأن يترك قماش الكتابة للراوي يخيط منها ما شاء ويقص كيفما شاء.

يخرج علينا هذا الكاتب بكل وقاحة وصفاقة ليحشر أنفه في كل كبيرة وصغ .... الخ" .

وجاء كذلك :

« ... ويرفض التصديق بأن الذئب يستطيع ارتداء ملابس الجدة ويشكك في إمكانيته الربط وشد الوثاق .. وفي الوقت ذاته يدعي أن الذئب يلجأ إلى وجوه المجتمع وجمعياته، بل ويتقدم بشكوى للمحكمة ويوكل محامياً ... وما علاقة قيس وإخوة يوسف بالحكاية؟ »

وطالب الراوي بحفظ حقوقه ووقف أحداث هذه القصة .

قول من راوٍ محايد

بعد طول نقاش وجدال اتفقا (الراوي والكاتب) أن يوكلاني بإكمال القصة واختيار النهاية التي تعجبني، إلا أن الذي لم يعجبني تأخرهما في تسوية الخلاف الذي نشب بينهما حتى أكاد أجزم بأنني بدأت أفقد خيوط القضية..

ففي المحكمة يخبرونني بإغلاق ملف القضية نهائياً وعدم السماح لي بالاطلاع على ملابساتها.. وإشاعات هنا وهناك تقول بهروب المحامي خارج البلاد بعد تلقيه تهديدات بالقتل.. وتلتبس الإشاعات وتناقض بعضها في حديثها عن الذئب ومصيره .. فيقال والله أعلم أنه رحل إلى الجبال والتحق بعصابة لخطف الصغار وقتلهم وأنه صار رمزاً للإجرام والنهب .. وفي الوقت ذاته يتحدث البعض عن مجزرة قام بها مجموعة من الإخوة المتكاتفين لمجرد تجرؤه على ذكرهم في التحقيق وتم التكتم على أحداثها.. والقاضي يتهرب من لقائي والتغير بات يطرأ على أحواله، من مثل السيارة الفخمة التي يقودها، والملابس غالية الثمن وبخاصة المعاطف الجلدية جديدة الصنع والملبس ...وأشياء كثيرة غيرها ..!

---

* كاتب أردني



ذات مقهى

مـخــلــد بـــركـــات *

في رحم الغيب ينام الثلجُ كسولا
وذات العينين الذابلتين
في بيت القمح هناك .. تلاعب
الأشيب طاولة الزهر
ويشرب الكأس ثملا من شفتيها ولا يرتوي
***

عبيد الرب حولنا غارقون في
الترهات ....
يضحكون، يتهامسون
والريفي يصر على الرحيل
قال لي : أزف الليل يا صديقي
ونجماته في خفوت
لم أحتس كلمات مبهمات
يبوح بهن على استحياء أحمد
صديقي الريفي وهم من حولنا
يضحكون يتهامسون
وإذ التفتُّ
هي هناك في آخر المقهى
تلاعب الأشيب طاولة الزهر
ويعب الكأس من شفتيها ولا يرتوي
***

هي الحكايات تستلقي على ضفاف
المقهى العتيق
والطاولات عجائز توشوش روحي
بأن الثلج لا بد يغازل شعرها البابلي
إذ تجفل بعيد بعيدا
لتشعل فينا حرائق
ومواويل
والريفي بنظارته الأنيقة
ما انفك يحدق فيها
محفوفا بخبط أجنحة
في رعشة أصابعها يحدق
إذ تلاعب الأشيب طاولة
الزهر في بيت القمح هناك
والكأس كرّة أخرى يشرب
من شفتيها ولا يرتوي
***

الأشيب يرسم على ملامحنا خيبة

تنوم ....
يقذف بيده الغليظة مربع الزهر
نحو غاباتها والجموح...
أكاد أبكي
يا صديق العمر المنقوص
هذه أنثى الغياب
مجدولة بالصفصاف
والخوخ الحزين
وتشربه القهوة وهو بجانبي
وأشفق على اختلاله
صديقي الريفي إذ يوغل في
الوله والأمنيات..
وأهمس له بعيد الضياع
بشهقتين :
قد تلاقيها صدفة في شارع فرعي
إذ يهمي الثلج على قمح كتفيها
وتبسم لك ..
وهي تعبر الأبيض نحو الغروب
الحلم ينكسر أحيانا
لألمحها في آخر المقهى
هناك...
تلاعب الأشيب طاولة الزهر
والكأس يرتجف ولها إذ يشرب
من شفتيها ولا يرتوي.

* **

ها نحن نغادر المقهى، نتسلل
مثل قبرتين فوق فتات قش
نكسر حلمين، نودع دمعتين
قماش الطاولة المهترىء خلفنا
والتبغ يتناثر محروقا على
جنبات منفضة السجائر
يتطاير في فضاءات المقهى
هناك....
يحط على جنون أصابعها وهي
ترسل مربع الزهر نحو
عجوزها البعيد ..
ويهمس أحمد صديقي الريفي :
– هل يأتي الثلج؟!
في زوايا عينيها البعيدتين
ألمحه حليبيا يتناثر، يتناثر
ليعلق في غرتها
وينوب فوق الأنف النبوي
ويفطن لنا، يحدجنا شزرا
وهو قدامها قوس من جحيم
هناك ، في المقهى
وهي تلاعبه طاولة الزهر
والكأس يغفو
وهو يشرب من شفتيها
ولا يرتوي .

---

* قاص أردني

قَوْل

التجربة هي الاسم الذي يعطيه الناس لأخطائهم.

■ أوسكار وايلد



البدايات



حميد سعيد *

ولدت ونشأتُ في مدينة الحلة، مركز محافظة بابل، في محيط اجتماعي بعيد عن الاهتمام بالثقافة المكتوبةِ، رغم مالهما، بابل والحلة، من حضور تاريخي وشواهد حضارية وألق معرفي.

وفي محيط عائلي، لم يكن الكتاب من اهتماماته، وفي طفولتي، لم أرَ في بيتنا سوى كتابين، أولهما القرآن الكريم وثانيهما أحد كتب الدعاء.

في مثل هذا المحيط الاجتماعي والعائلي، لم يكن متاحاً لي الاقتراب من مصادر الثقافة المكتوبةِ، باستثناء ما كان يلفت نظري، من نصوص نثرية وشعرية، في المناهج الدراسية، وأنا أتحدث هنا، عن المرحلة الأولية، وما كان التلفاز قد عُرف في العراق، ولم يصل المذياع إلى بيوت المواطنين، إلا نادراً. غير أن الثقافة الشفهية هي البديل وبوابة المعرفة.

كانت والدتي، وهي امرأة لا تعرف القراءة، تحفظ الكثير من الحكايات والأمثال والشعر العامي وتؤديه بصوت ساحرٍ وجميل، ولطالما استمعت إليها، وهي تغّني تنويمات من هم أصغر منّي من أشقائي.

وكان والدي متحدثاً آسراً، وهو الآخر ذو صوت جميل، غير أنني سأكتشف في ما بعد، ومع القراءة الأولى للثلاثية المحفوظية، أن فيه الكثير من شمائل "سي السيد" إن لم يكن أكثر مكابرة وتكبراً، ورغم أنه قطع شوطاً دراسياً لا بأس به، بمقاييس مرحلته، لكنني لم أرهِ يوماً يقتني صحيفة أو مجلَّةً، فذلك ترفٌ لم يعرفه بيتنا، وإن كان بينَ وقت وآخر يأتي بإحدى روايات جرجي زيدان، إذ

كان يستعيرها من صديق له، كان يمتلك دكاناً لبيع التبغ في سوق الجانب الصغير من المدينة التي يقسمها شط الحلة، وهو أحد فروع نهر الفرات، إلى قسمين، وهذا الرجل، كان يقرأ أكثر مما يبيع، وقد أشرت إليه في "كتاب المكان في تضاريس الذاكرة".

ومما أذكره، أن والدي كان يستغرق في قراءة إحدى هذه الروايات، وفجأةً تنفتح أساريره، فيقرأ لوالدتي، بعضاً منها، أو يحدثها، عما أثاره من أحداث الرواية، وأظن أنه لم يكن يحسب أن الطفل الهادئ المستغرق في الصمت يختزن كل كلمة مما يقال، ويمنحها من خياله، المعنى الذي يحب، لا المعنى الذي يصل إليه في حدود ما يدرك. هل كانت علاقة الطفل الهادئ المستغرق في الصمت، بما يسمع، واستجابة خياله التي تتحرك في مساحة ما بعد السمع، هي التي هيأت له أرض مملكة الشعر ؟

ربما...

لكن، قبل أن ننشغل بالبحث عن إجابة لنواصل متابعة ما كان.

كان بيتنا، غير بعيد عن السوق، وفي مواجهة النهر، وكنت قبل أن أعرف المدرسة عرفت السوق والنهر، وكانت العلاقة بين النهر والسوق، علاقة وثيقةً، فما يصل إلى السوق يأتي عن طريق النهر.

أما الطفل الهادئ المستغرق في الصمت، فكان يستأثر به، مما في النهر والسوق معا، ما يستمع إليه من أغاني الملاحين يقف على ضفاف شط الحلة ليلا، وترنيمات الباعة في السوق نهارا، ولكل منهما جمالها وتجلياتها، وفي الحالين كان يقف مندهشا أمام سحر الأصوات وبهاء القول، فيحفظها ويرددها ولطالما حاول تقليدها.

هل كانت محاولات التقليد، وهي شفهية، أولى محاولاتي الشعرية ؟

ربما...

لكن، لنؤجل الإجابة ولنواصل متابعة ما كان.

في العام 1947 افتتحت مدرسة أولية للبنات، في بيت مجاور لبيتنا، ولأن الظرف الاجتماعي غير مهيأ لإقبال الأسر على تسجيل بناتها فيها، وحتى لا تغلق المدرسة دعينا نحن الأولاد دون سن القبول في المدارس الابتدائية، ممن كانت بيوتنا قريبة، للالتحاق بها لإكمال النصاب المؤهل للاستمرار.

> **"لم أحب المدرسة، ولم أكرهها، وما كنت من بين التلاميذ النابهين، ولم أكن من المتخلفين"**

لم أحب المدرسة، ولم أكرهها، وما كنت من بين التلاميذ النابهين، ولم أكن من المتخلفين ولا أذكر أنني في السنوات الثلاث الأولى أظهرت أية ميول، تميزني عن زملائي، سوى قدرتي على إقامة علاقات حميمةٍ مع التلميذات والتلاميذ، وسرعة تعلم القراءة، إذ تميزت، ليس على أقراني حسب، بل على من كانوا يتقدمون عليّ في سنين الدراسة أيضاً.

في هذه السنوات كنت قريباً من أحد أخوالي وكان شاباً نابهاً، يمتلك محلاً للخياطة، ومحباً للشعر والغناء يحرص على الاشتراك في إحدى صحف أيام ذاك، ويقتني الدواوين الشعرية، والدوريات، وبخاصة مجلة الرسالة التي استمرت لأكثر

من عقدين من الزمن أهم منبر أدبي عربي، ومنها بدأت قراءاتي الأدبية.

في تلك الأيام كان المحلّ منتدى لعدد من شعراء المدينة الذين لم تتجاوز موضوعاتهم المديح والرثاء والهجاء، ولأنهم فقراء، كانوا يعيشون على ما تدره عليهم قصائدهم، وإن ما يكتبون من شعر لا يتجاوز حدود مجتمع المدينة، الضيق والبسيط والفقير، ولطالما أحسست بفرحهم حين يموت أحد الوجوه الاجتماعية أو يعود أحد الأثرياء بعد أداء فريضة الحج، أو يزوج أحد أبنائه، لأنها مناسبات، هي أكرم مواسم تكسبهم بالشعر.

إن شعراء المدينة الفقراء، وبضمنهم الذين يكتبون قصائدهم باللهجة العامية، بل إن البعض منهم، يكتب بالفصحى والعامية في آن واحد، حين كانوا يقرؤون قصائدهم، أحفظ الكثير منها، وحين أرددها، يكونون فرحين بما كان منّي.

لقد استمرت علاقتي بالبعض منهم، وقد أصبحوا شيوخا عاجزين، حتى حين أصبحت شاعرا معروفا وشغلت عناوين ثقافية مهمة، وظيفية ومهنية، ونجحت في تخصيص رواتب للأحياء منهم ولعوائل الراحلين.

في نهاية السنة الدراسية الثالثة، نقلنا نحن الأولاد الذين قبلنا في مدرسة للبنات، بما يشبه الطرد إلى مدرسة الفيحاء للبنين، بتهمة بلوغنا مبلغ الرجال، وإن كنا في العاشرة من أعمارنا، إذ لا يجوز آنذاك في مثل هذه السن أن تكون المدارس مختلطة.

في مدرستي الجديدة عرفت المكتبة المدرسية، ومن ثم عرفت المكتبة العامة في المدينة، وكنت من نشطاء المكتبتين المذكورتين.

"فاجأتني أمي بالقول : اقرأ لي ما كتبت، وبدأت القراءة بشيء من الحرج، مازال يلازمني حتى اليوم"

سئلت مرة عن بدايتي الشعرية، فتحدثت عن بدايتين، أما الأولى، وبتأثير ما تحدثت عنه، فكانت عندما كتبت قصيدتي الأولى باللهجة العامية، واحتفظت بها في دفتر أخضر، ستغتصبه مني امرأة مجنونة في ما بعد... وإذ كنت أتكتم عليها، اكتشفتها شقيقتي فحدثت عنها أمي، وفي عصر يوم صيفي قائظ، فاجأتني أمي بالقول : اقرأ لي ما كتبت، وبدأت القراءة بشيء من الحرج، مازال يلازمني حتى اليوم، كلما قرأت شعري، وحين انتهيت من قراءتها،صمتت وكأنها لم تسمع شيئا، لحظتها أدركت معنى صمتها، وانقطعت عن كتابة الشعر، وفي مرحلة الانقطاع تلك انشغلت بالرياضة حينا وبمشاهدة العروض السينمائية حينا، غير أني واصلت القراءة، ثم عرفت مجلة الآداب "اللبنانية" التي مثلت أيام ذاك، منبر الأدب العربي القومي الجديد.

في أوائل الستينات، اقتربت من تجمعات الأدباء الشباب، في مدينة الحلة وفي بغداد، وشاركتهم نشاطاتهم في إصدار صحف ودوريات وإقامة ندوات، وبدأت أسماؤنا، تشكل حضوراً لافتاً، وكنا، حيث نلتقي، تكون الحوارات جادة، هادئة أو صاخبة.

وبتأثير هذا الوسط الجديد والحيوي، كانت محاولاتي في الكتابة ومن ثم في الشعر.

---

* شاعر عراقي



مكاشفات ناقدة

دة. آمنة البدوي *

القصائد

سيدة النهر – عبدالله أبو شميس

فيهما شفافية وجمال تصوير وانسياب ، وتوظيف النص القرآني بصورة فيها مفارقة دقيقة ، لكن يحس القارئ أن المقاربة بين ماتهذي به سمية وإيلاف غزة يحتاج نفساً أطول .

منذ زمان – مصطفى حسين مصطفى

بعض المقاطع فيها إيقاع جميل ، في حين تصل بعض العبارات إلى النثرية غير الشاعرية، ويعطي قصر الشطر الشعري القارئ شعوراً بعدم اكتمال الدفق الانفعالي في النصّ .

اضطراب – سيف الدين المحاسنة

يبدو تركيب الصور في القصيدة غريباً وغير منسجم ، كذلك غرابة الإيقاع وعدم استقامة الوزن ، تحتاج لقراءة وحفظ المزيد من الشعر الجيد ليستقيم لك الإيقاع وجمال الصياغة وانسجامها.

صمتي – حازم أمين

فيهما دفق عاطفي وشعري جميل ، وتلقائية في العبارة ، لكنّ الإيقاع والوزن أساس في الشّعر، والمزيد من قراءة الشعر وحفظه يفيد في استقامة الوزن والإيقاع.

بيروت – صلاح أبو لاوي

في القصيدة حسن سبك وجمال مفارقات وصور مكثّفة ، لكن تتكرّر المعاني بصورة لافتة، وقد يقع القارئ على بعض الصور غير المنسجمة في المعنى والتركيب .

حبّ وحقّ- مناهل العسّاف

فيها نفس رومانسي شفيف ، وصور داخلية جميلة ، وقدرة على سبك العبارة الشعرية، بعض العبارات والصور فيها تكرار، فقد تضطر مناهل إلى تكرار لفظ القافية داخل النصّ، فلو بنتها على شعر التفعيلة بدلاً من لجوئها لتغيير القوافي ربما لعبّرت عن هذا الحس العاطفي المتدفّق دون أن تحاصره القافية.

لك الياسمين – همام يحيى

في القصيدة سلاسة في التعبير وإيقاع جميل، وقد تصبح الصور في بعض المقاطع تقليدية بسيطة ، كما أنّ الألفاظ ترتقي ، ثمّ تصبح في بعض التراكيب عادية .

غجرية الحلم- يزن الدبك

الصور في القصيدة عادية ، وطول في العبارة الشعرية قد يُفقد النصّ شيئاً من انسياب موسيقاه ، وتصبح بعض الألفاظ والعبارات سرداً غير شعريّ ، كما تتفاوت الصور والألفاظ في النصّ بغير اتّساق.

القصص القصيرة

صحوة متأخرة- عبير حسن العاني

فيها نفس قصصي جيّد، وإمساك بزمام الحوار ، العبارات فيها عاديّة ، وفيها سرد وتوالي أحداث بصورة أقرب إلى الكلام العادي ، والاهتمام باللغة ودقة التعبير ضروريّ .

لعبة الوحش – شفيق النوباني

القصة شائقة بجمال الوصف وتلقائية الحركة وخصوصية العبارة الطفولية، لكنّ الكاتب تدخّل لإيصال فكرته سارداً ، بدل أن تنقل أحداث القصة فكرته للقارئ .

ثرثرة أخيرة – هدى سعيد

القصة فيها إبداع في التصوير والسبك ، والوصف بلغة شعريّة وتفصيلات دقيقة ، وقدرة على النفاذ في جوّانية الأشياء واستنطاقها ، وإقامة مونولوج داخلي ، وفيها عنصر الدهشة في النهاية ، مما يجعل القارئ يعيد قراءتها لإعادة بناء الأحداث من جديد .

علاقة زوجيّة – عثمان مشاورة

تعرض القصة مواقف حواريّة يوميّة ، بلغة عادية لا تخلو من طرافة ، وينزلق الكاتب أحيانا للغة السردية التي تجعلك تحسّ أنك تقرأ مقالة قصصيّة .

تعارف– يحيى فضل سليم

تعرض القصّة موقفاً من الحياة اليوميّة ، اللغة فيها عاديّة لا تخلو من العاميّة ، قد تلتبس فيها بعض المواقف نتيجة لتداخل لغة الحوار مما يفضي إلى عدم وضوح الغاية من الحدث.

سقوط الأبيض – منال حمدي

في القصة دقة وصف وجمال تعبير ، وامتلاك الكاتبة لأدواتها ولغتها ، والقدرة على المقاربة بين الواقعي وغير الواقعي ، بأسلوب شائق وبعد رؤية .

نداء عميق – أسماء الملاّح

الوصف في القصة دافئ وجميل ودقيق العبارة ، وفيها فواصل زمنية غير مبرّرة ، قد تجعل القارئ يحسّ أن القصة مبتورة ، وأن الكاتبة تعجلت نهايتها .

سحابة صيف – الحسن بنمونة

قامت القصة على الحوار والمقاربة بين حدثين ؛ حمّى الولد وحمّى الفقر ، أتقن الكاتب الربط في بعضها، ولم يوفّق في بعضها الآخر ، وتنحدر العبارات أحياناً إلى اللغة العاديّة ، ويحس القارئ بفجوات في أحداث القصّة .

قضبان على سكّر الحياة – فاطمة رافع نمّاس

في القصة عبارات ومعانٍ جميلة ، لكن الكاتبة تحتاج لقراءة المزيد من القصص الناضجة، حتّى لا تقع في المباشرة ، وتتدرّب على فن البناء القصصي ، ولا بدّ للكاتبة من تجاوز الخلل في اللغة والتراكيب .

مجرّد تساؤل – أسامة السّاحوري

حكايتك شائقة ، لكنّها لا تُصنّف في مجال القصّة الفنيّة ، لديك لغة جيدة ونفس جيد للكتابة، وقراءة المزيد من القصص الفنيّة الناضجة يمكّنك من امتلاك البنية القصصية الفنيّة .

للطفولة حسابات أخرى – ريم زلّوم

قصّتك ياريم تصنّف في باب المقالة ، لديك رؤية واعدة ، وعبارات جيدة وقويّة ، وصور تلقائية جميلة ، اقرأي المزيد من القصص الفنيّة ليتسنّى لك امتلاك أدوات القصّ الفني.

---

* أستاذة جامعية/ك. الآداب





وهب: إنه مشروع الأنباط يا مولاتي.. الصرح كما أراده الحارث سيكون جزءاً من نسيج متكامل، لا صورة ساكنة، أو نقطة ضائعة وسط هذه الصخور والبيوت والمسلات والكهاريس، سيكون تاج بترا الذي سيمثل المعبد وروحه، ودار القضاء وصرامتها، والسوق وحركته، ودار الحكم وتقلباتها، والمنازل وحنانها، والقلاع وقوتها، والقوافل وما رأت، والقرى وما حوت..

سعدات : إن بناءً مراوغاً كهذا يحتاج مصريين لا تعرف عزيمتهم العبث.

وهب: سينجزه الأنباط، وإلا سيكون بناءً لا أهمية له..

مسرحية « الصرح »



هـــاشـــم غـــرايـــبـــة *

• النّص مأخوذٌ من مسرحيّة، تدور أحداثها في العامين الرابع والثلاثين والخامس والثلاثين الميلاديين؛ حين انتصر الحارث الرابع (9 ق.م- 40 م) ملك بترا والأنباط على هيرود انتباس ملك أورسالم ويهودية في فلسطين بحملة سنة (34)، واسترد عشر قرى من قرى الأنباط كان قد ضمها هيرود إلى مملكته.. وفي السنة التالية تحالف هيرود حاكم يهودية مع فتيليوس حاكم سورية الروماني، وقادا حملة على بترا من أجل إخضاعها.. ومن المفارقات اللافتة للانتباه أنّ من بين شروط رسول روما لإيقاف الحملة: إيقاف العمل في صرح بترا الشامخ المسمى « الخزنة»، لكن الحملة باءت بالفشل.

شخوص المسرحية

الرجال:

الملك الحارث الرابع: يُلقّب بـ «رحم عمهو»، وهو في العقد السابع من العمر.

نسرو الثمودي: أعرج، وزير الملك الحارث، وهو في العقد السادس من العمر.

الأمير فصائيل: ابن الحارث من زوجته شقيلات.

كلاويا: فتى أمرد قارب العشرين من العمر، يعمل دلالاً وحمالاً في السوق.

كيروس: كبير تجار بترا.. رجل بدين في العقد الرابع من العمر.

المرقش: سيد معبد الكتبا، ومؤرخ مملكة الأنباط، في العقد الثامن من العمر.

قسطو: بنّاء عجوز ونحات بترا الأول، وهو في مثل عمر الملك.

وهب: مهندس نابه، ومساعد قسطو، في العقد الرابع من العمر.

زيداب: قائد عسكري، ووالي صيدون، وهو صديق الوزير نسرو، وفي مثل عمره.

القاضي أباس:كبير قضاة بترا، وهو في مثل عمر الوزير نسرو.

النساء:

سروت: كاهنة معبد «ذو الشرى»، ومقامها يوازي مقام الحارث، وهي في العقد الرابع من العمر.

الأميرة سعدات: ابنة الحارث من زوجته خالدات، في العقد الرابع من العمر وهي مطلقة هيرودس.. وعشيقة الوزير نسرو.

زلف: طبيبة الأنباط، ومساعدة زوجها المرقش شيخ الكتبا.

جوليا فينان: في أول العقد الرابع، صاحبة نزل جوليا وهي راقصة، ومغنية، وصاحبة نفوذ.

شويكات: في مثل عمر الأميرة سعدات، وهي مراقبة السوق، وتاجرة، وزوجة المهندس وهب، وأم الفتاة تكيلا.

تكيلا: فتاة في أواسط العقد الثاني من العمر، وهي ابنة وهب.

ملاحظة: شويكات، وصديقة كلاويا، سيصير اسمها تكيلات لاحقاً.

مرثا: زوجة زيداب، اليونانية الشابة، وهي في العقد الثاني من العمر.

الفصل الأول

«في جوف الصخر القاسي مياه رقراقة، وفي قلب الصوان البارد نار غافية!».

■ المشهد الأول

كلاويا، وكيروس، وزبون...

مقدمة خشبة المسرح باب يقابله درج ينتهي بمنصة وإضاءة خاصة على الباب (متجر).

كلاويا لزبون ذي لغد أحمر: هذا الزرد بخمسين دراخما.

يخطف كيروس الزرد من يد الزبون.

كيروس: هذا الزرد ليس للبيع أيها المحترم!

يمضي الزبون ..

كلاويا: لِمَ لا نبيع الرجل ما يريد يا سيدي؟!

كيروس يهمس: طريقة معاينته للبضاعة لا تعجبني.

كلاويا محتجاً: السيدة شويكات مراقبة السوق، تقول أن نحسن معاملة الحجاج الوافدين إلى بترا!

كيروس يصرّ على أسنانه، ويهمس: اصمت يا كلاويا، هذا الرجل لا يريد أن يشتري.. إنه يجسّ ما عندنا..

كلاويا يخفض صوته: يجسّ! ماذا تعني؟

كيروس: ما زلت صغيراً على هذا يا بني، انفخ النار..

تفتح الستارة فيما الزبون يبتعد.

كيروس يتابع: هذا من رجال روما!..

كلاويا: روما ..

كيروس: هات المطرقة واتبعني.. مطلوب منا أوان نحاسية، علينا إنجازها قبل أن تلفحنا الظهيرة بحرها .. هيا!..

يخرجان ويزيحان الستارة.

■ المشهد الثاني

الخزنة يتضح ثلثها العلوي، والباقي مغطى بواجهة الصخر قبل النحت.



العمال يتسلقون واجهة الخزنة وينحتون، ويغنون:

«**في جوف الصخر القاسي**

ثمة مياه رقراقة ..

في قلب الصخر البارد

ثمة نار غافية..».

قسطو يرتفع إلى أعلى الصرح، على منصة يرفعها العمال بالحبال على بكرات..

قسطو: هل تحتاج مزيداً من العمال يا وهب ؟ آمل أن أرى هذا الصرح منجزاً قبل أن أموت.

وهب: مازلت في عز عطائك! لك طول العمر.

قسطو هامساً: الحارث يجهز الجيش لغزو يهودية، أرجو أن لا يتوقف مدده لنا بسبب هذه الحرب!

وهب: ها نحن نواصل كشط الصخر عن العجيبة المكنوزة داخله وفقاً للمخطط المرسوم.. مزيداً من العمال قد يربك العمل.

قسطو متوجهاً للعمال: من الأعلى إلى الأسفل! أريد عملا متقناً، شبراً فشبراً.

وهب: ها هي أيدي العمال المهرة تواصل إيضاح معالم إطار الصرح كما رسمت أيها الشيخ المعلم!

قسطو: أريد أن توحي أضلاعه المستقيمة والمائلة بالتناسق، وأن يوحي لون الصخر الأحمر بالمهابة، ونقوشكم الجريئة ينبغي أن تعبر عن القوة والخلود!..

العمال يتهامسون: ما معنى هذا؟!

قسطو: اطرحوا أسئلتكم على وهب، وسوف يجيبكم.

العمال: لم نفهم!

وهب: أقبلوا على عملكم بشغف ومحبة! لا يمكن لهذا الصرح أن يولد، إلا بعد أن يمثّل حقيقتكم العميقة!

قسطو بثقة: سيفنى كل حي، وتبقى هذه العجيبة.. عندما تكملون العمل في وقته ستنقش أسماؤكم وأفعالكم على شاهدة الصرح!.. حتما سيوافق الحارث على إنصافكم!

عامل: ها نحن نكدّ منذ الفجر أيها الشيخ المعلم!..لكن الأسطة وهب لم يسترح منذ الأمس، لقد أمضى ليلته هنا!

قسطو: حقا؟!

وهب: الهلال جميل في تربيعه الأول، والعمل في الليل يريك جوانب من جمال الرّقم لا تراها في النهار!

قسطو: ومع ذلك فإن عيون النهار أفضل من عيون الليل يا وهب!

وهب: العيد يقترب يا سيدي! وأحب أن يرى الحجاج بعض صنيعنا واضحاً للعيان!

قسطو: أحب من يدمنون العمل!.. ولكن إن لبدنك عليك حقا، ولأهلك عليك حقوق يا وهب! .. امض وخذ قسطاً من الراحة، وسأواصل العمل مكانك.

وهب: لا أبرح هذه المنصة حتى تأتي المجنونة وتعتذر مني!..

قسطو ضاحكا: ها! عدتما للخصام مثل طفلين؟! من يصدق أن نحات بترا الأول، ومراقبة السوق الحصيفة يتشاجران؟!

وهب : شويكات عنيدة، ولسانها سليط!.

قسطو ساخراً : هكذا إذن!.. ليست مسألة ظلال وجمال!.. ومنحوت في ضوء القمر!..

وهب مرتبكاً: شيء من هذا وبعض من ذاك يا سيدي!

■ **المشهد الثالث**

جوليا- نسرو- كيروس التاجر - القاضي أباس - المرقش - زُلَف.

الباب والدرج والمنصة والخزنة... في العمق

في حانة نزل جولي.
نسرو يدق بعكازه الأرض: لم تحضر مراقبة السوق؟!
زُلَف: ربما تتأخر شويكات في الحضور، رأيت زوجها وهب عائداً من العمل..
المرقش ضاحكاً: إذا لم تأت.. فهما إما يتشاجران الآن، أو يتطارحان الغرام!
جوليا، وهي توزع الشراب على الجالسين: لا توجد بينهما منطقة وسطى!..
ضحكٌ ولغط.
نسرو: ويحكم! أنسيتم أنكم تتحدثون عن أختي!
القاضي: لم يذكروها بسوء يا نسرو.. فقط يصفون ما هي عليه!
المرقش: وهب دائما!..
نسرو يدق الأرض بعكازه لفرض الهدوء: ما لهذا اجتمعنا!.. دعوتكم إلى هذا اللقاء في نزل جوليا؛ لكي نتحدث عن حال الأنباط بلا مجاملات!..
بعد صمت قصير ...
المرقش: الناس في حيص بيص يا نسرو!.. نحب أن نسمع منك ما يطمئن!
نسرو: الحرب قادمة لا محالة!
المرقش: حرب وقحط! هذا أكثر من أن يحتمله الأنباط!
زُلَف: سيقلُّ الطعام، والعاقل من يخزِّن اليوم ما ينفعه غدا!
نسرو: أنتم بركة بترا، وضمير أهلها تقولون هذا!.. ما دعوتكم إلا لأسمع منكم ما يسند الحارث!
القاضي: لقد صارت شؤون الحكم مضغةً لكل فم، وهذا يُذهب الهيبة، ويوقع الفتنة، ويهزّ أركان الحكم!.. فإذا ما هززتم أكتافكم، وأظهرتم عدم مبالاة بمثل هذه الأمور، فمن العدل أن تعترفوا بأن الأقاويل عندما تنتقل من فم إلى فم، يضاف إليها الكثير من الإسهاب والتهويل!.. وقد توقع الوهن في النفوس.
نسرو: لا بدّ أن نأخذ على محمل الجد ما يقوله الناس!.. و نعوّل عليكم بثَّ كل ما يرفع معنويات الأنباط؛ فأنتم مرهم الأرواح القلقة، وعصا التوازن بين الناس ونظام الحكم، أنتم سند الدولة، وأعين الحارث الخفية!..
جوليا: الويلات تتلاحق!.. حرب وقحط!. هذا كثير.. وهذا الصرح الذي ننفق عليه أموال الأنباط ما فائدته؟!
نسرو يدق بعكازه: بالضبط هذا هو مربط الفرس!.. الحارث يريد دعمكم ومساندتكم لمشروع الصرح الكبير!..
كيروس: نحن تجار بترا دعمنا بناء السد، ومد أنابيب الماء الفخارية، ودفعنا الإتاوات لمشروع قنوات الصرف!. أما الصرح ومدرج الاحتفالات فهذا ترف زائد ولا حاجة

للأنباط بهما.. هل يريد (رحم عمهو) أن يطاول روما؟!

القاضي: الإحساس بالأفول، هو المحرك لهذه الأفكار الشيطانية، لما بنى الفراعنة أهراماتهم العظيمة، صارت شاهدة على عظمتهم من جهة، ونذير زوال دولتهم من جهة ثانية!

المرقش: ميرنا سروت تقول لا صرح يعلو قبة المعبد!.. المعبد ضد هذا الصرح!.. كيف سينجح؟!

القاضي: على البنائين أن يعرفوا حدودهم، ويقفوا عندها!.

نسرو: بعض المشاريع لا تؤتي أكلها إلا بعد حين!

جوليا: إن تجسيد فكرة هو عمل يستحق عنايتكم!..

المرقش: تفلسف الفنانين لا يعجبني!.. الراقصة المبجلة جوليا تؤازر البنائين! هل عند قسطو ووهب أفكار أفضل من سواهما؟!.. وماذا لديهما؟ مجرد فكرة غائمة عن صرح يدوم إلى الأبد!

زُلَف ضاحكة: قسطو متواضع، يقول إنه سيدوم إلى ما قبل الأبد بقليل!

يضحكون!..

المرقش: كلنا إلى زوال!.. فلنفكر بما ينفع الأنباط اليوم!

جوليا: أرجو أن تكلف نفسك يا "المرقش" مشقة النظر إلى العالم من خارج خرم الإبرة، وتفهمه من وجهة نظر فنان.

المرقش: بماذا ترمينني أيتها ال..؟!

يثور لغط بين الشيوخ.

نسرو يطرق الأرض بعكازه: هدوء.. هدوء رجاء! نحن لا نتحدث عن مجرد بنائين عاديين، أو حرفيين بلا موهبة!.. قسطو ووهب لديهما مشروع يستحق أن يلقى آذانا



صاغية!

المرقش: ولكن أريد أن أعرف ما هو الصرح؟! أهو قلعة. أم قصر. أم.. مبغى؟!..

نسرو: نحن نتحدث عن بوابة بترا المذهلة، البوابة التي أرادها رحم عمهو أن تتوسط صحن المكان لتدهش، وتجذب، وتفتح؛ لا لتصدّ، وتبعد، وتغلق!..

جوليا : كرمى للحارث!.. أنا جوليا فينان أضع نصف ثروتي للإنفاق على هذا الصرح!..

كيروس: مادام (رحم عمهو) قد أرادها، فيسرني أن أؤكّد على كلّ حرف أقوله وألتزم به منذ الآن: أنا كيروس نباتيوس، سأتكفل بنصف نفقات البناء مهما بلغت!

نسرو: نعم! أرادها رحم عمهو! أرادها بوابة توقع المهابة في نفوس الطامعين، وتدهش تجار القوافل الذين يأتمنون على أموالهم وبضائعهم.

القاضي أباس: الأمان يكمن في عدالة القضاء، وحفظ العهود، وتسجيل المواثيق!.. وبترا لا تنقصها الخزائن ولا الكراريس ولا الكهوف الحصينة، التي تحفظ للناس بضاعته، والقضاء يحفظ لهم حقوقهم.

نسرو: الصرح يبنى ليثري المنجزات، لا ليحل محلها!.. السيطرة على الصرح هي الخطوة الأولى لنحفظ لدولتنا هيبتها!

■ **المشهد الرابع**

زُلَف: «اش» حضرت شويكات!

المرقش: كسبنا معارضاً، ستسوطكم شويكات بلسانها الحاد!

شويكات تدخل حانة نزل جوليا، منفولة الشعر، دامعة العينين، تتجه إلى نسرو..

شويكات: نسرو!.. أريدك على انفراد!

نسرو: أهلا شويكات!.. ظننتكِ جئت تشاركيننا الرأي والمشورة!

شويكات: أريد زوجي!

نسرو يضحك، وينظر في جيبه: زوجك ليس هنا يا شويكات.

شويكات غاضبة: تباً لك أيها الأعرج، أتسخر مني؟!

نسرو: أبداً، ولكن ما شأني ونزاعكما!..

شويكات تجلس إلى طاولته دون استئذان: أنت أخي الأكبر وتقول لا شأن لك!.. وصديقك قسطو يسرق وهب بعيداً عني؛ وتقول لا شأن لك!

نسرو: ذاك قسطو عند الصرح، فاذهبي إليه!

شويكات تغير لهجتها، وتقول متودّدة: أرجوك يا نسرو أن تتدخل، أنت أخي وسندي!.. لسانك طري، وأنت فقط تستطيع أن تصلح الحال بيني وبين وهب! .

نسرو: لكنكما لن تكفا عن الشجار و«النقار».. إنك لا تطيقينه!.. كما قال لي!

– كيف يقول ذلك؟! هذا الحجّار داهية! كلما تقاسمت معه الحياة أكثر، كلما تعمق حبه في روحي!

نسرو: وهب رجل مبادر، وفنان عظيم، ولكن من الصعب ثنيه إذا ما صمم على شيء.

شويكات (يرتفع صوتها:)- إنه عصبي ومتقلب، إنه زير نساء!

تخفت أصوات من في الحانة، وتلتفت العيون صوبهما.

نسرو هامسا: ها قد عدنا من حيث بدأنا!

المرقش: وهو يقول عنك عدوانية وشرسة!

شويكات تتابع هيجانها غير مهتمة لفضول من حولها، تتناول عكاز نسرو وتشهرها في الهواء وتصرخ: أيها الغبي! لا أستطيع النوم بعيدا عنه!

يضحكون ضحكات مكتومة، فتنتبه شويكات إلى حالها. تقف، متنمّرة..

ثمّ تصرخ في وجوههم وتهز عكاز نسرو: كلكم تعرفون أني عدوانية وشرسة!!.. لكني أحب زوجي وأريده الآن!.. غادر عمله ولم يعد إلى المنزل!.. إلى حضن من ذهب الملعون؟!

يصفق لها الحضور ويضحكون، تشملهم بنظرة سخرية، وتشتمهم وتخرج..

---

* روائي وقاص ومسرحي أردني



السن المكسور

بقلم:بيدروإيميليوكولب-فنزويلا *

ترجمة: مجد إبراهيم صبح **

عندما كان خوان بينا في سن الثانية عشرة، تشاجر مع مجموعة من أولاد الشوارع، الذين رموه بالحجارة على أحد أسنانه؛ نزف دمه حتى غسل وجهه الملوث، وكسر سنه وكأنه نشر بمنشار، ومنذ ذلك اليوم بدأ العمر الذهبي لخوان بينا.

و منذ ذلك الوقت وخوان بينا يجلس صامتا متأملاً دون حراك، إلا في لسانه يتحسس به سنه المكسور. و قد تحول بذلك من فتى مسبب للمشاكل إلى فتى هادئ نزّاع للصمت و الهدوء.

لقد سببت الشكاوى الكثيرة الواردة من الجيران ومن ضحاياه المتعددة الإنهاك لوالديه، الأمر الذي دفعهما لفرض أنواع مختلفة من التأنيب و العقاب، حتى استنفدت جميعها. أمّا الآن فيقفان مذهولين حزينين من التحول المفاجئ لخوان.

ترك خوان عادة المزاح، و أصبح يمكث ساعات طولاً في موقف كهنوتي، و كأنه مغمور بالسعادة؛ وفي ذات الوقت، وفي أعماقه و غموض فمه المغلق، كان يداعب سنه المكسور، دون تفكير.

قالت الأم لزوجها بابلو: حالة الطفل سيئة ، علينا الاتصال بالطبيب.

وصل الطبيب وبدأ بمعاينته : النبض جيد ، ضغط الدم ، شهية ممتازة ، لا يوجد أي مؤشر على أنه مريض.

و اختتم بقوله بأنه سيعرف بعد فحصه فحصا شاملا. حيث قال : «سيدتي إن قدسية عملي توجب عليّ أن أوضح لحضرتك ......»

و قاطعته الأم القلقة بقولها : ماذا أيها الطبيب العزيز ؟

إن صحة ابنك ممتازة . و لكن الشيء غير القابل للجدل – أكمل بصوت غريب – هو أننا أمام حالة استثنائية : ابنك سيدتي ، حسب رأيي ، يعاني ممّا يسمى بالتفكير السلبي ، وبكلمة واحدة، فإن ولدك ما هو إلا فيلسوف سابق لعهده ، أو ربما عبقري على الأرجح .

كان خوان يداعب سنه المكسور في عتمة فمه.

ردد الأقارب والأصدقاء رأي الطبيب و استقبله والدا خوان بابتهاج صامت . و بفترة وجيزة ، أراد الشعب مقابلة الحالة التي حازت على الإعجاب ، «الفتى الأعجوبة» ، الذي انتشرت شهرته بسرعة كانتشار النار في الهشيم . حتى معلم الموسيقى في المدرسة الذي كان يعدّ خوان من أكثر الطلبة غباء ، ولكنه في النهاية خضع لمقولة «صوت الناس هو صوت السماء» . و أخذ كل شخص يدلي بدلوه ، يطرح مثالا شبيها بحال خوان ، فقائل يقول: دموستاناس كان يأكل الرمل ، وآخر يقول: شكسبير كان ولداً مشرداً أشعث الشعر، و ثالث يقول: أديسون...... ، وهكذا .

كبر خوان بينا محاطا بكتب مفتوحة أمام ناظريه، و لكنه لم يقرأها، فقد كان مشغولاً بتحسس المنطقة الصغيرة المسننة في سنه المكسور بمتعة كبيرة و دون تفكير .

و مع نمو جسده نمت سمعته بأنه رجل ذو حكمة ، حكيم و «عميق» . ولم يمل أحد من الإطراء على موهبة خوان الرائعة. و في ريعان شبابه ، حاولت أكثر النساء جمالا إغراء تلك الروح العظيمة ، ولكنه سلم نفسه بعمق للتأمل، وللآخرين ، و لكن بعتمة فمه المغلق كان دائما يحاول مداعبة سنة المكسور.

ومع مرور السنين كان خوان بينا يتقلد منصباً تلو الآخر فمن نائب إلى أكاديمي ومن ثم إلى وزير ، و كان على قاب قوسين أن يتوج رئيساً للجمهورية، عندما فاجأته سكتة دماغية ، مقبلة سنه المكسور بطرف لسانه .

قرعت الأجراس ، معلنة ذلك الصباح القاسي صباحا عالميا؛ و بكى الخطيب باسم الوطنية في صلاة الجنازة، و تساقطت الورود و الدموع حول قبر ذلك الرجل العظيم الذي لم يتسنّ له الوقت للتفكير .

---

*ولد الكاتب والصحفي ايميليو عام 1872 . أنشأ في العشرينات من عمره مجلة كوسموبوليس مع لويس م. اوريانيخا و بيدرو ثيسار دومينيثي، وقد نشروا في تلك المجلة الكثير من قصصهم و منها السن المكسور التي صنفت بأنها قصة كلاسيكية.

و في سنة 1925 نشر طبعته الأولى من روايته الثلاثية « إلهية الأشخاص»، التي عُدّت أهم أعماله ، مع كتبه الأخرى مثل الطريق الخفي سنة 1927، إضافة إلى ذلك فقد أضاف بعض الفوارق الدقيقة لمعرفته بالمغامرة الأدبية، توفي عام 1947.

**طالبة جامعية/ ك. اللغات الأجنبية



سحر اليدين

بقلم: برنار مونتو- فرنسا *

ترجمة : مدني قصري **

ذات يوم، بينما كان جاك وسيزار يتجولان في إحدى الغابات، إذا بهما يلمحان يحمورًا وقد طفا أمامهما فجأة على الدرب، على بعد بضعة أمتار. لقاءٌ سحري! توقّف الرجل العجوز بغتة، وهو يمدّ يديه بشكل شبه تلقائي نحو الحيوان. ومضت بضع دقائق ظل فيها الرجل واليحمور لا يحرّكان ساكنًا، ويسبر كلّ منهما الآخر، سبرًا يصل إلى قرار الروح. ثم ما لبث الحيوان أن واصل طريقه في هدوء. ولم يكد جاك يفيق من تأثير سحر تلك اللحظات، ويلتفت إلى صديقه القديم ليحدثه في أمر ذلك الحيوان، حتى باغته العجوز بوقوفه مرة أخرى أمام زهرة من أزهار الغابة.

أمرٌ لا يصدق! لقد أخذ يداعب الزهرة، بل لعله راح يخاطبها بصوت خافت أيضًا! وواصل العجوز وصديقه طريقهما، وما انفك جاك يترصّد، من طرف العين، حركات هذا الشخص الغريب. تُرى، كيف ينظر هذا الشخص إلى العالم، حتى يكون بهذا القدر من السعادة والغبطة ؟ ففي عيني هذا الشاب، كانت هذه الجولة جد ممتعة بالتأكيد، لكن، ليس فيها ما يدعو إلى بلوغ كل هذا القدر من الانتشاء.

صار تأمله أكثر حدة، وأخذ يسائل نفسه في حيرة: أين يعيش العجوز سيزار، وفي أي صقع كان يقيم، حتى يحبّ زهرةً أو يحمورًا؟ وفي المقابل، ما الذي يجعلني معوقًا فلا أرى من الأشياء إلا سطحها، فيما صديقي العجوز يغتبط بكل شيء من حوله؟ وفجأة شعر جاك أنه مقعدُ غبطة، وممسوخُ مُتعة، وبينما كان يتأهب لطرح سؤال جديد على الرجل العجوز، إذا بهذا الأخير يتوقف مرة أخرى، أمام دغلٍ من شجر النسرين البري، ويشرع في مداعبته بيديه.

– أتعرف، يا جاك! قال العجوز بصوت منخفض، زهرةُ النسرين هذه تحتاج إلى يد البستاني، حتى تصبح شجرةَ ورد! لكنّ، بفعل حبِّ اليد وحده تتفتّح الوردة، لكي تفتن البستاني بدورها !

نظر جاك إلى يديه المحمولتين في طرف ذراعيه. فرأى يدين جافّتين من المداعبات. وفجأة أدرك وقدّر أنه، بمقياس الحنان، كائن أمّيّ! وعلى الفور عادت إليه ذكرى الأجواء العائلية، حيث كان أبوه وأمه لا يلمس أحدهما الآخر على الإطلاق.

وتذكّر طفلا نحيفًا ما بين أبيه وأمه اللذين استأثرت بهما مشاغلهما وانشغالاتهما، فلم يجدا من الوقت لحظة لكي يرتمي كل منهما في حضن الآخر. كان جاك قد وصل إلى هذا الحد من الذكريات المؤلمة عندما توقف العجوز سيزار مرة ثالثة أخرى. فلعل العجوز قد شرع في البكاء، وأحسّ بألم صديق الصغير ومحنته؟ والحال أنه توقف فجأة أمام جاك الجامد، وهو يفتّش كل جانب من جوانبه، بنظرته العميقة التي امتلأت صبرًا لا حدّ له.

قلْ لي، يا جاك، أتعلم ؟ إن الإنسان يمكن أيضًا أن يصبح شجرة ورد رائعة، لو عرفنا كيف نداعبه، ومن أين نداعبه !

«أتعرف، يا سيزار، أجاب جاك وهو يشهق، أنا، أنا، في الأخير..أجل، كنت أريد أن أقول لك، إنني لا أعرف كيف أستعمل يديّ مثلك، لأنني، وأنا طفلٌ صغير،لم تحضني ذراعا أمي..على الإطلاق، أبدًا! وهو يردد باكيًا : لم تحضني ذراعا أمي..على الإطلاق، أبدًا!»

تقدّم نحوه سيزار، وفتح إليه يديه، مثلما فتحهما لليحمور، وأخذه بين ذراعيه، في رقة متناهية. وبكى جاك طويلا من هذه الأحضان الدافئة، وكأنه غسل من فوق الزمن، كافة آلام طفولته. ثم هدأ روعه، وصفت نفسه، واطمأنت روحه، فاستعاد ابتسامه. في هذه اللحظة أمسك سيزار بيديه ثم همس في أذنيه:

أرأيت يا صديقي! الإنسان أيضًا بإمكانه أن يصبح شجرة ورد رائعة، فقط بقوة الحب، والأيادي السحرية!

الغسيل النفسي

حدث ذات مساء أن كان جاك في زيارة لصديقه العجوز سيزار. بعد أن سهرا إلى ساعة متأخرة من الليل، أحس جاك أن النوم قد عصي عليه، فأرِق واضطرب. وبعد أن تقلّب في فراشه، وفي رأسه ألف مرة ومرة، قرّر أن ينهض لكي يشرب كوب ماء، أو يقرأ مجلة من المجلات...أراد، باختصار، أن يفعل شيئًا حتى تسترخي أعصابه التي وتّرها الأرق. وحينما وصل إلى المطبخ وجد العجوز عاكفًا على تصليح طاحونة بُنٍّ قديمة، ادعى العجوز أنها طاحونة لا تعوّض.

– ما خطبك يا صديقي؟ سأله سيزار.

– لم أهتدِ إلى النوم، هذا المساء! ولست أعرف ما الذي أصابني.

واصل سيزار عمله في هدوء، وهو يشحم بإتقان المسامير القديمة التي تثبت ذراع تدوير الطاحونة، دون أن يرفع عينيه، ثم قال في صوت لا يكاد يُسمع، وكأنه يهمس لنفسه:

– لكن، يا صديقي، أتعلم فيم يُفيد الليل؟

- للنوم، بالطبع، أجاب جاك بلا تردد.

- أجل، بالطبع! لكن هناك طريقتين للنوم، أتعرف؟ النوم من أجل التعويض عن تعب النهار، والنوم من أجل غبطة الروح وسحر الألباب. إنّ معظم الناس لا يعرفون سوى الليالي الخالية من الراحة المنشودة. وما أندر الناس الذين سيحدثونك عن لياليهم الإلهامية. آهٍ، يا صديقي القديم، لم كنتَ تعلم كم هو النوم غامض! وخفي!

وساءل جاك نفسه في حيرة، إلى أين سيجرّه مرة أخرى هذا الصديق القديم، الذي صار مُعلّمًا في عينيه ؟! لكنّ جاك أدرك أن الأمر لا يحتاج لأن يكون عرّافًا حتى يعرف الحقيقة! فالأمر مألوف لـ سيزار بالتأكيد. فكل شيء عنده يبدأ على هذا النحو، بمحادثة قصيرة هادئة. ثم لا يلبث أن يبهرك بشيء مذهل، وكأن شيئًا لم يكن! لكن إلى أي مكان يريد أن يصل؟ وما لبث العجوز، أن استأنف حديثه قائلا:

- أتعلم، على الأقل، أين يكمن أوج وسخِنا أكثر، بعد مرور يوم كامل علينا؟ لا تقل إنهما اليدان أو الرِّجلان ! لا، لا!...إن رؤوسنا هي التي تكون وسخة أكثر ! لماذا ؟ لأننا نمضي أيامنا كلها في الحكم على ذواتنا بلا انقطاع، لأنّ في كل لحظة من لحظاتنا يأتي تعليقٌ لكي يضع أصبعه على صِغرنا وضآلتنا. لأننا في كل لحظة ننتقص من قيمتنا، ونحط من شأننا! هذا هو الذي يسبب وسخنا في كل وقت!

كيف يمكنك أن تنام هانئًا مع كل هذه القذارة في داخلنا؟ يا صديقي، لا بد من غسيل نفسي حتى نستطيع قضاء ليلة طيبة، مثلما يفعل الغسيل البدني تمامًا! ليس الأمر أبسط وأسهل من هذا ! ولو فعلت لنمت مثل الطفل تمامًا !

- وماذا تقصد بالغسيل النفسي؟

- الأمر في غاية البساطة! حسبك، عند المساء قبل النوم، أن تستعيد كل لحظات يومك منذ لحظة اليقظة. ثم حاولْ أن تعيش في ذهنك، وبصورة أفضل، كل اللحظات التي لم تُشعرك بالفخر والاعتزاز. وعلى هذا النحو سوف تمحو الحكم ضدك وأنت تلاحظ ما كان ينبغي عليك أن تكون، بدلا من أن تعاتب وتلوم نفسك وتقول ليتني ما قلت، أو ما فعلت، أو ما كنت كما كنت! عندئذ، يصبح الهمّ أقلّ وطئاً، فتنام مثل طفل رضيع. أفهمتني؟ آه لو كنت تعرف كم هي الحياة الجوانية أسهل ليلا ! بعد أن تتوارى الحياة البرانية ! لكن لا بد من أن نتهيأ لسحر الليل وفتنته، بكامل عقولنا، حتى نسمع الأحلام، التي تسحر الألباب، وتكشف لنا عن طاقاتنا الكامنة وعالم الأساطير الجميلة!

---

* ولد الفرنسي برنار مونتو العام 1951، وقد عاش، بسبب صحته الهشة، بعض العزلة في طفولته، لكن هذه العزلة أغنته بتجارب جوانية عميقة. درس فلسفة الطاوية الصينية، وغاص في دراسة النصوص المقدسة القديمة.من مؤلفاته "سيزار الكشّاف"، وهي قصة شاب يُدعى جاك، يبحث عن شيخ صوفي. فجاء الكتاب رواية أخلاقية سامية.

** كاتب وصحافي جزائري



موت بقرة...

بقلم : ليام اوفلاهرتي- أيرلندا *

ترجمة: نسرين أبو زيد**

ولد العجل ميتاً ... ما إن وطئ جسده الأرض حتى انسدل رأسه بهدوء على جسده المرتخي. أطرقت زوجة المزارع رأسها بأسى وتمتمت: تلك إرادة الله ... اقتربت البقرة من وليدها وأخذت تشمّه وتلعق الجسد الساكن وخوارها يعلو كأنها تناجيه ليقوم ويتحرك رغم أنها كانت ما زالت تعاني آلام الولادة، فاقتربت زوجة المزارع منها وأخذت تربّت على رأسها بحنان ومواساة فهي أيضاً أم.

واستمرّت آلام الولادة بينما البقرة تنظر ناحية العجل الساكن بقلق ... فأخذوها إلى زاوية الحقل وبقيت شاخصة بنظرها نحو الوليد وذيلها يضرب جنبيها بقلق ظاهر.

وظناً منهم أنهم سينهون قلق البقرة بمجرد إبعاد الوليد قاموا بجر العجل السّاكن ناحية السور ليقطعوا به حقلاً آخر وآخر حتى وصلوا إلى هضبة مرتفعة مطلّة على البحر، فرموه إلى أسفل نحو الصخور.

أثناء ذلك قامت المرأة بإحضار وجبة ساخنة للبقرة مكونة من دقيق الشوفان لكنها أبقت فمها مغلقاً احتجاجاً على أخذ وليدها بعيداً... فأجبروها على ابتلاعه. ابتلعت نصفه ورمت بالنصف الآخر جانباً.

ظلّت البقرة مستلقية قرب السور لمدّة طويلة ، بعد أن غادرها الجميع متوجهين نحو المنزل، حتى خف ألمها ووقفت فجأة على قدميها وهي تتلفّت يميناً وشمالاً تبحث عن أثر لوليدها، وقد بدأ خوارها بالارتفاع أكثر وأكثر بعد أن اتضح لها مدى خسارتها. وبدأت تشتمّ الأرض من حولها متعثّرة بالعشب النامي حولها.

وقفت إلى جانب السور حيث فاجأها المخاض والعشب مائل تحت ضغط جسدها الثقيل، أخذت تشتم حيث كان الوليد مستلقيا قرب السور..... وأخذت تخمن بعقلها البليد :

آين يمكن آن تقودها الرائحة؟؟؟ . وبغباء، ودون آي تفكير اقتحمت السور المرصوص بالحجارة بجسدها الثقيل. فأصابتها الحجارة بجروح في جسدها لكنها لم تكترث. بل إنها لم تشعر بأي ألم... واستمرت تنوء بثقلها على سور الحجارة حتى انهار أسفلها. لم تكترث للألم الذي حل بها بل إن فكرة واحدة سيطرت على تفكيرها وهي كيف تصل إلى وليدها!

قطعت الحقل أمامها لتفاجأ بسور آخر من الحجارة، فأطبقت بجسدها الثقيل عليه... ورغم الجروح الكثيرة التي أصابت جسدها لكنها لم تشعر بها بل استمرّت تنوء بثقلها عليه حتى انهار أمامها أيضاً.

أخذت تشتم الرائحة، وتعدو بخفة، فقد أحست أنها اقتربت لتجد ضالتها. وصلت إلى أعلى المرتفع وفوجئت بالبحر يهدر أسفلها وبينما الأمواج ترتطم على الصخور وطيور البحر تصدح أعلى زبد البحر اقتربت بحذر من أعلى التلة حيث ينتهي العشب وتنحدر الصخور بحدّة إلى أسفل. تراجعت إلى الخلف مذهولة. واقتربت بحذر تنظر إلى أسفل المنحدر نحو البحر، فأثر وليدها ينتهي هنا ولا تستطيع تقفّي الأثر أكثر. لقد ضاع لها أي أمل بإيجاده أمام هذا المنحدر الصخري الشاهق.

حاولت أن تشتم أي رائحة فلم تخترق أنفها سوى رائحة رذاذ البحر المتطاير ، وألقت بنظرها من جديد لتفاجأ بجسد وليدها مستلقياً أسفل الصخور.

أطلقت صرخة مدوية لاكتشافها العظيم!! أخذت تتحسس طريقها أعلى المرتفع تبحث عن طريقة للنزول تارة بقدميها وتارة تزحف على ركبتيها، وتنظر إلى أسفل لعلّها تجد طريقا للنزول ولكن لا أمل .

اقتربت وضربت بحافرها الصخر؛ ولكن لم يكن هناك مكان لقدميها سوى منحدر بطول ألف قدم حيث يرقد وليدها أسفله.

وقفت تنظر إلى أسفل لمدة طويلة، وبدأت تخور منادية.. لكن ما من مجيب، ومن ثم لمحت الأمواج العالية تطبق على العجل المستلقي على الصخور فأخذت تخور بقوة محذرة إياه.

وتعاقبت الأمواج لتحيط بالجسد الساكن فأخذت البقرة تخور وتضرب الهواء بقرنيها بحدّة كأنها تحاول منع الأمواج.

ثم أتت موجة كبيرة ... لتنقضّ على العجل وتأخذه بعيداً عن الصخور والبقرة تندفع بأقصى قوتها أسفل المرتفع نحو وليدها.

خذوا الحكمة من الصغار

بقلم : ليوتولستوي – أيرلندا

عيد الفصح، حيث البيوت والطرقات تغلقها الثلوج، بعد خروج الناس من الكنيسة التقت الفتاتان اكيوليا ومالاشا، أخذتا تستعرضان ثياب العيد وانطلقتا للعب بجانب بقعة من المياه الموحلة، فما كان من اكيوليا سوى أن قامت بنزع حذائها وجواربها، وتبعتها مالاشا.

«إن المياه عميقة وأنا خائفة» علقت الصغيرة مالاشا، ولكن اكيوليا طمأنتها بأن المياه لن تكون أعمق من هذا، عندما اقتربتا من وسط البقعة حذرت اكيوليا صاحبتها: «انتبهي ولا تنزلي قدمك بقوة حتى لا تلوثي ثيابنا».

ما كادت اكيوليا تنطق بتحذيراتها حتى كانت قدم مالاشا تنزلق بقوة وتناثر الماء العكر ليصيب ثياب اكيوليا ووجهها وأنفها.

سيطر الغضب على اكيوليا ولحقت مالاشا تريد ضربها، لكن الأخيرة لملمت نفسها ولاذت بالفرار، صادف مرور والدة اكيوليا، فصاحت غاضبة: «ما هذا أيتها الفتاة القذرة الغبية؟».

«لست أنا يا أمي .... إنها مالاشا» ...... أجابت اكيوليا.

ما كادت تسمع هذا حتى أمسكت والدة اكيوليا بمالاشا وصفعتها بقوة على رقبتها، تصاعد بكاء الطفلة كقنبلة مدوية أسمع كل سكان الشارع.

«لماذا تضربين ابنتي؟!» وعلا صراخ والدة مالاشا وبدأت تقذف الكلمات النابية بوجه والدة اكيوليا.

تجمع الرجال حول المرأتين – الكل يصرخ – لا أحد يستمع – وقد وصل الشجار ذروته عندما وجه أحدهم لكمة إلى وجه رجل واقف ليستطلع ما يحدث.

وهكذا تطور الشجار إلى اشتباك بالأيدي، واقتربت جدة اكيوليا تحاول تهدئة الوضع، قائلة: «ماذا دهاكم أيها الناس؟ هل من الحكمة الشجار في مثل هذا اليوم .. إنه عيد التسامح والمحبة .. لم يلتفت أحد إليها بل كادوا يرمونها أرضاً.

فما كان من الفتاتين الصغيرتين – اكيوليا ومالاشا – إلا أن قامتا بمساعدتها للابتعاد عن دائرة الشجار.

قامت اكيوليا بتنظيف ثيابها ووجهها وانطلقت تحفر الأرض بوساطة حجر وتبعتها مالاشا، استمرتا هكذا حتى تدفقت المياه من البقعة وبدأت تغزو الشارع، وتصاعد ضحك الفتاتين.

رأتهما الجدّة العجوز وقالت معلقة مخاطبة المتعاركين: «أنتم تتشاجرون من أجل فتاتين تلعبان مع بعضهما، إن الصغار لأحكم منكم» .

توقف الجميع وتحوّلت الأنظار نحو الفتاتين، شعر الجميع بالسخف، وغمرهم الخزي والضحك معاً، ثم انصرف كل منهم إلى منزله.

إن حدث وتحولت إلى طفل ... فستعبر ولا شك إلى مملكة الرحمة والتسامح.

---

* الكونت ليف نيكولايافيتش تولستوي (1828 – 1910)، من عمالقة الروائيين الروس ومن أعمدة الأدب الروسي في القرن التاسع عشر. كان روائياً ومصلحاً اجتماعياً وداعية سلام ومفكراً أخلاقيا . من أشهر أعماله روايتا (الحرب والسلام) و(أنا كارنينا) اللتان تتربعان على قمة الأدب الواقعي، فهما يعطيان صورة واقعية للحياة الروسية في تلك الحقبة الزمنية.

* ولد أفلاهورتي عام 1896 في أيرلندا لأب مزارع كثير العيال، كان موهوباً برغم انهياراته العصبية، كتب 160 قصة و 16 رواية ومسرحية واحدة، كان يتجنب التلفزيون والصحافة.

** مترجمة أردنية





Sonnet



بقلم: وليم شكسبير- بريطانيا *

ترجمة: ياسمين محمد مسلم**

Sonnet 18

هل من نظيرٍ في جمالك بين أيام الربيعْ
فالريح يومًا سوف تَعصف بالزُّهَيرات الحبيبةْ
ولربما استعرَتْ بنار الشمس آفاقُ السماءْ
كل الجمال سينزوي ويُساق حتمًا للزوالْ
لكن صَحوك سرمديٌّ ليس يَذوي أو يزولْ
لكِ حسنك الباقي فلا تحظى به ظُلَلُ الردى
لكِ حسنك الباقي فلا تحظى به ظُلَلُ الردى
ما دام إنسانٌ لينبضَ أو عيونٌ رائيةْ

بل أنت أبهى منه صحوًا واعتدالا لا يضيعْ
ويَغيبُ عنا ذا الربيع بُعَيدَ آجالٍ قريبةْ
ولربما استعرَتْ بنار الشمس آفاقُ السماءْ
وتدُور دائرةُ الزمان عليه من حالٍ لحالْ
لن تُسلبي هذا الجمالَ ولا لغيرك قد يؤولْ
بل سوف يبقى في السطورِ السرمديةِ خالدًا
بل سوف يبقى في السطورِ السرمديةِ خالدًا
فستخلدينَ على المدَى بين الحروفِ الباقيةْ





Sonnet 30

بما في هذه القاعاتِ من صمتٍ يثيرُ البالْ
وفيِ تنهيدتيِ الثكلى على ما ضاع من آمالْ
وأغرِق بالبكا عيني، وكم أنفَتْ عن العبَراتْ
وأنعيِ سالف الحب، وأبكيِ غابر الحسراتْ
أجدد نوحَ آلاميِ على نوحٍ مضَتْ شكواهْ
أعيد حساب أحزانيِ وما دأبتْ عليه الآه
ولكن يا صديقَ الروحِ، ما إن طُفتَ بالروحِ
فيدعو من رُبا الماضيِ وذكراه صدى اللوعاتْ
وفيِ حزنيِ على ما فاتَ، أقضيِ أثمن الساعاتْ
لِفَقْدِ أحبّةٍ غابوا بغفلةِ ليلةٍ ظلماءْ
وأبعثُ آهتيِ حزنًا لخسرانيِ شذا الأشياءْ
ومن حزنٍ إلى حزنٍ، أردّدُ قسوة الزفراتْ
وأقضيِ مرة أخرى شجوننا سُدّدتْ مراتْ
تُرَدّ خسائرَ العمرِ وتخبو الآه بجروحيِ

Sonnet 65

ما من نحاسٍ أو صخورْ... ما من سهولٍ أو بحورْ
فبأي عذرٍ قد يلوذُ الحسنُ من مقتِ الردَى
بل كيف يصمدُ ذا النسيمُ العذبُ نو العمر القصيرْ
والصخرُ لم يصمدْ بكل شموخهِ، وغدا سُدى
ويليِ من التفكير فيِ هذا، وآهات تمورْ
بل مَن له تكبيل أرجله المجاوزةِ المَدَى
لا شيءَ ، إلا محض معجزةٍ لها فعلٌ جَسورْ:
إلا عليها من غِمار الموتِ سلطانٌ يثورْ
وملاكُ كل قُواه لم يفضُل على ما للزهورْ
فيِ وجه أيام مهشّمة تحاصره ... تدورْ
وكذا مداخل من حديدٍ حطّها مَرٌّ الدهورْ
أين الفرار بدُرّة الدهر المُولّد للقبورْ
أو منعه عن ذا الجمال، فلا يَبيد ولا يبورْ
فلعل حبيِ خالدٌ بين الحروفِ مُنى ونورْ

---

* مسرحي وشاعر وممثل إنكليزي (1564– 1616)، يُعدّ واحداً من أهم كتّاب المسرح في العالم، وأهم كاتب باللغة الإنكليزية،، يوصف بشاعر إنكلترا الوطني، وشاعر أفون، أو ببساطة الشاعر The Bard. تحتوي أعماله على ثمانٍ وثلاثين مسرحية، 154 سوناتا، وقصيدتين روائيتين طويلتين. تُرجمت مسرحياته إلى اللغات الحية الرئيسية في العالم كافة، وهو المسرحي الذي مثلت مسرحياته أكثر من غيرها.

** شاعرة ومترجمة مصرية





حمل استعارة المرأة المشتهاة المشتهية على الأرض
في كل طقوس التبرج والخصب

من "عرس الزين" بدأ الطيب صالح

أ.د إبراهيم السَعافين *

ما يسترعي انتباه دارس أدب الطيب صالح تلك الألفة الحميمة التي تربطه بالواقع والحياة والأحياء، فتراه ينغمس في الحياة كأنه لا يحكي حكاية المكان أو الناس من مسافة ما تفصله عنهم ولو كانت ضئيلة، ولكن هذه الألفة تلغي الفواصل وتجعله كأنه متوحد في الزمان والمكان والناس، وكأنه يحكي حكايته هو، فلا نشعر بالمسافة الفاصلة وإن كان بالفعل يقف من المكان والزمان والشخصيات مسافة تمكنه من معرفتها وتحليلها تحليلاً يستبطن ذكاء ومعرفة وحدة نظر تلفت القارئ أول وهلة.

وإذا كان الدارسون وقفوا عند روايته "موسم الهجرة إلى الشمال" وقفة أطول واحتفوا بها احتفاء شديداً لأسباب مختلفة، فإن متأمل أدب الطيب صالح لا يستطيع أن يتجاهل رواياته الأخرى ولاسيما "عرس الزين" التي كانت اللبنة الأساسية في رسوخ قدمه وشهرته، ولعلها التي تفسر بعض النماذج والثيمات التي ظهرت في روايته "موسم الهجرة إلى الشمال"، بل لعلها تفسر الرؤية الأساسية التي ينطلق منها الطيب صالح في رؤيته للناس والحياة، وهي خلاصة الرؤية الصوفية التي أثرت في حياته وفي كتابته تأثيراً كبيراً.

اختار الطيب صالح في روايته "عرس الزين" نموذجاً روائياً غير قابل للاحتواء أو الحصر في مقومات عقلية أو روحية أو مادية فهو قابل للتشكل والتحول، على الرغم من قدرته على المحافظة على جوهر قابل

هو أيضاً للتأويل؛ فمن يتعرف إلى صورته الأولى في الرواية لا يمكنه إلا الإشفاق على شخصيته إن لم يكن ازدراءها، ولكن تحولات كثيرة تطرأ على الشخصية تجعل القارئ غير متثبت من حقيقتها ومن مآلها. فالشخصية تمتلك بعدين يبرزان كلاهما بقوة: الجانب المادي وتمثلاته في مساعدة النساء في جلب الماء وفي معابثتهن، والجانب الروحي الذي يتمثل في السمو والحب ونحو ذلك، في القوة المفرطة التي تبدو أسطورية أحياناً وفي الوداعة والهدوء المطمئن، في محبة الناس والتغاضي عن سيئاتهم وفي الكراهية والحقد، وكأنه يحمل بين جانبيه هذه التناقضات في الإنسان.

تبدأ القصة بانتشار شائعة بين الناس يرددها الأطفال في الشارع بأن الزين على وشك الزواج، إذ يبدو، أول وهلة، أقرب إلى البله يستقطب سخرية الأطفال وتعليقاتهم المتهكمة، مما يجعلنا نقترب من شخصية غريبة أقرب إلى الشخصية الأسطورية يجتمع عليها العجائبي والغرائبي، فهو على عكس الأطفال الذين يستقبلون الحياة بالبكاء:

"يولد الأطفال فيستقبلون الحياة بالصريخ، هذا هو المعروف ولكن يروى أن الزين، والعهدة على أمه وعلى النساء اللاتي حضرن ولادتها، أول ما مسّ الأرض انفجر ضاحكاً وظل هكذا طول حياته. كبر وليس في فمه غير سنين واحدة في فكه الأعلى والأخرى في فكه الأسفل. وأمه تقول إن فمه كان مليئاً بأسنان بيضاء كاللؤلؤ. ولما كان في السادسة ذهبت به يوماً لزيارة قريبات لها، فمرّا عند مغيب الشمس على خرابة يشاع أنها مسكونة، وفجأة تسمر الزين مكانه وأخذ يرتجف كمن به حمى، ثم صرخ. وبعدها لزم الفراش أياماً، ولما قام من مرضه كانت أسنانه جميعاً قد سقطت، واحدة في فكه الأعلى، وأخرى في فكه الأسفل.

> **"يولد الأطفال فيستقبلون الحياة بالصريخ، هذا هو المعروف ولكن يروى أن الزين، والعهدة على أمه وعلى النساء اللاتي حضرن ولادتها، أول ما مسّ الأرض انفجر ضاحكاً وظل هكذا طول حياته"**

كان وجه الزين مستطيلاً ناتئ عظام الوجنتين والفكين وتحت العينين جبهة بارزة مستديرة، عيناه صغيرتان محمرتان دائماً، محجراهما غائران مثل كهفين في وجهه، ولم يكن على وجهه شعر إطلاقاً. لم تكن له حواجب ولا أجفان، وقد بلغ مبلغ الرجال وليست له لحية أو شارب.

تحت هذا الوجه رقبة طويلة، (من بين الألقاب التي أطلقها الصبيان على الزين"الزرافة") والرقبة تقف على كتفين قويين تتهدلان على بقية الجسم في شكل مثلث. الذراعان طويلتان كذراعي قرد. اليدان يظنان عليهما أصابع مسحوبة تنتهي بأظافر مستطيلة حادة (فالزين

لا يقلم أظافره أبداً)، الصدر مجوف، والظهر محدودب قليلاً، والساقان دقيقتان طويلتان كساقي الكركي. أما القدمان فقد كانتا مفرطحتين عليهما آثار ندوب قديمة (فالزين لا يحب لبس الأحذية) وهو يذكر قصة كل جرح من هذه الجروح".

ومن الغرابة أن الناس لا يأخذون تصرفاته مأخذ الجد فهو يخطب الفتيات من آبائهن دون حرج على نحو ما نراه يخطب علوية ابنة محجوب من أبيها فيعده بأن يزوجه إياها بعد موعد جني الغلال، ويشهد الحضور على وعد محجوب ويقبل الجميع بالشهادة. ويستمر حب الزين لفتيات القرية، وكان قد خطب عزة ابنة العمدة الذي استغل حبه لابنته فسخره ليقوم بأعمال شاقة ثم تزوجت ابن خالها الذي يعمل مساعداً لطبيب، ويخطب فتاة من بنات البدو تعرض نفسها عليه ولكنها تتزوج من آخر. ويستمر الآباء والبنات أيضاً بقطع الوعود، ويبدو أن الوعود لم تكن إلا إشفاقاً على الزين دون أن تحمل على محمل الجد، والغريب أيضاً أن الزين كانت استجابته غير متوقعة؛ إذ نراه يسامح بسرعة وتجرد، بل يقوم بالخدمة في أعراس هؤلاء الفتيات الواعدات، ويستقبل الأمر على غير المتوقع أو المعهود:

" وحين يقام العرس، نفتش عن الزين، فنجده إما مسخراً يملأ القلل والأزيار بالماء أو واقفاً في منتصف الساحة عاري الصدر. في يده فأس يكسر به الحطب أو بين النساء في المطبخ يعابثهن ويعطينه من آن لآخر قطعاً من الطعام يملأ بها فمه، وما يفتأ يضحك ضحكته التي تشبه نهيق الحمار، وتبدأ قصة حب أخرى.. وكان الزين يخرج من كل قصة حب كما دخل، لا يبدو عليه تغيير ما. ضحكته هي لا تتغير وعبثه لا يقل بحال. وساقاه لا تكلان عن حمل جسمه..".

> **"الرواية أقرب في تصنيفها العام إلى الرواية الواقعية الجديدة التي تنحو منحى عدم الوثوقية في رؤية العالم"**

على أن الأيام تكشف عن وجه جديد للزين، فقد انتقم من سيف ابن البدوي انتقاماً شديداً، فقد ضرب رأس الزين بالفأس حين عض أنف أخته العروس، ولكن حادثة ألمت جعلت الزين يكاد يخمد أنفاسه، بل قيل إنه مات فعلاً وبدأ يروي صورة عالم ما بعد الموت. لقد كشف الزين عن قوة أسطورية، فهو أكول يأكل ما يأكله عدد من الرجال، ويقوم بأعمال شاقة، وقوته تفوق قوة عدد من الرجال مجتمعين.

"... إنهم يرتعدون روعاً كلما ذكروا أن الزين أمسك بقرني ثور جامح استفزه في الحقل، أمسك به من قرنيه، ورفعه عن الأرض كأنه حزمة قش وطرح به ثم ألقاه أرضاً مهشم العظام، وكيف أنه مرة في فورة من فورات حماسه قلع شجرة سنط من جذورها وكأنها عود ذرة..."، هذه الحادثة تركت أثراً كبيراً في حياة القرية، فقد ظهر

شيء جديد هو دور الحنين في حياة الزين، وهو الدور الذي استغلته أم الحنين لإشاعة أن الزين مبروك، وأنه قال ما يشير إلى مستقبل زاهر للزين، لقد قال له الحنين وقد عجز كل الرجال الأشداء الذين ينتمون إلى عصبة محجوب من افتكاك سيف الدين من بين يدي الزين: "الزين. المبروك. الله يرضى عليك" وقد غيرت حادثة الحنين سيف الدين ابن البدوي فتغيرت معاملته تغيراً كاملاً من الضد إلى الضد، فبعد أن كان فاسقاً عاقاً قاسياً جلفاً انقلب إلى التقوى والبر والعمل والإنسانية، وكانت مصالحة سيف الدين والزين مصداقاً لهذا التحول العجيب.

لقد أفاد الطيب صالح في إضفاء شيء من الطاقة الروحية على كل شيء حتى على الأرض وجعلها تتحول في رؤيتها وموقفها كما يتحول المريد، وحمل استعارة المرأة المشتهاة المشتهية على الأرض في كل طقوس التبرج والخصب؛ وقد ظهر هذا في تحول الزين الظاهري بعد أن تعرض لضربة الفأس وعولج في المستشفى وخرج وكأنه كائن آخر تعرض لتطهير نفسه وجسده، مما بهر الناس وجعل ابنة عمه نعمة ترى فيه وسامة لافتة:

"ولما عاد الزين من المستشفى في مروى حيث ظل أسبوعين كان وجهه نظيفاً يلمع وثيابه بيضاء ناصعة. وضحك فلم ير الناس كما عهدوا سنين صفراوين في فمه، ولكنهم رأوا صفاً من الأسنان اللامعة في فكه الأعلى، وصفاً من أسنان كأنها من صدف البحر في فكه الأسفل. وكأنما الزمان تحول إلى شخص آخر. وخطر لنعمة وهي واقفة بين صفوف المستقبلين أن الزين في الواقع لا يخلو من وسامة".

وتبدو صورة التغير المادية في التطور الذي طرأ على ملامحه الخارجية وهو في العرس:

"نحرت الإبل وذبحت الثيران، وكانت قطعان من الضأن على جنوبها. كل أحد جاء أكل حتى شبع وشرب حتى ارتوى. وكان الزين يبدو مثل الديك، لا بل أجمل، مثل الطاووس، ألبسوه قفطاناً من الحرير ومنطقوه بحزام أخضر، وعلى ذلك كله عباءة من المخمل الأزرق، فضفاضة يملؤها الهواء وكأنها شراع، وعلى رأسه عمامة كبيرة تميل قليلاً إلى الأمام، وفي يده سوط طويل من جلد التمساح. وفي إصبعه خاتم من الذهب، يتوهج في ضوء الشمس نهاراً ويلمع تحت وهج المصابيح بالليل، له فص من الياقوت، في هيئة رأس ثعبان".

ومن الغريب أن الزين كان يذوق الجمال والحسن والأدب: "ومهما قال الناس عن الزين، فإنهم يعترفون بسلامة ذوقه، فهو لا يحب إلا أروع فتيات البلد جمالاً وأحسنهن أدباً وأحلاهن كلاماً".

وتبدو صورة نعمة لا تقل غرابة عن صورة الزين؛ فهي تسلك سلوكاً يخالف مألوف حياة النساء في القرية ولاسيما الفتيات، فهي عنيدة لا تقبل إلا ما تحب ومن تحب، وقد أرغمت والدها على أن تذهب إلى الكتاب وليس فيه إلا الصبيان، وهي تصفع امرأة قبلتها وضايقتها صفعة قوية على الرغم من أن المرأة فعلت كما تفعل النساء في العادة، وقد طمع في الزواج منها الناظر الطريفي وطمع في الزواج منها

ابن آمنة، ولكنها اختارت الزين وهي التي كلمته مما أثار استغراب محجوب وعصبته، أحمد إسماعيل وعبد الحفيظ وحمد ود الريس، والطاهر الرواسي وسعيد صاحب الدكان. ولعل اختيار نعمة لابن عمها الزين لا يكشف عن البعد الرمزي لشخصية نعمة وحسب، ولكنه على الرغم من أن اختيارها جاء عقب منام رأت فيه الحنين يطلب منها أن تتزوجه، يؤكد البعد الرمزي الغرائبي لشخصية الزين. إن شخصية الزين تقف مع شخصية الحنين وسطاً بين جماعة محجوب وبين شخصية الإمام الذي انضم إليه سيف الدين بعد توبته. كان الزين قريباً من عالم المهمشين العبيد الذين تحرروا ولم يجدوا من يحدب عليهم من مثل موسى الذي طرده سيف الدين الفاسق بعد موت والده البدوي، فقد أعطاه معزة وبنى له عريشاً إلى جانب عمشاء الطرشاء وموسى الأعرج. مثلما كان الزين دائم الضحك منذ رأى النور، يذهب إلى الواحة ويرقص ويشارك في الأفراح ويكره الإمام وما دخل المسجد قط ولكنه متوحد مع ولي الله الحنين الذي وعده بالزواج من أفضل فتيات القرية: "الحنين قال لي قدامكن كلكم: باكر تعرس أحسن بنت في البلد.. نعمة بنت الحاج إبراهيم"، وهو أقرب الناس إلى جماعة محجوب الذين بيدهم أمر القرية وجمعياتها ولا يستطيع أحد يأتي من الخارج أن يفرض رأيه عليهم؛ هم الذين يقومون بأمر الأفراح والأتراح، وهم الذين يقومون بالفلاحة ويتعبون ليحصلوا على ثمرة عملهم وهم يجتمعون ليأكلوا من خيرات الأرض وماشيتها، والنساء لا عمل لهن إلا إطعامهم بعد العودة من أعمالهم. كانت المشاركة تدل على أن ما يجمعهم أكثر مما يتفردون به على الرغم من أن كل واحد منهم له شخصيته المستقلة.

> "
> **"وتجتمع في نهاية الرواية الحياة والموت تعبيراً رمزياً عن الامتداد والجدلية، ويتبدى ذلك في اختفاء الزين أثناء الاحتفال بعرسه... وقد وجدوه أخيراً بعد طول بحث في المقبرة يبكي أمام ضريح الحنين"**
> "

وتجتمع في نهاية الرواية الحياة والموت تعبيراً رمزياً عن الامتداد والجدلية، ويتبدى ذلك في اختفاء الزين أثناء الاحتفال بعرسه فهب محجوب وعصبته للبحث عنه ووجدوه أخيراً بعد طول بحث في المقبرة يبكي أمام ضريح الحنين. سأله محجوب لماذا ترك عرسه وجاء إلى المقبرة:

" لم يرد ولكن بكاءه اشتد حتى أصبح شهيقاً حاداً. وقفوا وقتاً يراقبونه في حيرة ثم قال الزين في صوت متقطع يتخلله النحيب: "أبونا الحنين إن كان ما مات كان حضر العرس". ووضع محجوب يده على كتف الزين وقال له: "الله يرحمه. كان راجل مبروك، لكن الليلة ليلة عرسك الراجل ما يبكي ليلة عرسه يا الله أرح". وقام الزين وسار معهم. وصلوا الدار الكبيرة، حيث

أغلب الناس، فاستقبلتهم الضجة، وغشيت عيونهم أول وهلة من النور الساطع المنبعث من عشرات المصابيح، كانت فطومة تغني، والدلاليك تزمجر، وفي الوسط فتاة ترقص، وحولها دائرة عظيمة فيها عشرات الرجال يصفقون ويضربون بأرجلهم ويحمحمون بحلوقهم. انفلت الزين، وقفز قفزة عالية في الهواء فاستقر في وسط الدائرة ولمع ضوء المصابيح على وجهه. فكان ما يزال مبللاً بالدموع. صاح بأعلى صوته ويده مشهورة فوق رأس الراقصة:

"أبشروا بالخير.. أبشروا بالخير"وفار المكان، فكأنه قدر يغلي القدر نفث فيه الزين طاقة جديدة، وكانت الدائرة تتسع وتضيق، والأصوات تغطس وتطفو والطبول ترعد وتزمجر، والزين واقف في مكانه في قلب الدائرة، بقامته الطويلة وجسمه النحيل، فكأنه صاري المركب".

لقد كان الزين أقرب إلى رؤية الطيب صالح ربما من الراوي في"موسم الهجرة إلى الشمال" وكان بكل تأكيد نقيضاً لمصطفى سعيد في الرواية نفسها، وربما كانت حسنة بنت محمود تطوراً لشخصية نعمة، فقد كان القول عند كل منهما يعني الفعل.

وليس بوسعنا أن ننهي الكلام قبل الإشارة إلى أن هذه الرواية أقرب في تصنيفها العام إلى الرواية الواقعية الجديدة التي تنحو منحى عدم الوثوقية في رؤية العالم، إذ يتسع المجال لتعدد التأويل والتفسير ولحضور روايات متعددة للحكاية الواحدة أو الخبر الواحد وتتقاطع مع الواقعية السحرية التي عرفتها أمريكا اللاتينية، مثلما تجتمع في لغتها البلاغة الكلاسيكية التي تذكرنا بلغة طه حسين في الأيام واللغة الشعرية التي تجترح صورها من عالم شعبي يصنع معجمه الخاص.

---

* أستاذ جامعي/ ك. الآداب





الشّاب الأسمر القادم من أدغال إفريقيا.. يفترس النساء ببخور الصندل وحكايات الحب

الطيّب صالح:
صقيع برغم الأحضان الدافئة

بنان الصبيحي *

لم يجهدني قلمي في الحديث عنك يا طيب الذكر؛ فصيتك الطيب عبق في حياتك وفي هجرتك إلى مستقرّك الأخير، وقد تركتَ لنا إرثاً أدبيًا أصيلاً مفعماً بالإيحاءات التاريخيّة والجماليّات المكانيّة والرموز التراثيّة الممزوجة بالجذور السودانيّة اليعربيّة، تلك الجذور الخصبة التي ما توقفتْ يوماً عن رفد أدب الطيّب بكل ما هو عريق من سحر سودانيّ عميق لا يدركه إلا قليل ممن يمتلكون حسّاً مرهفاً وذائقة فريدة تغوص في أعماق الظواهر المسطّرة في صفحات بيضاء لتفهم منها أن السطور التي خطّها الطيّب لم تكن سطوراً مجرّدة مقضّبة بالكلمات، بل كانت ملأى بكل ما يمتّ للعراقة والتراث بأجمل وأرقى صلة عبر رموز ربما تكون صاخبة أحياناً ومشرّدة أحياناً أخرى، لكنّها كانت مؤثرة وشائقة..!

في نهاية العشرينات من القرن الماضي، في مركز مروى التابع لقرية كرمكول في شمال السودان وُلد الطيب محمد صالح أحمد، وبقي فيها إلى أن انتقل إلى الخرطوم ليتمّ دراسته الجامعية في كلية العلوم في وادي سيدنا.

عمل مدرساً ثم غادر إلى بريطانيا بداية الخمسينات من القرن المنقضي، ليعمل في الإذاعة البريطانية BBC العربية، وينال شهادة الشؤون الدوليّة في إنجلترا.

عقب ذلك انتقل إلى وزارة الإعلام القطريّة في الدوحة وتوّلى منصب مستشار لهيئة

اليونيسكو في باريس ثم ممثلاً لليونيسكو في دول الخليج في قطر (1989-1984) . ونظراً لانصراف الطيّب إلى المقالة والسيرة عن الرواية، فقد قال عنه نقادٌ إنه حصر أعماله في مجالات معيّنة، إلا أنّه ردّ عليهم في ندوة له في القاهرة: "لست حقلاً بوراً كما يتصورني النّقاد".

"عبقريّ الرواية العربية" كان لقباً أطلق عليه تقديراً لمكانته الأدبيّة، وقد صدر كتاب لمجموعة مؤلفين عرب بعنوان: "الطيب صالح عبقريّ الرواية العربيّة"، يحتوي بعضاً من الدراسات التحليليّة والنقديّة لأدب الطيب صالح.

وقد ظهر أول إنتاج أدبي له عام 1953 في القصة القصيرة " نخلة على الجدول"، لكن انطلاقته الحقيقيّة تجلّت في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" تلك الرواية الشهيرة التي تناولت لقاء الثقافات وتصادم حضارات الشرق والغرب ونظرة كل منهما للآخر بعيون عربية تارة وغربية تارة أخرى، وكل ذلك كان يمثل تجسيداً للهيمنة السياسية والاقتصادية من قبل دول الشمال الحديثة الغنيّة على دول الجنوب النامية المعدمة.. ولم تكن مجرد رواية فقد ترجمت إلى أكثر من عشرين لغة ونالت العديد من الجوائز وصنفت واحدة من أفضل 100 رواية للقرن العشرين..

للطيّب من القصص القصيرة: دومة ودّ حامد، حفنة تمر، هكذا يا سادتي، والرجل القبرصي، وهكذا يا أستاذ، ورسالة إلى إيلين، ونخلة على الجدول، وضوّ البيت. أما في السير والتراجم فترك "منسي" في التسعينات من القرن الماضي، وله من الروايات "عرس الزين" التي تتحدث عن امتزاج القديم الموروث بالحديث المتغيّر، وكعادته نقل فيها أجواء الريف السوداني، وقد اشتهرت هذه الرواية وتحولّت إلى دراما في ليبيا، وفيلم سينمائي فاز في مهرجان "كان" أخرجه الكويتي خالد صديق في أواخر السبعينات.

وله، كذلك، رواية "موسم الهجرة إلى الشمال"، و"بندر شاه"، و"مريود" التي تمثّل الجزء الثاني من رواية بندر شاه.

تأثر الطيب الصالح بأبي الطيب المتنبي، فكان مولعاً به، يحمل ديوانه في الكثير من أسفاره ويتودد إليه في الكثير من مقالاته، فيقول: "يا طيّب الله ثراك"، ويعبّر عن إعجابه الشديد به، فيقول عنه: "المتنبي العظيم"، و"سيد الشعراء" و"الأستاذ الذي لن يجود الزمان بمثله"...

كان الطيّب يصرّح بحبّه للشعر، وكان يعتقد أن الشعر رمز للعروبة، ومما نقل عنه: "أحبّ الشعر، والسليقة العربيّة سليقة شعريّة، ونحن في السودان يطلب منّا أن نفهم النّاس أننا عرب. أكبر دليل على عروبتنا هو سليقتنا الشعريّة، ولن تجد في العالم

> "جمعت متاعي في حقيبة صغيرة، وركبت القطار.. لم يلوّح لي أحد بيده، ولم تنهمر دموعي لفراق أحد"

العربيّ أكثر حبّاً للشعر من السودانيين. نحن بطبيعة الحال نحبّ الشعر ونرويه وننشده، لأن الشعر العربي هو الذي جمع كل روافد الروح والفكر والوجدان العربي، إنه غوص في نهر. الشعر هو النهر".

الصالح والصوفيّة:

نظراً لتغلغل الشعور الديني في نفوس السودانيين وما يتصلّ بذلك من نزعة صوفيّة سادت في السودان كما في غيره من أرجاء الوطن العربي فقد كان من الطبيعي جداً أن يتمازج الأديب السوداني ببيئته التي نشأ وترعرع فيها.

من هنا فإن الأثر الديني الصوفي يبدو واضحاً في أعمال الطيب الصالح، فعلى سبيل المثال- لا الحصر- ما ورد في مجموعته القصصية (دومة ودّ حامد) على لسان امرأة تروي لصديقتها حلماً رأته: «كأنني في مركب سائر على مضيق البحر، وكنت أرى نفسي على قمّة موجة هوجاء تحملني حتّى أكاد أمسّ السحاب، ثم تهوي بي في قاع سحيق مظلم، فخفت وأخذت أصرخ وكأن صوتي قد انحبس في حلقي. وفجأة وجدت مجرى ماء يتسع قليلاً. ونظرت فإذا على الشاطئين شجر أسود خال من الورق، له شوك ذو رؤوس كأنها رؤوس الصقور. ورأيت الشاطئين ينسدّان عليّ، وهذا الشجر كأنه يمشي نحوي، فتملّكني الذعر وصحت بأعلى صوتي : يا ودّ حامد. فنظرت وإذا برجل صبوح الوجه له لحية بيضاء غزيرة قد غطّت صدره. رداؤه أبيض ناصع، وفي يده مسبحة من الكهرمان. فوضع يده على جبهتي وقال: لا تخافي....»

بدت النزعة الصوفية جليّة هنا، ويبدو أنّ ذاك الرجل ذا الوجه الصبوح ليس إلا رمز للوليّ الصالح الذي يجلب الخير والبركات وينقذ الناس من الشر والبلايا، وهنا تكمن تغذية البعد الروحي في غرس الطمأنينة النفسيّة ممّا يسد تلك الحاجات النفسيّة والعاطفيّة الدفينة المتأصلة في البيئة السودانيّة.

وفاة الصالح:

وفي 18 شباط 2009، في مستشفى لندن توفي الطيب الصالح بعد صراع عنيد مع الفشل الكلوي، والمفارقة الشديدة أن اتحاد الكتّاب السودانيين قام قبل وفاة الطيّب بمدة وجيزة، مع مجموعة من المؤسسات الثقافيّة في الخرطوم بإرسال رسالة إلى الأكاديميّة السويديّة تعبّر عن رغبتهم بترشيح الروائي الطيّب صالح لجائزة نوبل.. والمدهش في الأمر أنه بدا غير مهتم لذلك، فهي من وجهة نظره نوع من اليانصيب أو لعبة حظ، إذ ردّ قائلا- حسب ما ورد في وكالة الحياة اللندنيّة- : « إن جائزة نوبل هذه، وبحسب مولانا أبي الطيّب المتنبي: أنا الغنيّ وأموالي المواعيد..لا أشغل

> " **لم تكن "موسم الهجرة" مجرد رواية فقد ترجمت إلى أكثر من عشرين لغة وحصدت جوائز وصنفت واحدة من أفضل 100 رواية في القرن العشرين..**"

نفسي بها وأشك في أنني سأحصل عليها، وليس مهمّاً عندي ذلك..لأن"هناك عشرات الكتّاب الموجودين الكبار الذين يستحقون نوبل، إذاً هي كاليانصيب ولن تأتي في الغالب، ولو جاءتني سأفرح بها، ولا أزعم أنني فوق هذا، ولكن في الحقيقة لا أشغل نفسي بها ..»

قال فيه رئيس شبكة BBC حسام السكّري إثر وفاته : كان الطيب صالح صرحاً شامخاً في تاريخ الأدب، كما كان انضمامه إلى BBC وعمله في القسم العربي علامة فارقة في تاريخ هذه المؤسسة، وتلاميذه هنا سيفتقدونه كما سيفتقده كل قرّائه ومحبّيه».

وشهد له الناقد السوداني إبراهيم إسحق بأنّ«الشخصيات السودانية في رواية (موسم الهجرة إلى الشمال) مرسومة بوضوح وإقناع واقتدار، أما شخصية (الآخر) فتمر بعملية ترشيح معقدة تنتهي بها لأن تصبح ظلاً لنفسها وتجسيداً للمفهوم المشوش للمثقف العربى عنها. الفتيات والنساء تتساقط تحت أقدام هذا الشاب الأسمر القادم من أدغال إفريقيا، والفضول يقتلها للإطلال على عالمه المسكون ببخور الصندل وحكايات الحب، وهو يمارس سحره الشرقي الطاغي للإيقاع بالفريسة تلو الأخرى.

وكما كان عبقري الرواية العربية يقول: «إن دخول المدن، كالدخول في أعماق الذات»، فإنني أقول إنّ الدخول إلى ذاتك أيّها الطيب الصالح يكمن في الدخول إلى رواياتك، فكلّ حرف فيها ينطق حلاوة روحك وعبق إرثك وعبير تاريخك السودانيّ الأصيل وحريّتك المتجذرة منذ نشأتك وحتى هجرتك، تلك الحريّة التي ما فتئت تبحث عنها حتى حين هاجرت إلى ذلك الشمال القصيّ البارد، تركت قلمك وقلبك وعقلك في تلك الأحضان الجنوبية الدافئة لكنك لم تترك جسدك هناك فقد سئمت الصقيع الذي ما انفك يلفك برغم الأحضان الدافئة.. فعبثاً حاولت الاستقرار هنا وهناك تماما كالطيور المهاجرة التي تبحث عن مرتع ومستقر لها لكنها تعاكسك الهجرة فتنطلق محلّقةً في رحلة مجهولة من الشمال إلى الجنوب..

أما وقد آن لأجنحتك أن ترتاح وتسترخي بعد طول عناء ومتاعب أسفار مضنية بين شمال وجنوب، فستبقى نجماً أينما حللت وأينما وطئت، ستبقى نجم الشمال ونجم الجنوب.. محلّقاً وإن تداعت الخطوب..!!

«جمعت متاعي في حقيبة صغيرة، وركبت القطار.. لم يلوّح لي أحد بيده، ولم تنهمر دموعي لفراق أحد» كان هذا ما قلته أنت أيّها الطيّب في موسم الهجرة إلى الشمال في الصفحة السابعة والعشرين، وهذا ما أقوله أنا الآن في صفحة الحياة وقد تغيّبت عنّا وجمعت متاعك وركبت القطار منهياً بذلك موسم هجرتك دون أن تلوّح لنا بيدك فليس لنا إلا أن نقرأ بعضاً من كلماتك المبعثرة ونبعث لك الصلوات لعلها تصلك حيث أنت، شمالاً كنت أم جنوباً، مع بعض الطيور الملائكية. فيا طيّب الله ثراك أيّها الطيب..!

---

* طالبة جامعية/ ك.العلوم



محمد زفزاف:
مدخل إلى التجربة الإبداعية

صــــدوق نـــورالـــديـــن *

من التأسيس إلى الترسيخ

يحق القول في هذا التقديم، بأن التجربة الإبداعية للقاص والروائي والمترجم محمد زفزاف من أهم الإنجازات الأدبية العربية التي تفرض إيلاءها الدرس والتحليل، بغية تشكيل إحاطة بمتن لم يحظ- إلى اليوم - بالتقييم الفاعل والمنتج ، إذا ما نظر للسمات التي يتفرد بها :

١ / الاستمرار: تأسست تجربة محمد زفزاف الإبداعية على إنتاج القول الشعري بداية، دون أن تحظى البدايات بالتجميع و التداول..على أن ما أعقب نواة التأسيس، الخـوض فـي جنسين أدبيين : القصة القصيرة و الرواية..من ثم كانت مجموعته الأولى " حوار في ليل متأخر" (دمشق/ سوريا) ، فاتحة التأسيس الفعلي للممارسة الإبداعية ، ليأتي أول نص روائي " أرصفة وجدران " (بغداد/ العراق) بعيدا عن التلقي المتوقع. في حين حظيت الرواية الثانية " المرأة و الوردة " (بيروت/ لبنان) باحتفاء دال موسع ، بعد إشادة الشاعر " يوسف الخال " ، وفق ما دلت رسائله التي نشرت في مجلة " الناقد" (لندن).

إن الاستمرار في الكتابة و الإنجاز، قاد إلى تراكم إبداعي لا يمكن تناول الرواية المغربية أو العربية دون التطرق إليه..

٢ / التنوع: انبنى التراكم المتحقق كمنجز أدبي على التنوع : قصة/ رواية. ذلك أن محمد زفزاف، وازى من حيث الإنتاج بين إصدارين: مجموعة قصصية ورواية.. و من بين المبدعين المغاربة الذين نحوا المسار: عبد الكريم غلاب، مبارك ربيع ، أحمد المديني، محمد عز الدين التازي، محمد صوف وعمر والقاضي.. بمعنى آخر،

إن الانقطاع عن الكتابة في جنس دون آخر لم يتحقق.

٣ / الجرأة :إن اللافت على مستوى المادة المتناولة في الكتابة الإبداعية لمحمد زفزاف، اتسامها بالجرأة..فالقضايا الاجتماعية والسياسية التي تم التحفظ بخصوصها في أكثر من تجربة روائية مغربية ، أولاها محمد زفزاف اهتماما معبرا سواء بالانتقاد، السخرية أو المقارنة بين واقعين متفاوتين وجوداً وكينونة.

بيد أن سمة الجــرأة، ولـيدة سياق التحولات التي طالت الصيغة ، إذا ما ألمحنا لكون زفزاف اختار الكتابة المغايرة، و المضادة لكل ما مثل / يمثل تقليدا.

إن السمات الثلاث أسهمت في تأسيس و ترسيخ مسار إبداعي يفرض تناوله الإلمام الموسع بمظاهره و تجلياته، و بالتالي مقارنته بما أفضت إليه/ وعنه التجارب الروائية العربية المعاصرة لنهاية الستينات و بداية السبعينات: صنع الله إبراهيم، واسيني الأعرج، حيدر حيدر ، مؤنس الرزاز، إلياس فركوح، إدوار الخراط و غيرهم..

التداخل بين الروائي السيري:

يطرح المنجز الروائي لمحمد زفزاف على مستوى التلقي و التقييم النقديين إشكالية التداخل بين الروائي السيري ، بحكم أن الفاعل الأساسي في الصوغ الروائي يعود في خلفيته المرجعية، وضمن أكثر من عنصر لشخصية الروائي محمد زفزاف، و إن تقنع من وراء أسماء علم من مثل" بومهدي " في " أرصفة و جدران " و سليمان في "الأفعى و البحر ".

هذا الأسلوب في الصوغ الروائي لم يتفرد به الروائي محمد زفزاف، و إنما يطول منجزا روائيا كبيرا ، فنقف عليه في تجارب كل من: إدوار الخراط، مؤنس الرزاز، غالب هلسا ، إلياس فركوح، حيدر حيدر، واسيني الأعرج، وربيع جابر، وغيرهم.

فالروائي يفيد من تجربته الذاتية في الكتابة الروائية، بغية تحويل الذاتي إلى موضوعي يتفاعل معه.

من ثم يحق القول بتداخل جنسين: الرواية و السيرة الذاتية، مع مطلق العلم بأن لا حدود تفصل بين الجنسين صوغا، إلا من حيث الميثاق المرجعي.. ونقصد: الرواية و السيرة الذاتية.. على أنه في ضوء التحديد، يتحقق فعل تلقي النص و التقييم النقدي..إذ قد يحدث أن يختتم الروائي مساره بالإعلان عن سيرته الذاتية، وفق ما تمثل في تجربتي كل من: جبرا إبراهيم جبرا، وإميل حبيبي إلى المفكر عبد الله العروي الذي اختزل سيرته الذهنية في رواية أوراق (سيرة إدريس الذهنية) ، ليتم لاحقا إصدار "يوميات " في ثلاثة أجزاء تعكس تجربة " العروي" التربوية العلمية و السياسية ، إلى مختلف مواقفه من قضايا جارية.

وقد تم التنظير النقدي للتجارب التي تمتح عناصر ذاتية موظفة إياها في شكل قالب روائي بالقول إنها روايات السيرة الذاتية ، أو أنها تعمل على إنعاش متخيلها بالاستناد إلى التخييل الذاتي.

على أن الحضور الذاتي في روايات محمد زفزاف يحمل دلالات نجد من بينها :

١ / الرفض : فالذات تبدو متمردة



رافضة مقتنعة بما يتم تقديمه وطرحه من حلول لواقع اجتماعي متخلف لا يرقى للمطلوب..

٢ / الانتقاد : يتضح في أكثر من نص روائي لمحمد زفزاف بأن التطرق لحدث ما من الأحداث يتم تناوله وفق صوغ محايد، و الأصل أن في التصدي والتطرق له/إليه، تتبلور عملية انتقاده..فالوصف لا يفسر، لا يعلل، وإنما يوحي ويرمز.

٣ / السخرية: إن الذات في هذه



الروايات تعلو، تتسامى لإبراز وعي ثقافي يطبعه التميز..إنه وعي المثقف الذي تمت دراسته في أكثر من بحث تحت : حضور المثقف في الرواية العربية.

إن الدلالات السابقة قد تحضر ليس في الرواية الواحدة، وإنما على امتداد المتن الروائي لمحمد زفزاف، و كأنها تؤسس وفق هذه الصورة لمفهوم الكتابة الروائية كما يتصور..

القضايا والانشغالات :

يحق القول بداية بأن القضايا والانشغالات التي شكلت بنية إنتاج المعنى في المتن الروائي (والقصصي على السواء) لمحمد زفزاف، هي في العمق واقعية..فبرغم المظهر الذاتي للنص، فالقضية المعالجة في قالب روائي اجتماعية. على أن من بين القضايا التي تستوقفنا في التجربة:

١ . موضوعة الغرب : **يمكن** تمثلها في " المرأة و الوردة"، فهو ينظر إلى الغرب بوصفه نموذجاً للتحرر، التسامح والتقدم.. هذا التصور لا يختلف عن الوارد في سياقات روائية عربية: قنديل أم هاشم ، عصفور من الشرق ، موسم الهجرة إلى الشمال... وكأن خلفية الصوغ تحيل على أن النزوع للتقدم ، يحتم الحذو والاقتداء، مع تمام العلم بتفاوت القناعات والمرجعيات الثقافية والفكرية بين الروائيين.

٢ / موضوعة المرأة: حظيت موضوعة المرأة بحضور قوي في الآثار الروائية والقصصية لمحمد زفزاف، فقد تناول وضعها الاجتماعي المتخلف بالانتقاد، إلى المطالبة بحريتها لتأكيد الذات، و ممارسة فاعلية الوجود..بيد أن أقوى لحظة جسدت الحضور تلكم البارزة في روايتي : " الأفعى و البحر" و " بيضة الديك"..وفي كلتيهما يحضر الانتقاد إلى إبراز التفاوت الاجتماعي والطبقي، وفق رؤية تهكمية ساخرة..

٣ / موضوعة السلطة: **يمكن** الذهاب في القول إلى أن انتفاء الحرية، وانتشار مظاهر الاستغلال، إلى المطالبة بحقوق العمال ، من ضمن ما تم إيلاؤه الأهمية منذ التجارب الإبداعية الأولى، و أخص مجموعته اللافتة : "بيوت واطئة"، فيرد نص " الديدان التي تنحني" ، ويُعدّ على مستوى القصة العربية القصيرة ، من أبرز النصوص التي تناولت مأساة الوضعية العمالية..

على أن انتقاد السلطة الفعلية، لم يغيب الإحاطة بالرمزي ، وفق ما تمثل في آخر رواية له : " أفواه واسعة " ، فقد نقد المثقف بوصفه مبدعا وكاتبا يغلب النظر على الفعل، القول على الإنتاج.

إن الغاية من التطرق للموضوعات السابقة، تتحدد في خلفية الرغبة لإرساء التقدم، و التأسيس لمجتمع عادل ، تسمه قيم الحرية و التسامح.

عود على بدء :

تبقى تجربة المبدع المغربي الراحل محمد زفزاف، من أهم التجارب السردية العربية التي تفرض على الدرس النقدي الحديث تناولها بموضوعية بغية الوقوف على ثرائها الشكلي و الموضوعي، علما بأن التراكم المتحقق يخول إمكانات واسعة على مستوى القراءة، التفسير، والتأويل.

---

* ناقد مغربي



مشروع إيكو السيميائي

القارئ حين يملأ فراغات النّص..



د. المصطفى عمراني *

يندرج مشروع إمبرتو إيكو (Umberto Eco) السيميائي ضمن اتجاه عام هو «سميوطيقا الثقافة» التي تعنى بدراسة الأنساق اللسانية والأنساق غير اللسانية من زاوية مظهرها التواصلي. وهو الشيء الذي حدا به، دون قصد، إلى الاهتمام بإشكالية التلقي من خلال أسئلة محددة: ما هو نمط التواصل الذي يحكم المرسل إليه/ المتلقي بالرسالة؟ كيف يتصور ايكو العلاقة بين الكاتب والنص والقارئ؟ بماذا تتميز النصوص المفتوحة عن النصوص المغلقة؟

انطلاقا من هذه الأسئلة وغيرها، سنحاول أن نلج عالم ايكو السيميائي لمقاربة تصوره للعمل الأدبي وللقارئ، ورصد طبيعة العلاقة بينهما وحدود هذه العلاقة.

بداية، تجدر الإشارة إلى أن كتاب ايكو السيميائي (العمل المفتوح) يشكل، بحق، النواة الأولى أو المرحلة الجنينية لاهتمامه بالمتلقي ومسألة التفسير أو التأويل.

يقول عنه جان أيف تادييه: وهو كتاب العمل المفتوح يحلل العمل الفني سواء كان أدبيا أم تشكيليا أم موسيقيا، باعتباره منظومة من العلامات القابلة للترجمة إلى مالا نهاية: كل عمل فني حينما يكون له شكل مكتمل و«مغلق» في كمال هيئته المضبوطة بدقة، فإنه يبقى على الأقل «مفتوحا»،

باعتباره قابلاً للتأويل بطرق مختلفة دون أن يؤثر ذلك على تفرده غير القابل للاختزال.

و مع كتاب «القارئ في الحكاية تبدأ المرحلة الحقيقية في علاقة ايكو بإشكالية القارئ وبمسألة التأويل من منظور سيميائي. فهو يشير في المقدمة التي كتبها للطبعة الفرنسية لكتابه (القارئ في الحكاية) إلى مسألتين تشكلان هاجسه النظري:

أولا، معرفة الكيفية التي يستطيع بها العمل الفني أن يفرض تدخلا تأويلياً حراً من قبل المتلقين.

ثانيا تقديم الخصائص البنيوية الواصفة التي تشير وتوجه نظام التأويلات الممكنة.

واعتماده على هذين الجانبين الأساسين في بحثه، مكّنه من الولوج ضمن إطار تداولية النصوص، إن لم نقل جمالية التلقي، كما يعترف بذلك بقوله: «كما سأعرف ذلك فيما بعد، فإنني كنت أشتغل بتداولية النص دون معرفتي على الأقل، بما يسمى حالياً بتداولية النص أو جمالية التلقي.»

إن القاعدة الأساسية التي ينطلق منها إيكو- في كتابه «القارئ في الحكاية» - تتمثل في كون وجود النص يفترض تعاون القارئ ومشاركته كشرط حتمي، لانتشاله من الجمود إلى الحركة. إنه البياض والمسكوت عنه الذي يتركه النص كهامش لتحرك القارئ ومساهمته- عبر ملء الفراغات والبياضات- في تنشيط النص. ذلك لأن النص الأدبي -كما يعرفه إيكو- «آلة كسولة تتطلب من القارئ القيام بعمل مشترك دؤوب لملء البياضات غير المقولة أو الأشياء التي قيلت لكنها ظلت بيضاء. وهذه البياضات والفراغات التي تكتسح مساحة النص الأدبي هي المسؤولة عن انفتاح هذا الأخير (النص الأدبي) على إمكانيات متعددة من القراءة والتأويل. إلا أن الحديث عن انفتاح النصوص، أو «النصوص المفتوحة» لا يلغي -حسب إيكو- وجود نصوص مغلقة أهم ما يميزها أساساً استهدافها قارئاً محدداً، يستعمل النص حسب أهدافه ومراميه؛ بخلاف النصوص المفتوحة التي تسعى لبناء القارئ نصيا عبر جدلية التأويل (القارئ) و التوليد (النص). لذلك «فاستعمال النص حسب المحلل السيميوطيقي يعني التعامل مع النص بعنف، وذلك كأن نقرأ مثلاً المحاكمة لكافكا باعتبارها رواية بوليسية. وعلى العكس من ذلك فإن إيكو يعني بـ«التأويل»، التحيين الدلالي لكل ما يريد أن يقوله النص باعتباره استراتيجية، وذلك عن طريق مشاركة قارئه النموذجي.

انطلاقا من هذا، يتبين أن خاصية «الانفتاح» التي تطبع بعض النصوص، حسب تصور إيكو-لا تعني إطلاق العنان لحرية التأويل، بل هي مقيدة بـ«سقف» التأويل المحدد من طرف النص لذلك يبدو واضحاً أن التأويلات المقترحة ليست مفروضة من طرف القارئ، ولكنها ناتجة أساساً عن التفاعل بين النص والقارئ، أي ما يسميه إيكو بـ«التشارك النصي». فكيف يمكن للنص أن يكون حقلاً

> «بياضات النّص وفراغاته مسؤولة عن انفتاحه على إمكانيات متعددة من القراءة والتأويل»



للتفاعل/ التشارك بين المؤلف والقارئ؟ لكن قبل ذلك، ماذا يعني إيكو بالقارئ؟

إنه يقصد بذلك «القارئ النموذجي» – وهو قارئ «مفترض» وليس بالضرورة تجريبياً – فـ«النص يفترض قارئه كشرط حتمي لقدرته التواصلية الملموسة، ولكن أيضاً بقوته الدلالية الخاصة. وبعبارة أخرى، إنه منتج لواحد قادر على تحيينه –وحتى إذا كنا لا نأمل (أو لا نريد) أن يكون هذا الواحد موجودا مادياً أو تجريبياً لذلك فـ«القارئ النموذجي «هو «مجموع شروط النجاح أو السعادة، المثبتة نصياً، التي يجب أن تكون مرضية حتى يمكن للنص أن يحين كلياً من خلال مضمونه الكامل فيه. ويتمثل الدور الذي يلعبه القارئ النموذجي في مساءلة النص من الداخل، وتوجيه القارئ الواقعي (التجريبي) نحو قراءة فعالة. وذلك من خلال تقمص هذا الأخير لشخصية القارئ النموذجي. أي لحظة –القراءة– التي يتم فيها تغييب الأدوار المنوطة به ككائن بشري، حيث لا يهتم «بتسديد الفاتورات وبإصلاح الأنابيب»».

بناء على هذا، عُدّ القارئ النموذجي، حسب إيكو استراتيجية نصية، تقابل الاستراتيجية النصية للمؤلف: فإذا كان المؤلف يتكهن بقارئه النموذجي، فإن هذا القارئ يرسم لنفسه فرضية عن المؤلف، يقول ايكو: «فلكي ينظم المؤلف استراتيجيته النصية عليه أن يرجع إلى سلسلة من القدرات (وهو مصطلح أوسع من «معرفة السنن») التي تعطي المضمون للعبارات التي يستعملها، وعليه أن يتحمل أن مجموع القدرات التي يرجع إليها هي نفسها التي يرجع إليها قارئه. ولهذا يتوقع قارئاً نموذجياً يستطيع أن يتعاون من أجل تحقيق النص بالطريقة التي يفكر بها المؤلف نفسه، ويستطيع أيضاً أن يتحرك تأويلياً كما تحرك المؤلف توليدياً. فالمؤلف يتحرك توليدياً بخلقه لنص غامض، تغمره البياضات والفراغات، وفي المقابل يتحرك القارئ تأويلياً حيث يقوم بفك مغالق النص وغموضه من خلال ملئه لهاته البياضات والفراغات. من هنا يتبين أن النص يشكل إطاراً أو مسرحاً فسيحاً لتفاعل/ تصادم بين استراتيجيتين نصيتين: استراتيجية المؤلف واستراتيجية القارئ. فالمؤلف – خلافاً للاستراتيجية العسكرية التي تتطلب إحداث خسائر هائلة في العدو– ينهج استراتيجية الانتصار، يتم بموجبها بناء القارئ النموذجي. إلا أن ما يميز علاقة القارئ النموذجي بالمؤلف أساسا يكمن في كون الفرضية التي كونها «القارئ التجريبي» –الذي يتقمص دور القارئ النموذجي– عن «مؤلفه النموذجي» أكثر تأسيساً من تلك التي كوّنها «المؤلف التجريبي» عن «القارئ النموذجي»، ذلك أن الثاني (المؤلف) يفترض أشياء لم توجد بعد ويحققها كسلسلة من

> «.. ولكنّ خاصية «الانفتاح» لا تعني إطلاق العنان لحرية التأويل، بل تتقيد بسقفه المحدد»

العمليات النصية؛ في حين أن الأول (القارئ) يفترض صورة نمطية للشيء الذي روقب من قبل كفعل للتلفظ، وأصبح الآن نصيا كملفوظ.كما أن الاختلاف يحدث أيضاً على مستوى سنن كل منهما (سنن المؤلف وسنن القارئ): إذ يحدث أن تكون سنن القارئ أضيق من سنن المؤلف -أو العكس- وبالتالي يتم استدعاء، علاوة على القدرة اللسانية - مايسميه إيكو بالموسوعة وهي الرصيد اللغوي والثقافي الضارب في السياق الاجتماعي، الذي يفترضه النص ويستحضره القارئ كي يستطيع المواجهة بين التمظهر الخطي لذلك النص وبين بنياته اللسانية؛ وبدون كفاءة «موسوعية» لا يمكن التعاون مع النص أو مساعدته على إنجاز مبتغياته، ولا يمكن للقارئ أن يكون هو ذلك المشارك الفعّال الذي يملأ الفراغات ويحل التناقضات ويستخلص المقولات.

تأسيساً على ما سبق، يتبين أن مشروع إيكو السيميائي- خاصة مع كتابه «القارئ في الحكاية»- وهو يسهم في «تطوير نظرية للنص الأدبي من خلال فعل القراءة، فإنه يتصل اتصالاً وثيقاً بجمالية التلقي، بل ويمكن أن يغنيها فعلاً بما يقدمه لها على المستوى الدلالي، أما البعد الجمالي للتلقي، فتلك «مارس» (التي لا يمكن للسيميوطيقي أن يتحدث عنها لأن «قمره» هو الدلالة).

---

* أستاذ جامعي/المغرب





قال إنّ الموت بحادث سيارة قمّة العبث.. فمات كذلك!

ألبير كامو "الغريب"..الطاعون قدر جماعي.. ما العمل؟!

خالد سامح *



"إن أكثر موتٍ يعبر عن العبثية ويمكن تخيله هو الموت في حادث سيارة" هكذا قال يوما؛ فمات بحادث سيارة في يوم آخر ..إنه ألبير كامو صاحب "أسطورة سيزيف"، أحد أهم الكتاب والفلاسفة وأبرزهم في التاريخ المعاصر.

ما من كاتب توافق فكره مع نهايته كألبير كامو الذي تحل ذكرى رحيله هذه الأيام، فالفيلسوف الذي آمن بأن كل ما في حياتنا عبث والحقيقة الوحيدة هي الموت مات ميتةً جسّدت العبثية وسخرية الأقدار بأوضح صورة.

هنا لا نشير فقط إلى حادثة السيارة التي أنهت حياته عن عمر يناهز السابعة والأربعين عاماً، وإنما تذكرة القطار التي وجدت في جيب معطفه بعد وفاته، التذكرة التي أبقاها شاهدةً على عبثية الموت والحياة معا.. أراد أن يسافر في القطار لكنه غيّر رأيه من أجل أن يموت، فيترك للعالم إرثاً فكريا وإبداعياً لا تمحوه الأيام.

ولد كامو في السابع من شباط عام ١٩١٣ بمدينة الذرعان بالجزائر وتوفي في الرابع من كانون الثاني عام ١٩٦٠ وهو ثاني أصغر حائز على جائزة نوبل بعد روديارد كبلنغ".

نشأ كامو في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي لعائلة من المستوطنين الفرنسيين، وكانت والدته تعود لأصول إسبانية، أما والده فتوفاه الموت في الحرب العالمية

الأولى، وفي ظروف من الفقر والعوز في الجزائر عاش كامو.

أثناء دراسته الجامعية في الجزائر التقط كامو مرض السل فأثّر ذلك في نشاطاته الرياضية والدراسية، ومع ذلك اشتغل في سني دراسته ممارساً أعمالاً يدوية بسيطة. حصل على إجازته في الفلسفة عام ١٩٣٥، وفي العام اللاحق قدم بحثه في الأفلاطونية الجديدة.

التحق كامو بالحزب الشيوعي الفرنسي عام ١٩٣٤، مساندة للوضع السياسي في إسبانيا "الذي أدى إلى الحرب الأهلية الإسبانية" أكثر مما كان إيماناً بالماركسية– اللينينية.

في عام ١٩٣٦ شارك كامو في نشاطات شيوعية جزائرية تنادي بالاستقلال، ولم يعجب ذلك رفاقه في الحزب الشيوعي الفرنسي الذين وصموه بـ"التروتسكية"، الأمر الذي عزز انفصامه عن العقيدة الستالينية.

عمل بشكل متقطع في المسرح والصحافة، وكتب أثناء عمله الصحافي عن ظروف العرب السيئة وهو ما كلفه وظيفته، كما أعدّ تحقيقات صحافية حول أوضاع الجزائريين المأساوية في القرى والصحاري النائية.

آمن كامو بالسلام ونبذ الحرب، كما انضم إلى المقاومة الفرنسية ضد النازية وأسس في باريس صحيفة "الكفاح"، وكان من مؤسسي صحيفة " الجزائر الجمهورية" مع كاتب ياسين وعدد من المثقفين الجزائريين وقد دعا إلى تحرير الشعوب وهاجم الفكر الاستعماري لكنه تحفظ على تأييد الثورة الجزائرية في الخمسينيات رافضاً لجوء الثوار للعنف.

وفي عام ١٩٤٢ كتب كامو رواية "الغريب" التي ما تزال بنظر كثير من النقاد من روائع الأدب العالمي ومن أكثر الروايات عمقاً وتأثيراً؛ وقد صب كامو فيها خلاصة فكره وإيمانه بعبثية الوجود واللامعنى أو عدم وجود مغزى لحياتنا وللكثير من تصرفاتنا،

> **آمن كامو بالسلام ونبذ الحرب، كما انضم إلى المقاومة الفرنسية ضد النازية وأسس في باريس صحيفة "الكفاح"**

وفي العام نفسه أصدر "أسطورة سيزيف" وفي ذلك الكتاب شبه الإنسان المعاصر بسيزيف الفتى الإغريقي الذي خالف تعاليم الآلهة فأماتته لكنها أعادته للحياة ثانية شرط أن يقوم طوال حياته بعمل لا طائل منه وهو رفع صخرة الى أعلى جبل، وتروي الأسطورة أن الصخرة كانت تعود ثانية للقاع عند وصولها للقمة ويعود الفتى للصعود بها إلى الأعلى، وهكذا يتحمل الإنسان الشقاء والألم والعبث ثمناً لتمسكه بالحياة.

في عام ١٩٤٣ قابل كامو سارتر فجمعتهما الفلسفة الوجودية والفكر العبثي الذي ما لبث أن أصبح تياراً فلسفياً وأدبياً انتقل من أوروبا إلى كل العالم، ومن رموزه صموئيل بيكيت صاحب " بانتظار غودو" وجان جينيه وآخرون.

في عقد الخمسينات من القرن العشرين تفرغ كامو للعمل الإنساني وعارض بشدة عقوبة الإعدام، وفي عام ١٩٥٢ استقال من منصبه في منظمة اليونسكو احتجاجاً على قبول الأمم المتحدة لقبول عضوية إسبانيا و هي تحت حكم الجنرال فرانكو،

كما أن انتماءه لليسار لم يمنعه من انتقاد السوفييت للطريقة التي قمعت بها انتفاضة العمال في برلين الشرقية عام ١٩٥٣، كذلك انتقد الحالة ذاتها في المجر عام ١٩٥٦.

آمن ألبير كامو بالفن أداةً لمواجهة عبثية الحياة و" لاجدواها"، وقال " الفن عكس الصمت "، ورفض فكرة الانتحار بعكس باقي رموز الوجودية من الكتاب والفلاسفة، وبالإضافة إلى " الغريب " و " أسطورة سيزيف " و" المتمرد" ترك كامو العديد من المؤلفات الأخرى المهمة ومنها رواية "الطاعون " التي تدور أحداثها في مدينة وهران الجزائرية، وتتناول فكرة تلاشي القدر الفردي للإنسان ومواجهة سكان المدينة لقدرهم الجماعي المتمثل في الموت بسبب مرض الطاعون، وفي " الطاعون" ثمة إسقاط على واقع البشرية التي واجهت حربين عالميتين مدمرتين، كما أنها ما تزال تواجه أخطار الحروب والأمراض والفقر والجهل وغيرها من المآسي وفي أغلب أعمال كامو يكون الحدث الرئيسي هو قدر مفاجئ تجد الشخصيات نفسها مضطرة للتعامل معه وقبوله، فمرض الطاعون يظهر فجأة في المدينة التي تعزل فيما بعد عن العالم الخارجي كإجراء وقائي من قبل السلطات لضمان عدم انتقال المرض، وهنا يبرع كامو في تصوير معاناة السكان الذين يتوقون للمساعدة الخارجية دون جدوى، فيقول على لسان بطل الرواية الطبيب ريو " إن الناس يتعبون من الشفقة إذا كانت الشفقة غير مجدية"، وفي ذلك اختصار لمضمون فلسفي عميق يشكل جزءاً مما أراد الكاتب المبدع قوله في روايته.

جميع شخصيات الرواية من الأوروبيين، رغم أن أحداثها في وهران، وقد تبيّن فيما بعد أن ذلك التصوير واقعي تماماً لأن العرب كانوا أقلية نادرة في المدن الكبرى أثناء الاستعمار.

تحوي الرواية حوارات فلسفية عديدة بين الطبيب ريو والصحفي الفرنسي رامبرانت الذي حضر في مهمة صحافية، ولكن العزل الذي فرض بسبب الوباء على وهران اضطره للبقاء مرغماً داخل المدينة التي لم يستطع قبولها كواقع فرض عليه مقابل انتزاعه من امرأته التي يظن أنه خلق ليحبها.

بعض النقاد عدّ " الطاعون" رواية رمزية، ورأى تلك المقاومة الباسلة لسكان وهران للطاعون رمزاً لمقاومة الفرنسيين للاحتلال النازي خلال الحرب العالمية الثانية، بينما اتفق الكثير من النقاد الغربيين على أنها تشكل امتداداً لفلسفة كامو في العبث واللاجدوى، فحصار مدينة كاملة وسجن سكانها وموت الآلاف منهم بسبب مرض يأتي من الجرذان أمر عبثي وغير معقول، وقد صوره كامو بعبقرية فذة، أما نهاية الرواية فتحذر من أن الجرذان لا تزال مختبئة، وستظهر يوماً ما، وهو تحذيرٌ من مغبة الأقدار المختبئة لكل الناس والسؤال ما يزال مطروحاً: " ما العمل ؟".

كما ألف ألبير كامو مسرحية " كاليجولا" ، وفيها يطرح رؤيته للديكتاتورية والخلفيات الفكرية للحاكم المستبد من خلال قصة الحاكم الروماني الشهير " كاليجولا" الذي يُعد أحد أشهر الطغاة والسفاحين في تاريخ البشرية.

نقول: مات ألبير كامو ... واستمر العبث واللامعقول في الحياة.

---

* قاص وصحافي أردني

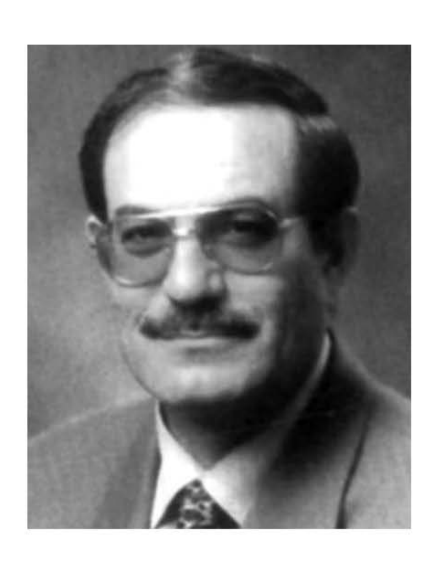




أمين عام اللجنة الملكية لشؤون القدس يدعو إلى إنجاح القدس عاصمة للثقافة العربية

عبدالله كنعان: مساقات "القدس" الجامعيّة ترسّخ عروبتها

إبراهيم السواعير *



• كيف تحتفون بالقدس عاصمةً للثقافة العربية هذا العام؛ بصفتيكم: عضواً في اللجنة الوطنية العليا للإشراف على تنفيذ فعاليات الاحتفالية، وأميناً عامّاً للجنة الملكية لشؤون القدس؟

نظراً لما تقوم به اللجنة الملكية لشؤون القدس من مهام جليلة في التوثيق للمدينة الأسيرة، الطاهرة، القدس- فكّ الله أسرها- ومتابعة مستجداتها جميعاً؛ فإنها تمّ تمثيلها في اللجنة الوطنية العليا لاحتفالية القدس عاصمة للثقافة العربية ألفين وتسعة من خلال أمينها العام. هذه اللجنة يرأسها وزير الثقافة د.صبري اربيحات، وإضافةً إلى ذلك فقد تمّ تمثيل اللجنة في لجان الاحتفالية الأخرى:



المؤتمرات، النشر والإصدارات، المالية، وقد فرغت لجنتا المؤتمرات والنشر والإصدارات من إعداد خططهما، ورفعنا توصياتنا إلى معالي وزير الثقافة مؤخّراً.

ولمّا كنّا حريصين على إنجاح هذا النشاط الوطني القومي الإنساني، فإننا غير راغبين في التحدث عن جهد شخصي، ونفضّل التركيز على الجهد الجماعي، لأننا نشتغل فريقاً واحداً، ولأنّ قضيّة القدس، جوهر القضيّة الفلسطينية ليست قضيّة أشخاص أو تنظيمات سياسية أو أقطار، بل قضيّة أمتنا العربية والإسلاميّة ناهيك عن بعدها الإنساني.

والمهم أن ننجح في تعريف الرأي العام العالمي بأنّ القدس للعرب والمسلمين قضيّة وطنيّة عربية وإسلاميّة؛ فيلتفت الرأي العام الوطني والعربي لذلك؛ فنكون حققنا الغاية المتوخاة من احتفالية عاصمة الثقافة العربية، القدس.

فإذا أنجحنا الاحتفال وصلت رسالتنا المطلوبة لدوائر صنع القرار السياسي العالمي، وبيّنا أنّ السلام الدائم، الشامل، العادل الذي بُحّت الحناجر وهي تردده غير واردٍ، ولا بمستطاع أبداً دون أن تتحرر القدس، فتعود إلى السيادة العربية الإسلامية. وإن نحن لم نتمكّن- لا سمح الله- كان احتفالنا مجرّد مهرجانٍ عابر، وهنا فإنّ تعبئةً للرأي العام بوسائل الإعلام كلّها على تنوّعها أمرٌ جدّ مفيد، كما أنّ تجاوز الاحتفالية الإطارَ الرسمي، بإشراك فعاليات المجتمع المدني في نشاطات اللجان الفرعية فضلاً عن تمثيلها في اللجنة الوطنية العليا، هدفٌ نعمل له، أما الجامعات، مصنع فرسان المستقبل فإنّ إشراكها في الاحتفالية واجبٌ يؤديه التنسيق.

وأرجو أن أضيف أنّ اللجنة الملكيّة لشؤون القدس مُثّلت في مجلس أمناء مؤسسة القدس الدولية ومقرّها بيروت، وهي مؤسسة عالمية لها فروع في القارة الأوروبيّة وأمريكا ومعظم الدول العربية، وتعنى بدعم ومساندة الأهل في مدينة القدس وجوارها، ولديها إمكانات مالية جيّدة وطاقات بشرية تغطّي احتياجاتها العمليّة، وبصفتي أميناً عاماً للجنة الملكية لشؤون القدس فإنني عضوٌ في مجلس أمنائها، وهناك أردنيّون أعضاء في المجلس.

كما أنّ عضويتي في اللجنة التحضيرية التي شكّلتها هذه المؤسسة لاحتفالية القدس عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٩ مكّنتني من المشاركة في وضع برامجها لتعمّ الاحتفالات سائر الوطن العربي بوساطة اللجان التي شُكّلت بالتنسيق الكامل مع المعنيين في وزارات الثقافة العربية.

• عرّفنا باللجنة الملكية لشؤون القدس: التحذير من التهويد، ورصد المستجد؟

من ضمن المهامّ المنوطة باللجنة الملكيّة لشؤون القدس، كما جاء في الأمر الملكي السامي لتشكيلها، تجميع المعلومات ورصد الاعتداءات والانتهاكات الإسرائيليّة وكلّ ما من شأنه التهويد بأشكاله المختلفة، من مثل بثّ القنوط في نفوس أبناء المدينة- القدس- لدفعهم على الرحيل، ولذلك ترانا نرصد يومياً كلّ ذلك بوسائلنا المختلفة وعلاقاتنا الواسعة في القدس وخارجها، وإلى ذلك نرصد ما تتضمنه الصحافة الأردنية والفلسطينيّة والعربية، وإلى حدٍّ ما الدولية، وكلّ ذلك ننشره بتقريرنا اليومي لدائرة المطبوعات والنشر من جهة والمؤسسات الأردنية والفلسطينية المعنية بشؤون القدس، والباحثين المتخصصين؛ فمتابعتنا حثيثة لسياسة التهويد والاعتداء على المقدسات الإسلاميّة والحرم القدسي

الشريف بمسجديه القبلي وقبة الصخرة. وهؤلاء الباحثون قد يكونون بمفردهم أو يشتغلون في مراكز بحوث أو مراكز حقوق الإنسان، وأودّ أن أذكر مركز إيلاف لحقوق الإنسان الذي يصدر تقريراً شهريّاً على موقعه الإلكتروني؛ وهكذا فكما ترى للجنة شبكة واسعة تزوّدها بالمعلومة أولاً بأول.

• كيف تنظرون إلى التركيبة الديموغرافية في المدينة الأسيرة في ظلّ التعمّد الواضح للتأثير على طبيعتها؟

استناداً إلى الرصد اليومي والمتابعة اليوميّة الحثيثة لما يجري في القدس ومحيطها، ولا سيّما على الصعيد الديمغرافي، أي التغيّر في التركيبة السكانية والجغرافية للقدس، بالضّد من قرارات الشرعية الدولية التي تحظر على إسرائيل الإتيان بما من شأنه أن يغيّر في الطبيعة الديمغرافية للقدس بوصفها أرضاً محتلّةً، وكذلك بالضّد من القوانين والأعراف الدولية التي من أبرزها اتفاقية لاهاي ١٩٠٧ وجنيف ١٩٩٤، وتحديداً الرابعة منها، فإنّ اللجنة تحرص دوماً على تنبيه الرأي العام العربي بوسائل الإعلام المقروء والمسموع والمكتوب، والبيانات الصحافية والحوارات واللقاءات والفضائيات المهتمّة، ونصدر كلّ ذلك في كتاب "القدس وسياسة أضعف الإيمان".

ونوجه رسائل إلى المؤسسات والمنظمات الدولية، من مثل: الأمم المتحدة والجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي واليونسكو وغيرها، ولنا موقع على "النت" مفعّل.

• هل لديكم تصوّرٌ يدفع شبابنا إلى أن تترسخ القدس في وجدانهم؛ كونها محور الصراع الإسرائيلي- العربي؟

كما تعلم القدس هي جوهر القضيّة الفلسطينية، والقضية الفلسطينية هي محور الصراع الإسرائيلي العربي، منذ مؤتمر بازل ١٨٩٧، ولأنّ القدس ما تزال تشكّل محور مشاريع التسوية، فإنّ القدس قضية أجيال، وعلى شبابنا أن يحملوا مسؤولياتهم، بوصفهم يشكلون أغلبية مجتمعنا الأردني والعربي، ونحن جادّون بأن يُوجّهوا الوجهة الصحيحة، وينشأوا على مجموعة القيم العربية الإسلامية: في البيت، والمدرسة، والجامعة، وفي المجتمع، ولهذا لا بدّ من خطط كفيلة. وقد فاتحت اللجنة الملكية لشؤون القدس وزارة التربية والتعليم والجامعات الأردنية واتحاد الجامعات العربية لإدخال قضية القدس في المناهج، وجعلها مساقاً إجبارياً على أقل تقدير في الجامعات، وقد أثمرت جهود اللجنة عن "القدس" مساقاً إجبارياً في منهاج التاريخ لطلبة الصف العاشر، كما اعتمد عدد من الجامعات القدس مساقين: إجباري واختياري.

وليس هذا حسب فاللجنة تتعاون مع فعاليات المجتمع المدني، ولا سيّما المؤتمر العام لبيت المقدس والجامعات الأردنية، بندوات فصلية دورية عن القدس، وتشجّع على أن تكون أطروحات الدكتوراه ورسائل الماجستير متكئةً على موضوع القدس، وتشجيعاً لهذا طبعت اللجنة رسائل على نفقتها، ووضعت مكتبتها تحت تصرّف الباحث والمهتم. وقد علمنا أن جامعات عربية تدرّس مساقات عن المدينة أسوةً بالجامعات الأردنية.

• حدّثنا عن القدس في الوجدان العربي الأردني، والمدينة وديعةٌ يحفظها الهاشميّون حتى تتحرر.

يرتبط الأردنيّون بالمدينة برباط سام هو العروبة والإسلام، وهو رباط وجداني عميق ومتأصّل في النفس الأردنية العربية، يتأسس

على عروبة المدينة الكنعانيّة اليبوسيّة منذ ما يزيد على ٥٠٠٠ عام؛ فهي قبلة المسلمين الأولى، ومدينة الأقصى، وكنيسة القيامة، والعهدة العمرية "القاعدة الدولية" الأولى المؤطّرة للعلاقات الإسلامية المسيحية، كما أنّ مسجدها أحد ثلاثة مساجد لا تشدّ الرحال إلى إليها.

ومن هنا فإنّ "كيف تكون المدينة وديعة؛ يحفظها الهاشميّون حتى تُحرر، فتنتقل إلى أهلها الفلسطينيين بعد قيام دولتهم" فذلك حديثٌ قد يتشعّب في خلفياته وأبعاده، والمهمّ في هذا السياق هو أنّ المملكة الأردنية الهاشميّة قد استثنت الأوقاف والمقدّسات من قرار فكّ الارتباط الإداري والقانوني في ٣١/ ٧/ ١٩٨٨ حرصاً منها على عدم نشوء فراغ سيادة مما يفتح المجال أمام إسرائيل لبسط ولايتها على المقدسات الإسلامية عن طريق وزارة الأديان الإسرائيلية. ولعلك تدرك أن الاعتداءات اليوميّة ضد الأقصى والمقدسات الإسلامية تؤكّد ذلك، وأرجو أن نلفت النظر إلى أنّنا عندما نقول "الأوقاف والمقدسات الإسلامية" فهذا يعني المدينة القديمة كاملة داخل الأسوار؛ فهي كلّها مقدّسة، ووقف إسلامي بحت.

فالأردن ليس لديه أطماع بالمدينة، ولا في غيرها، بل إنّ جلالة الراحل المغفور له الحسين ظلّ يؤكد ذلك، واليوم يؤكد خليفته جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين على "القدس مدينة فلسطينية، وهي وديعة حتى تقوم الدولة". بل إنّ الأردن ظلّ يرفض الخوض في مستقبل العلاقات الأردنية الفلسطينية إلا بعد قيام الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس.

• عرّفنا بمسؤولية الأردن المباشرة على الأوقاف والمقدسات الإسلامية في القدس والإعمار الهاشمي فيها.

يتولى الأردن مسؤولية مباشرة على الأوقاف والمقدسات الإسلاميّة في القدس؛ فهنالك ما يزيد على ٦٠٠ موظف يتبعون وزارة الأوقاف الأردنية، وهنالك مجلس مصغّر للأوقاف الإسلاميّة يتولى اتخاذ القرارات العاجلة فوراً التي لا تحتمل الانتظار، ويرأسه مساعد أمين عام وزارة الأوقاف الأردنية، وحرصاً من الأردن على ضمان أعمال الصيانة والإعمار في المسجد الأقصى المبارك فقد شكّل الأردن لجنة إعمار المسجد الأقصى وقبة الصخرة يرأسها وزير الأوقاف.

وبصفتي أميناً عاماً للجنة الملكية لشؤون القدس وعضواً في اللجنة فإنّني أنقل لكم أنّ جلالة الملك عبد الله الثاني حفظه الله أمر بتشكيل الصندوق الهاشمي لإعمار المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة.

وقد شهد المسجد الأقصى أربعة "إعمارات" أردنية هاشمية: أولها في عهد الشريف الحسين بن علي ١٩٢٤- ١٩٢٨ وقد بلغت كلفته ٢٤ - ٢٥ ألف دينار ذهبي تبرع بها الشريف طيب الله ثراه، وهو الشريف الذي أوصى بأن يدفن في القدس فكان له ذلك.

وثانيها في فترة ١٩٥٢- ١٩٦٤، والثالث ١٩٩٢- ١٩٩٤، ورابع الإعمارات تركّز على قبة الصخرة المشرفة عام ١٩٩٤. وتقدّر تكاليف الإعمارات الهاشمية للفترة ١٩٢٤- ٢٠٠٧ بما قيمته (٥١٢،٤٨٨) مليون دولار أمريكي.

أما المنبر، منبر صلاح الدين، فقد أتى عليه الحريق الذي أشعله اليهودي الأسترالي مايكل دنس روهان عام ١٩٩٦، وبحمد الله تمت إعادة بنائه تصميماً وإنجازاً بكفاءات أردنية وعربية وإسلامية وعلى نفقة الأردن، فأعاد بذلك جلالة الملك للمنبر ألقه، أمر



جلالته حفظه الله ببناء مأذنة خامسة على نفقته الخاصّة للمسجد الأسير.

• كيف للمثقّف والفنان والمفكّر أن يتعاون معكم في سياق الاحتفالية، واللجنة الملكية لشؤون القدس لإبراز عروبة المدينة وتأكيد قداستها؟

أجزم بأنّ ما من قضيّة حظيت باهتمام المثقفين والأدبـــاء والفنانين الأردنيين والعرب أكثر من قضيّة القدس، ونحن- كما أسلفت- نعمل على انتشار المدينة في الوجدان، وأن تكون مصدراً فنيّاً أو أدبيّاً أو بحثيّاً، وقد نشرنا ما تجيء به الصحافة من قصائد ورسوم كاريكاتورية عن المدينة، ووثقناه في نشرة القدس التوثيقية الشهرية، وهذا غيضٌ من فيض، وآخر ما فعلناه أننا تعاقدنا مع عدد من كتّاب القصّة لإصدار قصص للأطفال والفتيان تحكي تاريخ القدس، وتعمقها في وجدانهم. وندعوا مثقفينا وأدباءنا ومفكّرينا وعلماءنا إلى أن تتوحد جهودهم في سياق احتفالاتنا بالمدينة عاصمةً للثقافة العربية هذا العام.

• كيف يمكن للمدعي أن يطوّع التاريخ، وكيف لصاحب الحق أن يستلهم ماضيه ويؤطّر شرعيّته؟

منذ شبابي وأنا مغرمٌ بالتاريخ، مع أنني درست الحقوق، وازداد اهتمامي بالتاريخ بحكم طبيعة عملي بمعيّة صاحب السّمو الملكي الأمير الحسن بن طلال، وبوصفي أميناً عاماً للجنة الملكية لشؤون القدس.

وقولك إنّ التاريخ حقيقة ضائعة ينطوي على فلسفة، وفي هذا السياق أقول إنّ التاريخ يحمل الفعل الإنساني: خيره وشرّه، تقدّمه وتخلّفه، انتصاراته وهزائمه، وأنا لا أميل إلى وصفه بالحقيقة الضائعة؛ إلا إذا كنت تقصد بالحقيقة الحّق، فهو لا يكفي وحده لصناعة التاريخ، بل لا بد من قوّةٍ ترفده، وتعلم أنّ التاريخ قد تطمس معطياته أو يلوى عنقه، وأدلل بحقنا العربي في فلسطين، الحق الأبلج في القدس، وعسى الأمور أن تتبدّل فيترسّخ الحق، ونتخطّى التحدّيات.

---

* محرر المجلة





الفتاة اليابانية بين ألق الظاهر وتعقيد الداخل

"مذكرات جيشا".. خبايا امرأة وسطوة تقليد



أسيل غسان عبد الخالق *

تصدرت رواية (مذكرات جيشا) لآرثر غولدن قوائم الكتب الأكثر مبيعاً في العالم، بعد ثماني سنوات من صدورها عام ١٩٩٧. ففي عام ٢٠٠٥ تم أنتاج فيلم مُستمدٌ من الرواية، حصد ثلاث جوائز أوسكار وصور حياة فتاة الجيشا التي عاشت في اليابان قبل الحرب العالمية الثانية، وقد نجح بدمجنا في أعماق الحضارة والثقافة اليابانية.

الكاتب الذي يحمل شهادة الماجستير في التاريخ الياباني من جامعة كولومبيا، أكد أنه قام بكثير من البحث التاريخي قبل كتابة روايته، كما اعتمد على شهادة مينيكو إيواساكي أحد أبرز فتيات الجيشا في فترة الستينات، فضلاً عن الاستناد إلى كتاب "جيشا" لليزا دالبي- المرأة أمريكية الأصل الوحيدة التي أصبحت جيشا- بوصفه مرجعاً أساسياً في العمل.

الجاذب في هذه الرواية ليس الزخم التاريخي أو الوصف الدقيق لطقوس وعادات فتيات الجيشا، بل خلق شخصية راوية مقنعة جداً تسرد لنا تفاصيل من الماضي الحضاري والعاطفي الياباني، الماضي الذي كان قد بدأ يندثر، إنها شخصية تأرجحت حياتها بين أحسن الظروف وأيسرها والعيش تحت وطأة حرب من أبشع الحروب التي شهدتها البشرية وهي الحرب العالمية الثانية.

إن مذكرات جيشا- في هذه الرواية

التاريخية الخيالية والرومانسية- تدخل القارىء في عالم من الفنتازيا الحضارية بسردها قصة نضوج فتاة في واقع يحكمه الحب والرغبة والتقاليد، وتكاد تكون نسخة أكثر واقعية ونضوجاً من قصة سندريلا الخيالية!

في الرواية تبدو "كيو" الفتاة اليابانية الفقيرة الغنيّة بجمال تقاسيم وجهها ولون عينيها الرمادي المائل إلى الزرقة، ابنة صياد السمك العجوز الفقير، تمرّض أمها وهي في التاسعة من عمرها وتتحمل العائلة أعباء جديدة لم تكن في الحسبان، فيظهر السيد تاناكا رجل الأعمال المحلي فجأة في حياة العائلة، ويعرض على والد "كيوتو" أن يتبنى ابنتيه ليخفف عنه عبئهما لكنه يبيع الفتاتين للعبودية، "كيو" الجميلة إلى بيت جيشا وأختها المسكينة إلى بيت بغاء!

ومن هنا تبدأ أحداث الرواية بالتبلور لأن "كيو" لم تطق واقعها الجديد وتخطط للهرب مع اختها "ستاسو" ، لكن محاولتها تبوء بالفشل فتهرب أختها مخلفة إياها في عتمة المدينة الجديدة والمستقبل المجهول.

"كيو" التي خسرت فرصتها بأن تصبح "جيشا" بعد محاولة هروبها، تسخرها رئيسة بيت الجيشا التي يطلق عليها "الأم" للخدمة في البيت حتى تلتقي بالصدفة رجلاً يغير مجرى حياتها. السيد أيواروما رجل أعمال معروف بلقب الرئيس، يلتقي "كيو" في الشارع مرة ويريها شيئاً من العطف و الكياسة لم تر مثلهما من قبل. الرجل الذي يسحر بجمال عيني "كيو" يحرك في داخلها مشاعر الحب الطفولية، فتحتفظ بمنديل أعطاها إياه لتجفف دموعها، ويجعلها تصلي ليلاً ونهاراً لكي تصبح فتاة جيشا مرة أخرى، لأنها كانت ترى في "فتاة الجيشا" الطريقة الوحيدة للقاء فارس أحلامها الرئيس أيواروما.

يبتسم القدر "لكيو" مرة أخرى حينما تراها "ماميها" فتاة الجيشا الأكثر شهرة في جيون كلها، وتأخذها تحت جناحها وتدربها على فنون الجيشا وتدفع مصاريف مدرستها وثيابها وتراهن رئيسة بيت الجيشا التي تملك "كيو"، بأن "كيو" ستسدد المبلغ الذي دفعته الأم ثمناً لها قبل أن يبلغ عمرها ثمانية عشر عاماً.

آرثر جولدن يحملنا خلال فترة تدريب "كيو" لتصبح جيشا، إلى أعماق الثقافة اليابانية بما فيها من عادات وتقاليد، كمراسم الشاي، والأزياء الشعبية، والرقصات والفنون والموسيقى، والنظام الاجتماعي

السائد في الثلاثينات من القرن الماضي قبيل الحرب العالمية الثانية، وحينما تتم "كيو" مرحلة تدريبها وتصبح جيشا يطلق عليها اسم جديد غير ذلك الذي ولدت به، لقد أصبح اسمها "سايوري". وقد أحست "كيو" حينئذ فقط بأنها سلخت من ماضيها البسيط تماماً لتصبح فتاة جيشا مبتدئة.

تروي سايوري قصتها لنا بلغة سلسة وبسيطة تتيح للقارىء فرصة تلمس مشاعرها من دهشة وحيرة - واشمئزاز في بعض الأحيان- جراء الطقوس التي يتوجب عليها ممارستها. حيث تكشف لنا خبايا عالم الجيشا: كيف تباع عذرية فتيات الجيشا المبتدئات للمزايد الأعلى، وكيف يكون على الجيشا أن تتخذ لنفسها راعياً من الرجال الأغنياء كي يقوم بتحمل مصاريفها وتسديد ديونها، مقابل كونها عشيقته الجاهزة دائما للترفيه عنه وتلبية رغباته.

تعيش سايوري في هذا العالم المتألق من الخارج والقاتم شديد التعقيد من الداخل، وتكاد تكون إحدى أهم فتيات الجيشا في جيون، لولا مؤمرات فتاة جيشا أخرى تقيم معها في الدار نفسها وتدعى "هاتسومومو"، إلا أن "ماميها" التي اعتادت طبع هاتسومومو السيء الذي لا يقبل خوض منافسة شريفة أبدا، نجحت في إيقاع هاتسومومو في شر أعمالها وأبعدتها عن جيون إلى الأبد، فاتحة بذلك أبواب المستقبل الواعد أمام "سايوري" التي أخذت شهرتها بالازدياد شيئا فشيئا، لتجد نفسها واقعة في ثنائية حب شديد التعقيد، فهي لم تنس حبها يوماً للرئيس أيواروما الذي لم يبد أي اهتمام بها على الإطلاق رغم لقائهما المتكرر في



مناسبات عدة، لكنها صادفت اهتماماً كبيراً من طرف صديقه وشريكه "نوبو" الذي كان رجلاً جاداً وشريفاً، فقد تعرض لانفجار أثناء خدمته العسكرية فجعله مشوهاً تغطي الحروق معظم جسده.

يدخلنا جولدن في حالة من الترقب لنعرف مصير قصة الحب الطفولية التي عاشتها سايوري، فنضجت هي وقصة الحب معا ودخلتا في دوامة من المغامرات والاضطرابات كذلك، إلا أن الأحوال بدأت بالانقلاب شيئاً فشيئاً واندلعت الحرب العالمية الثانية مخلفة اليابان في حالة من الجوع والفزع والدمار؛ "نوبو" صديق الرئيس الذي أحب سايوري حباً جماً أمّن

لها ملاذاً من الحرب عند أحد أصدقائه، فقد منعت فتيات الجيشا من العمل حتى انتهاء الحرب، "سايوري" الجيشا الجميلة عادت لتعمل في الحقول فتاة ريفية كما كانت أول مرة ثم عادت إلى جيون لتساعد الرئيس ونوبو في بناء عملهما مرة أخرى، لكنها هذه المرة تجد جواً مختلفاً عن ذلك الذي ألفته في جيون قبل الحرب: جنود أمريكيون في كل مكان، موسيقى صاخبة وأزياء غربية الطراز، هذا التغيير لم يكن الشيء الوحيد الذي واجه سايوري حين عودتها، فقد وقعت أسيرة ثنائية الحب مرة أخرى، نوبو يريد أن يكون راعياً لها، وهي تعلم أنها إذا أصبحت ملكا لنوبو فسيضيع حبها للرئيس أيواروما للأبد.

لقد خلق آرثر جولدن جواً روائياً مليئاً بالإثارة والترقب والأحداث غير المتوقعة، وينبض بأسلوب تشارلز ديكينز الطافح برسم المأساة في أدق تفاصيلها، فهذه الرواية لا يعيبها شيء حقاً سوى ميل الكاتب إلى تصنيف الشخصيات الثانوية إلى أشرار وطيبين بطريقة كرتونية هي أقرب إلى تركيبة الحكايات الخيالية، فهتسومومو هي الساحرة الشريرة التي تضع العقبات أمام الأميرة وتحاول إيذاءها لكنها تدمر نفسها عوضاً عن ذلك، والرئيس أيواروما هو ذلك الفارس القادم على حصانه الأبيض الذي سيخطف قلب الأميرة ويفتح لها أبواب عالم الأحلام، لنكتشف أن قصة الحب في هذه الرواية فيها شيء من السذاجة لا يجعلها أهم ما فيها وإن قاد هذا الحب معظم أحداث حياة سايوري وخياراتها وبالتالي أحداث الرواية. والنهاية هنا نهاية سعيدة كنهاية كل القصص الخيالية، فالقدر يلعب لعبته ويجمع بين قلب الرئيس وسايوري ليعيشا سويا حتى نهاية عمرهما.

مذكرات جيشا رواية نسافر فيها مع سايوري وفتيات الجيشا إلى ماض كان يوشك على الاندثار وبهتت معالمه بعد الثورة التطويرية التي عاشتها اليابان في أعقاب الحرب العالمية الثانية، كما أننا نغوص خلالها في تفاصيل حياة امرأة لم تختر حياتها ولكن قدرت لها فصارت قدرها وعالمها وهويتها أيضا.

---

* آرثر جولدن: كاتب أمريكي من ولاية تينيسي، ولد عام 1956، حصل على درجة البكالوريوس في تاريخ الفن في جامعة هارفرد الأميركية، والماجستير في التاريخ الياباني من جامعة كولومبيا وفي اللغة الإنجليزية في جامعة بوسطن. له رواية واحدة هي "مذكرات جيشا" صدرت عام 1997، وبيع منها أكثر من أربع ملايين نسخة وترجمت لاثنين وثلاثين لغة منها العربية.

* فتيات الجيشا: فتيات جميلات قادرات على إدارة الحديث وتقديم الطعام ونشر المرح والجمال في الجلسة. يبدأ تدريب الفتاة وهي طفلة في الثالثة أو الخامسة من عمرها لتتقن الرقص التقليدي والغناء وفنون الكلام، فوظيفتها أساساً تتمثل بالترفيه عن الضيوف، وفتيات الجيشا لسن بائعات هوى كما هو متصوّر، بل تحكم حياتهن العاطفة والعادات والتقاليد؛ وفي حال مخالفتهنّ هذه العادات يتعرضن لطرد ويسحب منهنّ اللقب.

* طالبة جامعية/ ك. اللغات الأجنبية



ناقد جزائري يرى أن نقدنا العربي الحديث والمُعاصِر غربي الأصول والنظرية

صحراوي: النقد الأكاديمي حبيس الرفوف



حاورته: آية الخوالدة *

يرى الناقد الجزائري إبراهيم صحراوي أنَّ النقد الأدبي والفني السائد عربياً هو النقد الصّحافي، وهو في معظمه نقد توثيقي وانطباعي تغلب عليه المجاملات والإخوانيات أو التجنّي والهجوم. أمَّا النقد الأكاديمي الذي يُنجَز ضمن الأطروحات والبحوث الجامعية فهو نخبوي يبقى حبيس مكتبات الجامعات والكليات وأقسام اللغة العربية وآدابها هنا أو هناك ولا يُلتفتُ إليه إلاَّ نادِراً، فلا يعود إليه المُستهلك إلاَّ مضطرّاً.



إبراهيم صحراوي باحث متمرس في بحور النقد وتياراتها، إذ كان من أوائل المهتمين بالدراسات النقدية الحديثة، إلى جانب أنه من المتابعين للتطورات الأدبية وتحولاتها في السرد الجزائري خاصة، وله حضور مميز في الساحة العربية بترجمة كتب على قدر كبير من الأهمية من مثل «رجل الاستشراف» لدانيال ريغ، و«مقاربات في الحداثة» لجون ماري دومينيك، و«فلسفات عصرنا» لمجموعة من الباحثين، ومسرحية جاز للكاتب الفرنسي الشهير مارسيل بانيول، وترجمة نصوص ألكسي دو طوكفيل عن الجزائر.

من مؤلفاته «تحليل الخطاب الأدبي، دراسة تطبيقية» عام ٢٠٠٠ و «السرد العربي القديم» عام ٢٠٠٨.

وفي إطار مشاركته في ملتقى السرد العربي الأول الذي عقد في عمان، التقته مجلة أقلام جديدة، فكان هذا الحوار:

• يُشاع أنّ القصة القصيرة بدأت تفقد قرّاءها لصالح الرواية؛ فماذا ترى؟

الرواية ليست بأحسن حالا من القصَّة من حيث مقروئيتها؛ وبناءً عليه فلا أعتقد ما يُشاع.

• ما تزال الإصدارات الأدبية تتوالد؛ ولكنها لا تحمل في كثير منها شكلاً إبداعياً!.. ما السبب؟!

الأسباب كثيرة، منها سهولة النشر في الظروف الراهنة بخلاف ما كان عليه الأمر في السابق، فالسياسات الثقافية العربية عموما أعطت في السنوات الأخيرة مكانة مُعتبَرة للنشر، ممَّا أدَّى إلى استسهال الكتابة، والجرأة على الأنواع الأدبية دونما امتلاك لعُدَّتها، ناهيك عن غياب النقد الجادّ الذي يُقوِّم المنتج الأدبي الجديد من غير مجاملة أو مُحاباة، يضاف إلى ذلك غياب المقروئية الجماهيرية (وحتَّى المتخصِّصة)، وكلّ ذلك أدَّى إلى عدم وجود بورصة أعمال أدبية تُوضِّح القيمة الأدبية الحقيقية لهذا العمل أو ذاك وفق القاعدة الاقتصادية التي تفترض أنَّ السِّلعة الجيِّدة تطرد السِّلعة الرَّديئة من السوق..

• يواجه العالم العربي اليوم أزمة قراءة- بكل شرائحه المجتمعية، فما الأسباب الكامنة وراء ذلك؟

أعتقد أن أسباباً متعدِّدة لهذه الظاهرة: اجتماعية وثقافية واقتصادية، أما العزوف عن المطالعة فلأنّ الظروف العامَّة والخاصَّة تغيّرت، وقد عرف مزاج العصر انفجاراً رهيباً لوسائل الاتصال وتقنياته ممَّا أوجد وسائط اتصال جديدة زحزحت الكتاب بعض الشيء، ولا سيما الكتاب الأدبي أي القصص والروايات والمجموعات والدواوين الشعرية. كما أنّ المهتمّ يلمح ضعفاً لغوياً عامّاً وتراجُعاً في مستوى التعليم العربي، أما المطالعة في حدِّ ذاتها فسلوك نخبوي وممارسة فئوية تتطلَّب جُهداً بدنياً وعقلياً فكرياً يستدعي الصَّبر والقدرة على التحمُّل وتقبُّل المعاناة...

> **"...يلمح المهتمّ ضعفاً لغوياً عامّاً وتراجُعاً في مستوى التعليم العربي"**

• كيف يتكامل المبدع بالناقد لصالح الإبداع؟

ربما لا يتمّ ذلك بالقدر المطلوب وعلى النَّحو المرجو، إذ إنَّ النقد السائد حاليا هو النقد الصّحافي، وهو في معظمه نقد توثيقي وانطباعي تغلب عليه المجاملات والإخوانيات أو التجنِّي والهجوم. أمَّا النقد الأكاديمي الذي يُنجَز ضمن الأطروحات والبحوث الجامعية فهو نقد نخبوي يبقى حبيس مكتبات الجامعات والكليات وأقسام اللغة العربية وآدابها هنا أو هناك ولا يُلتفتُ إليه إلاَّ نادراً، فلا يعود إليه المُستهلك إلاَّ مضطرّاً. وهناك نقد وسيط نراه في الأبحاث والدراسات التي تُلقى في الندوات والمُلتقيات أو تُنشر في الدوريات المُتخصِّصة

وهو مثل سابقه، قليل التأثير ولا يُقرأُ إلا عند الاضطرار.

• لك رأي في الاستفادة من منجز الغرب النقدي؛ بل وتبني معاييره!

نعم، وأشجِّع ذلك. وفي هذا الإطار يندرج كتابي "تحليل الخطاب الأدبي، دراسة تطبيقية" الذي صدرت طبعته الأولى في الجزائر سنة ٢٠٠٠ ونال سنة ٢٠٠١ جائزة أحمد عويدات الناشر اللبناني المعروف لأفضل كتاب إبداعي في الوطن العربي في سنتها الثانية. ثمَّ إنَّ نقدنا العربي الحديث والمُعاصِر غربي الأصول والمبادئ المعرفية النظرية، لننظر إلى النَّظريات الأدبية وما تمخَّض عنها من مناهج نقدية أليست غربية كلّها أو على الأقل في معظمها؟ ومن ثمّ فإنَّ القول بتشجيع الأخذ والاقتباس من الغرب تحصيل حاصل، وفي هذا المجال، فمنذ القطيعة التي أحدثناها مع الأنواع القصصية العربية التراثية (التي فصَّلتها في كتابي: السَّرد العربي القديم، الأنواع والوظائف والبنيات، الصَّادر في بيروت مطلع عام٢٠٠٨)، عند اتصالنا بالغرب لفائدة الأنواع القصصية السَّائدة لديه، ومع النقد العربي القديم أيضا الذي لم يكن يهتمُّ بالسَّرد على الإطلاق فيما عدا إشارات عامَّة عابرة وأحكام مُجمَلة قليلة مُتفرِّقة في بطون الكتب العربية القديمة.

> **"نقدنا العربي الحديث والمُعاصِر غربي الأصول والمبادئ المعرفية النظرية"**

• بأية لغة تكتب الرواية الجزائرية: العربية أم الفرنسية؟

الكتابة الروائية بالعربية مُزدهرة في الجزائر وهي من الناحية الكمية أكبر من مثيلتها باللغة الفرنسية. وحتى من حيث المقروئية، يُفترَض نظريا أنَّ القراء المُفتَرَضين باللغة العربية أكبر من الناحية العددية من نُظرائهم القراء باللغة الفرنسية.

• هل يختلف المثقف أو الأديب الجزائري في تحدياته عن شقيقه العربي؟! التحديات واحدة..وهي نفسُها التي تواجه المُثقَّفين والأدباء والمُفكِّرين العرب في كلِّ الأقطار العربية الأخرى.

• تشكل المرأة الجزائرية تسعة وأربعين بالمئة من إجمال عدد السكان، إلا أنها غائبة عن الساحة الاقتصادية والاجتماعية و السياسية، فما الأسباب؟ وما دور مؤسسات ومنظمات المجتمع المدني في الارتقاء بمستوى عملها و إنتاجيتها؟

المرأة ليست غائبة، بل قد يكون الأصحّ أنَّ حضورها لا يرقى (رُبَّما) إلى ما تطمح إليه جِهات مُعيَّنة.. هنا أشير فقط إلى ظاهرتين أصبحتا لافتتين بشكل كبير في المجتمع الجزائري في الفترة الأخيرة.

فمثلاً: عدد الطالبات في الجامعة الجزائرية -جامعة الجزائر بكلياتها المختلفة مثلا- يقارب ثلاثة أضعاف عدد زملائهنّ الطلبة الذكور.. والأمر نفسُه يتكرر فيما يتعلَّق بعدد المدرِّسات في مختلف

أطوار التعليم اللائي يزيد عددُهن عن عدد المدرّسين الذكور.

كما أنّ عدد سائقات السيارات في شوارع المدن الجزائرية كبير جّدا وهو ما لم نكن نشاهده قبل عشر سنوات ولا حتّى نتصوّرّه قبل ١٥ أو ٢٠سنة مضت.. وقد شاهدت شخصياً سائقة لحافلة عمومية في شركة النقل العمومي بالعاصمة.

هـذا دون الحـديـث عـن الطبيبات والمحـامـيـات والقـاضـيـات والصـحـفـيـات والعـامـلات فـي الإدارات المـخـتـلـفـة، والشرطيات والمُسيّرات ومديرات المؤسّسات المختلفة، والنائبات في البرلمان والوزيرات ورئيسات الأحـزاب، ومنهن من ترشّحت للانتخابات الرئاسية؛ فكانت بذلك المرأة الجزائرية من أوائل النساء اللاتي ترشحن لشغل أعلى منصب في الدّولة في بلد عربي أو غيره ... كما لا ننسى النّساء الأديبات فهنَّ كثيرات في الجزائر في حقول: الرواية والقصة والشعر، ومن كاتباتنا اللاتي يتكلمن الفرنسية من تعدَّت شهرتُها حدودَ الجزائر إلى باقي أنحاء العالَم العربي وأوروبا.

ولدينا في الجزائر أديبات اشتهرن من مثل: الروائية أحلام مستغانمي، والأديبة زهور ونيسي، والشاعرة بوساحة مبروكة، والـروائـيـة ياسـمـيـنـة صـالـح، والـشـاعـرة منيرة سعدة خلخال، والكاتبة آسيا جبار، والقاصة عائشة بنت المعمورة، والقاصة نسيمة بولوفة، والقاصة عقيلة رابحي.

---

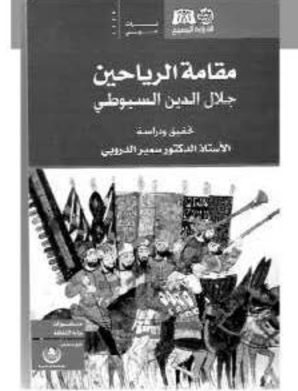
* صحافية أردنية





إعـــداد : جـعـفـر الـعـقـيـلـي

مقامة الرياحين



يعدّ فن المقامة من أصعب الفنون تصنيفاً ضمن جنس أدبي معروف، وهو ما قاد الباحثين المحدثين، وخاصة العرب منهم، في السنوات الأخيرة، إلى الاهتمام به بوصفه جنساً أدبياً تفرد به العرب في عصرهم القديم.

من هنا تأتي أهمية تحقيق كتاب "مقامة الرياحين" لجلال الدين السيوطي الذي حققه ودرسه **أ.د. سمير الدروبي**، متخذاً منهجاً نفذ من خلاله إلى مداخل وزوايا غير تقليدية، كاشفاً عن المبدأ "الرمزي" الذي بنى السيوطي مقامته عليه.

يروم بحث الدروبي تقديم دراسة تكشف عن الجانب الرمزي في هذه المقامة التي وضعها جلال الدين السيوطي (ت.911 هـ/1505 م).

جاءت الدراسة موزعة على تمهيد وخمسة فصول: الرمز (مفهوماً واصطلاحاً)، المنحى الرمزي في مقامات السيوطي، التفكير السياسي والرمز في "مقامة الرياحين"، "مقامة الرياحين" – تحليل الأنموذج، شخصيات المقامة بين الواقع والرمز، وبواعث الرمز في "مقامة الرياحين".

الدراسة التي صدرت العام 2008 ضمن منشورات وزارة الثقافة، بدعم من الجامعة الهاشمية، في 280 صفحة من القطع الكبير، استُهلت بتتبُّع دلالة الرمز في المعاجم وكتب البلاغة العربية قديمها وحديثها، وتم التفريق بين الرمز بمدلوله اللغوي الذي يعني عدم المباشرة في التعبير، والرمز بمفهومه المعاصر بوصفه قائماً على الإيحاء النفسي للأديب عن عالم مثالي.

يرصد البحث منحى الرمز في "مقامة الرياحين" عند الدارسين من عرب ومستشرقين قديماً وحديثاً، ويبين أن معظم الدارسين وقفوا عند ظاهرها وعدُّوها مناظرةً بين الرياحين، وقلّةٌ منهم لاحظت الرمز فيها، لكن ملاحظاتهم كانت انطباعية غير مشفوعة بتحليل يسبر ما فيها من ترميز، ويُجلي مدلولات هذه الرموز.

الراوي في الرواية الأردنية بين جيلين



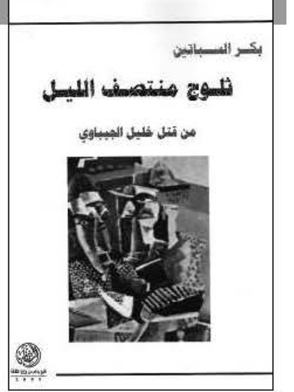
يُنظَر إلى الراوي على أنه أحد أركان العمل الروائي، فوراء الظواهر الفنية من أفعال وشخوص، ومكان وزمان، يقف راوٍ يتولى مهمة الترتيب والتنضيد داخل النص الروائي، لذا تعددت المقاربات والأبحاث النقدية لدراسة الراوي بوصفه ركناً يحدد أسلوب العمل الروائي وبنيته. في هذا السياق يأتي كتاب «الراوي في الرواية الأردنية بين جيلين» **لأسمهان علي العقيل** الذي صدر ضمن منشورات أمانة عمان الكبرى (2008) في 254 صفحة من القطع الكبير، مشتملاً على تمهيد وبابين.

تعرض الباحثة في التمهيد لمفهوم الراوي ودوره في العمل الروائي بعامة، وفي الرواية الأردنية على وجه الخصوص، مؤكدة أن الراوي هو الركن الأساسي الذي يقوم عليه العمل الفني. وتوضح مفهوم «الجيل» وحدوده من العام 1968 حتى الآن.

يتناول الباب الأول الراوي من خلال نماذج لروايات جيل الرواد، وهي: «فتاة من فلسطين» لعبد الحليم عباس، «مارس يحرق نفسه» لعيسى الناعوري، «في طريق الزمان» لشكري شعشاعة، و«مغامرات تائبة» لحسني فريز. وترى الباحثة أن أساليب الكتابة التقليدية سيطرت على كتّاب هذا الجيل، إذ يقوم الكاتب بدور الراوي المتحدث بضمير الغائب الذي يتدخل في كل شاردة وواردة في سياق الأحداث والشخصيات.

ويقدم الباب الثاني نماذج من روايات الجيل الثاني، وهي: «أنت منذ اليوم» لتيسير السبول، «العودة من الشمال» لفؤاد القسوس، «جمعة القفاري: يوميات نكرة» لمؤنس الرزاز، «الشهبندر» لهاشم غرايبة. وتخلص الباحثة إلى ابتعاد روايات هذا الجيل عن التقريرية والمباشرة والخطابية، وتنوع أساليبها السردية وأبنيتها الفنية.

ثلوج منتصف الليل



تُبرز رواية «ثلوج منتصف الليل» **لبكر السباتين** التي صدرت بدعم من وزارة الثقافة (2009)، في 400 صفحة من القطع المتوسط، المفهومَ العميق للمقاومة التي هي فعلٌ ضروري يحقق الإنسان ذاته من خلاله، فالمقاومة لا ترتبط بجبهات الحرب والقتال وحسب، إنما تتعدى ذلك إلى رفض جميع أشكال الظلم والاستبداد، ومحاربة الخائنين والمتآمرين مع العدو.

تتنوع في الرواية الدروب التي تسلكها الشخصيات المقاوِمَة، فبعضها من مثل إبراهيم الصافي وزوج أخته عبد الجبار، حارَبا على الجبهة خلال اجتياح بيروت، وتحمّلا عار الهزيمة نفسياً وجسدياً، فالصافي فقد رجولته بسبب شظية، فيما ظل شبح



الموت يطارد عبد الجبار، الذي ظل يحاول ثني ابنه المحامي ماهر عن سعيه للإيقاع برأس الفساد خليل الجيباوي المتاجر بأحلام الناس، الذي لا يتورع عن التعاون مع العدو في سبيل زيادةٍ في المال والجاه، ويبدو من سياق الرواية، أنه ورث هذه الخصال الدنيئة أباً عن جدّ.

رغم تنوع خلفيات الشخصيات وتعددها، إلا أنها تتوحد جميعها في مواجهة الجيباوي وزعزعة كيانه المصطنع، إذ يقدم ماهر ما يثبت تورط الجيباوي بصفقات مشبوهة، بالاتفاق مع آخرين طالهم ظلمُ الجيباوي وجبروته، فقد كان يسرق عصارة إبداع الشباب من شعر أو نثر أو رسم، مستغلاً حاجتهم المادية، وينسبها لنفسه، وتختتم الرواية بمقتل الجيباوي لتبدأ الثلوج بالتساقط في مشهد يرمز إلى الأمل المقبل.

نُسجت الرواية بلغة ظلت قادرة على حمل توتر الأحداث، وانفعالات الشخصيات، ودفْع السرد للأمام، وهي ترصد الواقع بعين روائي مقتدر، وتدفعه بقوة لنبذ أسباب الضعف والهزيمة والجبن والتراجع. ورغم مشاهد الإحباط والأسى التي تتغلغل في ثناياها، فإنها لا تخلو من البهجة ولذة الانتصار.

المنامات في الموروث الحكائي العربي



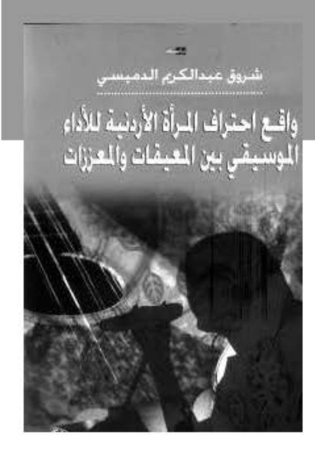
دراسة في النص الثقافي والبنية السردية

يلقي كتاب «المنامات في الموروث الحكائي العربي: دراسة في النص الثقافي والبنية السردية» **لدعد الناصر** (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2008، 394 صفحة من القطع الكبير)، الضوء على طبيعة المنامات، ومنهجية درسها وتحليلها، ونصوصها ومصادرها، محاولاً إثبات أن المنامة نص ثقافي منفتح على معرفيات متعددة، وخطابات متباينة تمنحه اكتنازاً في دلالاته، وبنيته الفكرية العامة، إذ انفتحت المنامات على النص المقدس: القرآن، والحديث الشريف، وعلى مستويات سردية متنوعة، منها: الخبر، والترجمة، والرحلة، والنظم الشعري.

تدرس الباحثة البنية الحكائية للمنامات، متناولةً مصادرها وانتماءها النصي، عبر ثلاث بنى رئيسية: البنية الحكائية في منامات الأخبار، والبنية الحكائية في منامات السير الشعبية، والبنية الحكائية في منامات الحكايات. مشيرة إلى أن المنامات إرث تاريخي ضارب في القدم، وحاضر بحضور الإنسان على مر السياق التاريخي.

وحللت الباحثة المقامات في الفكر العربي الإسلامي والصوفي، وفصّلت القول في عناية فرويد ويونغ بالمنامات، وارتباطها بالطاقات النفسية والفكرية الكامنة في الذات الإنسانية، مميزةً بين أنواع المنامات، وما تنطوي عليه من مضامين فكرية مهمة.

واقع احتراف المرأة الأردنية للأداء الموسيقي



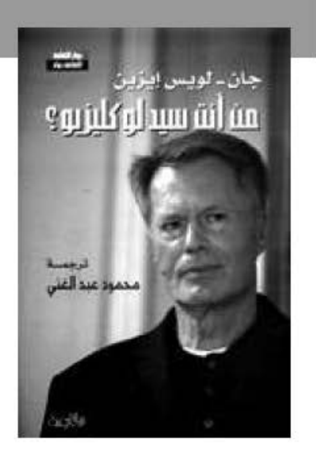
عديدة هي التحدّيات التي تواجه عمل المرأة بعامة، والمرأة الموسيقية على وجه الخصوص، سواء العازفة أو المغنية.

في هذا الإطار، يروم كتاب «واقع احتراف المرأة الأردنية للأداء الموسيقي بين المعيقات والمعززات» **لشروق عبد الكريم**، الذي صدر بدعم من وزارة الثقافة (2008)، في 176 صفحة من القطع الكبير، التعرف إلى النساء الأردنيات العاملات في المجال الموسيقي، وعلى المعيقات والمعززات الاجتماعية والاقتصادية التي تحدُّ من وصولهن إلى الاحتراف.

يأتي الكتاب في ثلاثة فصول، تبدأ بمهاد تاريخي لواقع المرأة الموسيقية في الحضارات العربية»، تتتبع فيه الكاتبة سيرة نساء عربيات عملن في مجالات موسيقية منذ حقبة ما قبل الإسلام حتى الوقت الحاضر. ويتناول الفصل الثاني «واقع المرأة الموسيقية الأردنية» الواقع الاجتماعي وما ينبثق عنه من قيم واتجاهات وتقاليد وقوانين تؤثر في دور المرأة وعملها في مجال الموسيقى والغناء.

ويبيّن الفصل الثالث المعيقات والمعززات التي تواجه احتراف المرأة الموسيقية الأردنية، ويتتبع سير فنانات محترفات في مجال الأداء الموسيقي، عارضاً صوراً ملونة لهن ولبعض نشاطاتهن، ومنهنّ: سلوى، سامية غنوم، زين عوض، روز الور، ليندا حجازي، شيرين أبو خضر، ديما بواب، مروة السيد، رلى البرغوثي، مكادي نحاس، تمارا عمر، لما حداد، قمر بدوان، عبير الصباغ، نانسي بيترو، غادة العباسي، أريج الباسل دحدل، جوليانا سليم، هبة الناصر، هبة بسام، ديما أندوراس، ريم الناصر ومريم فخري.

من أنت سيد لوكليزيو؟



يقدم كتاب «من أنت سيد لوكليزيو؟»، خلاصةَ حوار مطوَّل أجراه جان – لويس إيزين مع لوكليزيو الذي فاز العام 2008 بجائزة نوبل للآداب، وترجمه عن الفرنسية **محمود عبد الغني**.

يبين الكتاب الصادر عن دار أزمنة للنشر والتوزيع (2009)، في 87 صفحة من القطع المتوسط، تأثر لوكليزيو في العديد من الأنساق الفكرية، وذلك من خلال رحلاته وأسفاره الكثيرة، وقد ظهر ذلك في نصوصه الأدبية والفكرية ذات الصبغة «الأسطورية»، ما يفتح الباب



أمام تفسيرات عقلانية علمية للعالم تتواشج مع روح صوفية تعتمد تجربة الرواة القدامى وحياتهم.
يكشف الحوار تأثر لوكليزيو بالميثولوجيا الإغريقيّة والرومانية، أولاً، ثم تشبعه بعناصر البوذية ونمط العيش الذي انتهجه الهنود أسلوباً لحياتهم، لذا بدا جليّاً تمتع لوكليزيو بديكاليتيكية تجمع المتناقضات وتصهرها في بوتقة واحدة: الإنسان/العالم، الإنسان/الحيوان، الخيال/ الواقع، المجموعة/الفرد، النظام/الفوضى، الأفقي/العامودي. متلمساً تأثر لوكليزيو بالموسيقى التي عدّها ملاذاً من عنف الكلمات المسيطر على الواقع، وهو في ذلك يتفق مع أطروحة جاكلين ميشيل التي ترى في الموسيقى جزءاً من مملكة الصمت في مواجهة الكلمات.

يلخّص لوكليزيو نظرته لمجتمع الغرب بقوله: «المجتمع الغربي يجهل تماماً أنه سيزول. إنه يخاف من موته، وتحديداً، بسبب هذا الخوف، فإنه يخاطر أن يزول دون أن يترك أدنى أثر، مثلما أنه لا يتوقع أن يترك شهادة حقيقية. إن ما سيتركه سيكون مطلسماً».

وحول الكتابة يؤكد لوكليزيو أنها نوع من الحلم الجماعي، إذا استطاع الأدب تحقيقه يكون قوياً وحقيقياً وجميلاً.

الثقافة والإبداع الرقمي



يناقش كتاب "الثقافة والإبداع الرقمي" **للسيد نجم**، الصّادر ضمن منشورات أمانة عمان الكبرى (2008)، في 155 صفحة من القطع المتوسط، جملةً من القضايا والمفاهيم حول الإبداع الرقمي، منها: الفجوة الرقمية، النشر الإلكتروني والطفل، النقد الرقمي ومواصفات الناقد الرقمي، الصورة وواقع الأدب الافتراضي، ما تأثير الإنترنت في الأدب العربي؟، مستقبل الصالونات الأدبية والإنترنت، معطيات التقنية الرقمية، والمدونات الشخصية والنشر الإلكتروني.

في إطار هذه المناقشة، يتساءل الباحث عن مستقبل الكتابة والكتاب في ظل التطور التكنولوجي المتسارع، وتغوُّل شبكة الإنترنت، مشيراً إلى أن مستقبل الكتابة مرتبط بشكل مباشر بنوع الحياة التي سيعيشها الإنسان، ومقدار التغيرات التي تمس حياته، مشدداً على تطور صناعة الكتاب من حيث الشكل والمضمون، وفقاً لتطور الآلات الحديثة في الطباعة؛ فقد أصبحت المطابع تنتج كماً هائلاً في زمن بسيط، وبمواصفات عالية الجودة، موضحاً أن جوهر الكتاب قد ينافسه استخدام "الدِّسْكات" أو الأسطوانات الحافظة التي تستوعب العديد من الكتب عوضاً عن الشكل المعروف للكتاب، مؤكداً في الوقت نفسه أن الشكل القديم للكتاب سيبقى، وربما إلى مستقبل أبعد، وسيحتفظ بمكانته المرغوب بها بسبب العادة التي اعتادها القارئ من ميزة القراءة في أي زمان أو مكان.

مختارات من الشعر الكوسوفي المعاصر



يشتمل كتاب "مختارات من الشعر الكوسوفي المعاصر" الذي ترجمه **محمد م.الأرناؤوط**، وصدر عن دار أزمنة للنشر والتوزيع (2009) في 151 صفحة من القطع المتوسط، على قصائد مترجمة بعناية إلى العربية لشعراء كوسوفيين، مع ملحق يعرّف بأبرز إنجازات كلٍّ منهم، هؤلاء الشعراء هم: أنو جرتشيكو (1928)، دين محمدي (1932)، بسيم بوكشي (1943)، فخر الدين غونغا (1936)، صبري حميدي (1950)، أدي شكري (1950)، صالح باشوتا (1959) وبصري تشابريتشي (1960).

يكشف الكتاب أن تجارب هؤلاء الشعراء، يجمع بينها الهمومُ والأحلام الفردية والإنسانية، وقد تراوحت لغتهم ما بين المباشرة والرمزية، وما بين الرموز الأوروبية المشتركة والرموز الألبانية الخاصة، مع تطعيم قصائدهم بفيوضات من موتيفات بعضها محلية.

من أجواء المجموعة، التي اعتنت بقصائد تمجد الحرية والأرض والحياة، وتدين الحرب والظلم والاضطهاد، قصيدة لمحمد كرفيشي بعنوان "فلسطين" يقول فيها: "كم هي قريبة فلسطين، فلسطين تسافر من قلب إلى قلب، تستريح من روح إلى روح، كم وكم تخطت الموت، لتصل إلى الحرية".

كما اشتمل الكتاب على قصائد تمجد الحب، كقصيدة "أجراس الزمن" لرحمان ديداي التي يقول فيها: "في بعض الأحيان، يكون الزمن مجرد قميص مهترئ، لا نستطيع ارتداءه، والعظام التي تستيقظ من الأزهار، تقول لك الوصية الوحيدة: قس الزمن، بالحب فقط".





نحّات أردني أكاديمي يرى أنّ العمارة تمثل المكان.. ولا تضاف إليه

النمري: النفع المباشر شعارنا الأول في النحت



حاوره: عمر العطيات *

..كنا نعتقد في لقائنا معه بأننا سنستعرض سيرة حافلة من الإنجازات والأعمال الفنية الخالدة التي قدمها طيلة ريادته لهذا الفن، لكننا بدلاً من ذلك سمعنا صوتاً شجياً حزيناً مليئاً بالغضب يناشدنا إنقاذ ما تبقى من احترام لهذا الفن وأصوله، وشرعنا في الحديث عن أزمة مغايرة تواجهها الأمة..

كرام النمري الفنان "النحات" صاحب البصمة الأثيرة، حدثنا بهدوء المحارب فكان هذا اللقاء:



● هذه القامة الوطنية الرفيعة في النحت؛ حدّثنا عن البدايات، وكيف تشكل مشروعك الفني؟

أنت تذكرني بالماضي، كنت حينها في الصف الرابع الابتدائي بمدرسة عجلون وكان الفن يعطيني نوعاً من التميز عن الطلاب الآخرين، فعلى غلاف الدفاتر الجلدي القديم كنت أرسم، وكنت أسارع في إنهاء دفاتري حتى أستطيع أخذ الغلاف والرسم عليه، عدا أني كنت أقايض رسوماتي مع أغلفة دفاتر زملائي لأفرغ حسي.

وأذكر أني في العاشرة من عمري

اشتركت في معرض لوزارة التربية والتعليم لجميع مدارس المملكة، ففزت بالجائزة الأولى، وكانت جائزة الوزارة كاميرا وألبوم صور ودفتر رسم وعلبة ألوان، وأذكر يومها أنّ المعلم أخذ الكاميرا وأعطاني دفتر الرسم وعلبة الألوان فقط، وقد شكل لي فوزي دفعة معنوية وثقة بالنفس ساعدتني على التميز منذ طفولتي.

كان هذا التميز يعجبني ومضيت أؤكده وأصبح لدي هاجس فني، فكنت أستأجر من شارع السينما في مدينة إربد عدداً من المجلات أسبوعيّاً، منها مجلة المختار ومجلة الهلال مقابل خمسة قروش؛ فكانت أولى بداياتي ومعرفتي بـ « رينوار» و«ماتيس» والعديد من الفنانين العالميين وأصبح لدي هاجس لأن أدرس في كلية الفنون منذ كنت صغيراً، رغم أن هاجسي هذا كان بعيداً عن بيئتي كل البعد، أما في المرحلة الثانوية فقد مارست فني وكنت أعرضه عبر لوحة الحائط في مدرستي، ولا شك أنني في كل سنة كانت تزداد شدة تأملي في كل المناظر الطبيعية التي أمر بها، ولا سيما تلك المناطق التي كان يأخذني والدي إليها مما ساعد في تشكيل

> "أنا ابن الطبيعة وتذهلني تفاصيل بلدي وطبيعته القروية"

ذلك المخزون من الارتباط بالأرض والإعجاب والاندهاش من سحر الطبيعة، إضافة إلى أنني كنت شديد التمعن بالنباتات وتفاصيلها، لذلك فما أزال أعدُّ نفسي ابناً للطبيعة وتذهلني تفاصيل بلدي الأردن وطبيعته القروية وتشكيلات الطبيعة فيه.

أذكر أنني عندما قررت دراسة الفنون واجهت اعتراضاً وضغطاً شديداً من والدي خاصة بسبب بيئتنا القروية ومفاهيمها واحتياجاتها، إلا أنني حسمت أمري وقررت ودافعت عن قراري، بل ومارست الحيل في سبيل دراستي للفنون، وبدأت مصاعبي حينما انتهيت من دراستي في دمشق، ففي تلك الأيام قدمت إلى الأردن في فترة اقتصاديّة حرجة، وتيارات فكرية محافظة لا ترغب بالنحت والكثير من أشكال الفنون وتحديداً ما تخصصت به فمررت بضائقة مالية صعبة، إلى أن قدّم لي التلفزيون الأردني فرصة عمل مهمة في تنسيق وإعداد الديكور وأشكره قدم لي دعماً خاصة عبر البعثات، وقد أسهم تقدم التلفزيون في المنطقة في أن ألتقي وأعمل مع العديد من الأسماء الفنية العربية والعالمية الرفيعة وكانت تجربة عملية أفادتني وقدّمت لي الكثير، وبعد أن ازدادت خبرتي أصبحت أبحث عن الجامعات التي تستطيع أن تعرفني بالعلاقة بين الفنون السمعية والبصرية فذهبت لإكمال دراستي العليا في الولايات المتحدة الأمريكية وعملت في إيطاليا أيضاً وكل ذلك أضاف إلى تجربتي الكثير.

> **" القيم الحسية لدينا ممنوعة فمتى سنعود للتوازن المطلوب"**

● **هل أثّر الفكر الغربي ودراستك هناك في مشروعك ومنهجك الفني؟**

لا شك أن الغرب يمتلك العلم والتقنيات الحديثة واحترام الفنون فيه متقدم جداً، ذلك أنهم في الغرب يحترمون حسّ الإنسان، أما نحن فما نزال مرتبطين بالنفع المباشر "يعني أنا أشتري رغيف الخبز لأكله بدلاً من أن أحس فيه"، وللأسف فإنّ القيم الحسية لدينا محرمة بلا تفسير، فمتى سنعود لطبيعتنا الفطرية الحسية.

وأنا هنا أتحدث بغضب وحزن عما





يجري حالياً من حفريات بالقرب من الصرح التذكاري بجانب الجامعة الأردنية "صرح المخطوطات"، ولم يكلف أحد نفسه للاستئذان من النحات الذي قدم كل مجهوده في هذا العمل الفني المتكامل للقيام بهذه الحفريات أو طلب الاستشارة على الأقل، في الوقت الذي تهدد فيه هذه الحفريات ثبات الصرح ومتانته وهذا أمر معيب وكارثة مفتعلة، والناس في كل دول العالم المتحضر تحترم إنجازات فنانيها وهذا العمل معرض للانهيار بفعل هذه الاهتزازات التي تنشأ من الحفريات، كما أن الغبار المتناثر منها يؤثر بلا شك في ديمومة هذا الصرح وتقنيته الفنية خاصة مع عدم توفير وسائل الحماية له أثناء الحفريات، وهو ما يحدث كارثة أخلاقية، فضلاً عن العديد من الإساءات التي لحقت بمشروعات فنية أخرى من تغيير وعبث بشكلها وهويتها دون أي إنذار مسبق، وصدقني نحن مظلومون، فليس هنالك من جهة قائمة لتدافع عن منجزاتنا ومشاريعنا وحمايتها من العبث والتخريب.

> **"أفسحوا المجال للموهوبين ليسهموا في تراث وهوية البلد"**

● **المشهد النحتي الأردني، أين هو، وهل**

تجد له موقعاً على الساحة؟

نحن لا نتشدد في الدفاع عن فكرنا الفني، وننادي دوما بأهمية العمل النحتي والنصب التذكاري في تعميق الانتماء للأرض وهوية الوطن ، لكن ما تزال المصلحة الفردية تسهم في صنع القرار وتشكيله بما يخص المشهد الفني، مقابل مبلغ من المال قد يضيع مشروع فكري فني كامل أو يعرض للمساومة!!.

ومع كل ذلك فنحن نمتلك خامة فنية شبابية موهوبة، ونمتلك حساً فنياً ثلاثي الأبعاد، وعلى الجميع أن يفسحوا المجال لهؤلاء الموهوبين ليسهموا في تراث البلد وتقدمه.

● **هل ترى أن عين المراقب والمثقف العربي والأردني بحجم مشروعك الفني؟!**

الأردن يستحق منا الكثير من الجهد، والشعب والتاريخ ينشأ حسب ما تقدم له من عطاء، ونحن نطالب دوماً بجيل فني موهوب ونتناسى أن مدارسنا تواجه خللاً منهجياً في حصص الفن، وعملية التنشئة مهمة جداً خاصة في الجانب الحسي في الوقت الذي نعاني فيه من اختلال واضح في الجانب الحسي، والصورة هي لغة العصر التي ترتبط بمخزون الذاكرة الصوري لدينا وعلينا مراعاة هذه الحقيقة.

الحقيقة أن مجتمعاتنا ما زالت مرتبطة باللفظ والكلمة ونحتاج إلى تربية أجيال لنستعيد القدرة على التواصل عبر الصورة ونصل إلى حالة التوازن الطبيعية، وقلة هم أولئك الذين استطاعوا تخطي هذه الحالة "الانفصام في الرؤيا" عبر تطوير أدواتهم وتنويع أساليبهم، ومطلوب من المجتمع والجهات المختصة إعادة التوازن للجيل



الناشئ الذي عليه أن يتحلى بالقدرة على التفاهم باللغة الحسية والتعبيرات اللفظية، أما في الوضع الحالي فنحن نمشي عكس التيار، والنفع هو شعارنا الأول في هذه المرحلة.

● **أشرت في عدة أحاديث ولقاءات تخصك، أن المشهد النحتي في المنطقة ما يزال يراوح مكانه!.. ما الحل؟**

الحل هو أن نتخلى عن أنانيتنا وعن

النفع المباشر وأن نعطي فرصة للفنان بأن يحمل هذا الحمل الوطني على عاتقه وهو قادر، ومطلوب من وزارات التربية والتعليم أن تعيد دراسة وصياغة مناهجها لتخلق لنا جيلاً متوازناً خلاقاً، ومطلوب منا دوماً تخليد شخصياتنا ورموزنا الوطنية عبر مشاريع نحتية تصنع ذاكرة قوية ثابتة تجاههم، خاصة في ظل ضعف ثقافتنا الوطنية التاريخية ومطلوب من هذا الجيل أن ينشأ في بيئة نظيفة تذكره دوما برموزه الوطنية الرفيعة.

وأنا هنا أتحدث بصراحة وشفافية فأقول إنّ بعض المعماريين يسهمون في تشويه حضارة البلد وصورته في أعمالهم المعمارية الربحية التي لا تراعي تاريخ المكان وحضارته، والعمارة منذ نشأتها كانت ترتبط بالمكان وتمثله ولا تضاف إليه مطلقاً، ناهيك عن النحت الميداني الذي هو العنصر الفني الوحيد الذي يعبر عن وجدان الأمة ويرتبط فيها بالساحات.

• شبابنا يتجه إلى التجريد في معظم توجهاته الفنية سعياً إلى الغموض ليس إلا، مبتعدين عن الواقع واحتياجاته، ما وجهة نظرك حول الموضوع؟

علينا ألاّ نلومهم، فالمجتمع هو من وضعهم في هذه الأزمة بطريقة تفكيره وكثرة عقباته، تاريخنا العربي والإسلامي القديم كان راقياً في هذا الاتجاه وعبّر بثقة عن فكره الفني والحسي، لكننا في الأردن ما نزال مبكرين في الحديث عن هوية فنية محلية تمتلك مفرداتها الخاصة في ظل وجود أنصاف مثقفين لا يراعون الجانبين الفني والثقافي، والأكثر إيلاما أننا غرباء عن أحاسيسنا.

• أعمالك تظهر تأثراً واضحاً بالموروث العربي والإسلامي، لكنك كنت بعيداً عن التاريخ الحضاري الخاص بالأردن، فما السبب؟

ينصبّ كل تركيزي على الإنسان الذي يعيش في المكان وعلى مشروعه وانجازه الفكري، ولا أحب أن أكون سجيناً لشكل فني معين وتصور خاص به، فالنحاتون العراقيون مثلا كانوا سجناء للفن الرافدي والمصريون كانوا سجناء للفن الفرعوني، والأردن لو صوّرت لكانت متحفا فنياً مفتوحا، لذلك أنا أنتمي لتجربة ومعاناة الإنسان الحاضرة لأن الفنان هو الناطق الرسمي باسم عصره، فإذا كنت مؤهلاً لهذه التسمية وممثلاً لهذا الجيل فعلي أن أكون ناطقاً عن هذا الإحساس.

وأركز عادة على الفلاح الذي عانى من كل شيء وأولها الهجمات الاستعمارية الشرسة، فانا أبحث في تاريخ وحضارة الوطن التي شكلها الإنسان دون أن أحصر نفسي في فترة تاريخية زمنية معينة كالأنباط أو العمونيين، كما أن الرجل البدوي الملثم هو رمزي الخاص للتعبير عن المواطن في بلدي، هذا الإنسان الطيب الذي راح ضحية للعولمة بأنواعها.

• هل قدمت كل ما تطمح إليه، وهل اكتمل مشروعك الفني؟

بالطبع لا، فالطريق ماتزال طويلة والعولمة وتهديدها للهوية البشرية هو محوري الخاص الذي أعمل عليه باستمرار في هذه المرحلة.

---

*عضو هيئة التحرير

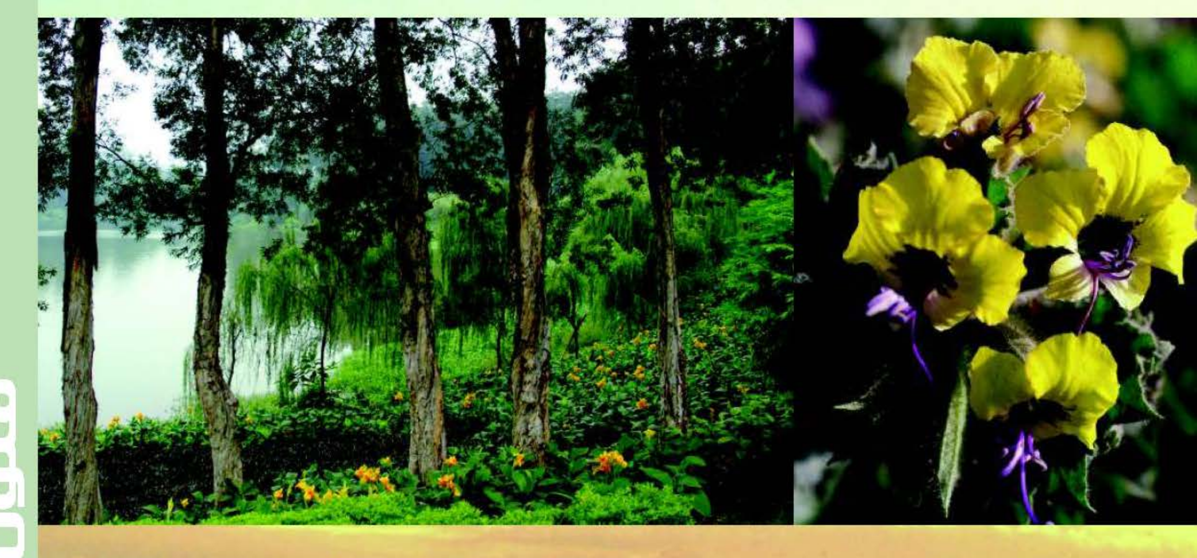


صوَّر وجه الأنثى فانتقدوه.. فعوّض بالزهرة

الفوتوغرافي حتّر: الطريق إلى الزهرة محفوفٌ بالأفاعي

حاوره: إبراهيم السواعير *

في مُخيّم وزارة الثقافة الأخير في رم شدّني وهو يتحسس الأزهار البريّة، ويتحرّاها، كانت أنفاسه لا تنطفئ إلا على الزهرة "الأنثى"؛ وإذ تتفتق وردة، كنتُ أعلم أنّ فؤاداً هناك، وكنتُ أتخيّله عريساً تغمض عليه جنباتها، أو جنّياً شديد الخبرة بالتلبّس؛ قلتُ له: يا فؤادُ "تورّطتَ"؟!.. قال: لبيك!



بيني وبين الزهرة اختبار حسن نوايا، وهي لا تتبرّج لي في طقسٍ اعتيادي، كما أنها ليست بالمتناول دائماً

“ كثيراً ما يحزنني أن يقول الناس: ما لهذا المصوّر يدور من جبل إلى آخر؛ يبحث عن الزهور وهي في محلات تباع في المدينة!

.. في إحدى الحفلات أجبروني على تصوير الرجال؛ و"سحبوني" من قاعة النساء، فاعتذرت: (عمي الكاميرا ما بتصوّر الزلام!)"؛ وإذ همّني أن تَحُول بيني وبين الوجوه العاداتُ، فأُمنع من تخليد التفاصيل، عوّضتني الزهرة عن الأنثى، فأرسلتُ عيني في حناياها، أفتش عن ذلك المخبوء، ومنذ ذلك وأنا في "الجنة" لا أموت!





على حوافّ سيل الزرقاء1942 ولد حتّر، وكان وأقرانه في الخمسينات من القرن المنقضي: أطفالاً يخرجون إلى الدنيا، لا يعرفون معنى الهمّ، ولا كيف يذوب الرأس بياضاً في الليل الأبهم.كان الهمُّ الأكبر ضمة أسلاك تتدحرج؛ أو جرياً خلف صبياتٍ يتبعن سراباً أبلج.

قال:.. وكانت سنّارة "ياشيكا" اليابانية، الكاميرا، تنفلت من بين يديّ، تطارد سمكة السيلِ حيناً، وتتلصص على جسد فتاةٍ حيناً آخر؛ فتسرق من نعم الجمال ما تستطيع،.. قال: وكنا وكنتُ وكان على الحياة أن تستمر.

• ما طقوس الدخول إلى الزهرة، والولوج إلى أسرارها؟!

- حين تدور حول الزهرة؛ تعاينُ، تدركُ أنّها لا بدّ تضعف؛ غير أنّ تمنّعها يولّد في عروق المصوّر جيوشاً من التخيّلات: كيف يغافلها وهي طازجة، أو كما نقول بلغتنا وهي على هيئة "فريش"، وأجمل اللحظات عندي هي أن تتفتّح لي حديثاً؛ بمعنى ألا تذبل أو يتغيّر ملمسها في عيني، عندها لا مفرّ من المباغتة، واقتناص اللقطة البكر.

• ولكنّي لاحظت مصوّرينَ يندبون جذعاً مكسوراً، أو غصناً بلغ منه الجفاف كلّ مبلغ، ومزّقته العاديات. هل يحزنك ذلك؛ فتصوّر الوجه الآخر الشّاحب، المليء بالندوب؟!

- يمكن أن تُحيل ذلك على الشيخوخة، وتبدّلِ الحال، وفعلِ تصاريف الزمان، والشجرة أو الزهرة ينتابها ما ينتاب الآدميين من ضيق حال وشحوب لون ووهن عظام.

> "صحيحٌ أن "الزوم" يجيء بالصورة، ويسهّل المراد، غير أنه لا يشفي غليل المصور مثل الوضع الطبيعي بأبعاده النسبية"

• هل اكتفيتُ؟!

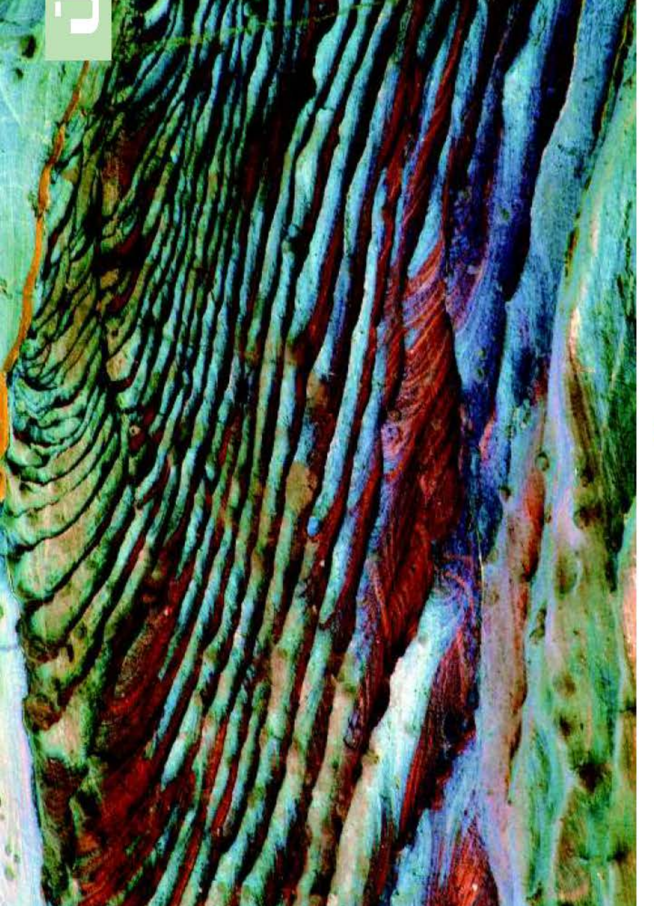
- هل من مزيد!..

يستلزم زيارتين أو ثلاثة حتى تطمئنّ إليّ، وهي لا تتبرّج لي في طقسٍ اعتيادي، كما أنها ليست بالمتناول دائماً.

وعلى أيّة حال فإنّ أزهاري تفرحني وتفرح مؤسسات كثيرة يؤمن أصحابها بجديّة المسعى، وأذكر: البنك الأهلي مثالاً، وأمانة عمان، وأشكر للوزارة مخيماتها الإبداعية كلّ عام.



● **سمعنا أنك تعلن الحرب على من يقصف زهرةً؛ فيصورها في غير بيئتها؛ فتبقى الصورة وتموت الزهرة؟!..**



وإذا كنتُ أطمح من وراء مخيّماتي الفوتوغرافيّة أو تهوّمي في الجبال أن أودع زهوري كتاباً يزهو بعين مُتأمّله، فإن النشوةَ لم تحن بعد؛ فما تزال زهورٌ جميلات في خدرٍ بعيد لم أصل إليه بعد، ومع أن عيني تشرّبت نحو ثمانين بالمئة مما رأيت، فإنّ العشرين بالمئة الباقيات أزهار شاردات قلقات، ما فتئنَ في بلادٍ بريّة، لم تطمثهنّ عينُ مصوّر بعد.

● **لا بدّ أن الرحلة تحتاج مالاً؛ وأيّ مال؟!**

– نعم!.. وأرجو أن تتخيّل كيف لي أن "أرود" المنطقة مرّات؛ و"ليس الذي يرعى النجوم بآيبٍ"، ويكفي أن تعلم أنّ الزهرات النادرات البعيدات الساكنات المنتظرات من يفكّ أصفاد الحبس ليس من اليسير مراودة الطبيعة عنهنّ، وكم ذبلت زهرةٌ في رم حال بيني وبينها البعد، وكم هو موجعٌ أن تقف "المادّة" سدّاً أمام رغباتي في الكشف، فبيني وبين أزهاري لا بدّ من اختبار حسن نوايا، وذلك

- إنّ "تدجين" الزهرة مفجع؛ ألا يحزنك النمر؛ يخنع في "السيرك"، وقد كان في البريّة عاتياً، فكيف يغافله الصبيان بالضحك، وهو من هو: النمر!

إنّ الزهرة البريّة في عيني جامحة، ولا بد أن تفقد حقيقتها المذهلة إن لعبت بها العيون وقلّبتها الأيدي، وأعتقد أنّ برّيتها تمنعها من التلوّث، وهي عندي أنثى طبيعية، تكتنز بكل ما هو طبيعي، ولا تنس أن الطبيعيّ لا يحتاج أصباغاً؛ ومن هنا كانت البريّة مُتنفّساً رحيباً نقيّ الفضاء.



• لا بدَّ من محميّاتٍ للزهور أسوةً بالمحميّات الأخرى؟!

- نعم. ويشكر كل فنان جلالة الملكة رانيا العبد الله على رعايتها محميّة أزهار في "تل الرّمان"، ونعلم أن جلالتها تحب الأزهار وهي مهتمّة جدّاً بها، وحلمي أن أهدي جلالتها مجموعةً كبيرةً مما وقعت عليه عيني من أزهار نادرة.

• لا بدَّ لكل مغامرةٍ من طرائف!.. حدّثنا كيف تتوسّد الأرض جسداً دون حراك حتى تظفر باللقطة المناسبة؟!

- أذكر أنّ صديقي عصام طنطاوي مازحني ذات مرّة: إذا قيل إن فؤاداً في المستشفى؛ فلا بدّ أن أفعى اقتحمته، أو زلّت قدماه، أو هوى من فوق جبل!

وفي الواقع فإنني حين أغذّ الخطى للزهرة لا يباريني أحد، ولا يلحق بي رفيق، وإذا أردت أن أصوّر حالي حين مباغتتي الزهرة فإنني أكتم أنفاسي ولا أحس بما حولي، وأنا أبحث عن نقطة "الأمان"، في الزاوية المنشودة.

أما ما صادفني في سبيل الزهرة فكثير، بعضه مضحكٌ جدّاً: أذكر أنني كنتُ أصوّر "الترمس البرّي" قبل سنتين، وهو نباتٌ برّيٌّ نسميه "لوبين"، ويكثر في الفحيص، وإذا كان لونه الأزرق المائل إلى الكحلي هو المعهود عند الناس، فإنني صوّرته بلونين إضافيين: الأبيض والبرتقالي النادرين جدّاً.

يومها كنتُ مشغولاً بما جئت لأجله، وكانت حولي سلسلة حجريّة بُنيت بانتظام؛ وفيما أنا سامدٌ في ملكوتي، اهتزّت بجانبي أفعى ضخمة بحدود الثلاثة أمتار، ما تزال ألوانها الدّاكنة تثيرني، أفزعها صوت الكاميرا ساعة إطلاق عدستها، وإذ طارت من أعلى السلسلة على ارتفاعها، صمتُّ، ولم أدر ما أفعل!

ويبدو أن الطريق إلى الزهرة محفوفٌ بالأفاعي: في أحد جبال السلط شُغفتُ بزهرة" ستيرن بيرجيا"، وهي زهرة صفراء نادرة، تكاد تكون برتقاليةً، ومعظم أهلنا في الفحيص لا يعلمون عنها، وكانت المفاجأة: كان ثمة فحيح، وكانت قدمي تتوسط أفعى؛ غير أنها ربما كانت مسالمةً، فآثرت السلامة، وانزلقت إلى جحرٍ قريب، عندها أحسست، فعلاً، أنها عاتبتني، ولكن!.. المشكلة أنني غيّرت وضع العدسة إلى ما نسميه "زوم" لأنّي لم أستطع أن أعود سيرتي الأولى؛ صحيحٌ أن "الزوم" يجيء بالصورة، ويسهّل المراد، غير أنه لا يشفي غليل المصور مثل الوضع الطبيعي بأبعاده النسبية.

> "وفي محاضراتي أنصح ألا تسطو البناتُ على الزهرات فيجففنها في كتب، لأنّ أنانيةً تفضحنا ونحن نفعل ذلك!"

● ومن الناس!..لا بدّ أن كلاماً سمعته؛ وهو على أيّة حالٍ لا ينال من المبدعين!





- تندّر مني مختارنا ظاهر حتّر، مع أنه كان يحبني، والعجيب أنه كان يطلب مني أن أصوّره، وأنا أنتمي لفئة راقية في المجتمع، هي فئة الفنانين، وانتم إخواننا الكتاب والأدباء ألا تتعرضون لوابل من الشفقة! وأصارحك: كثيراً ما يحزنني أن يقول الناس: ما لهذا المصوّر يدور من جبل إلى آخر؛ يبحث عن الزهور وهي في محلات تباع في المدينة؛ والأشدّ أن هؤلاء لا يشعرون بما أشعر به من فرحة الاكتشاف، أو لذّة المعرفة.

• يستخدم شبابنا "موبايلات" لا تحتاج عياراً؛ بمعنى أنها تلتقط الصورة، وتتداولها؛ فتنتشر بتقنيات "البلوتوث". أين عدسة الكاميرا وسط كلّ هذا الضجيج الذي نزع الخصوصية، أعني الجمالية، وابتذلها في أعين لا تَميز، باتت عاكساً للعادي؛ غير المستفز؟!

-أعتقد أنّ "الموبايل" يمكن أن يدرّب صاحبه، ويدفعه لأن يبحث عن الجودة في عدسة أكثر ملاءمةً، وصدّقني إنّ العين حين تُغرم باللون لا تشبع من دلالاته، بل إنّ الانتقال من مرحلة إلى أخرى يدفع بالمستجدّ إلى أن يزهد بما في يديه؛ فيلاحق "الكاميرات"، وهو ما نريده، فيتخصص، ويحترف- إن أراد.

• حدِّثنا عن الجمعيّة الأردنية للتصوير.

- نسعى في جمعيتنا إلى نشر ثقافة الصورة؛ ويسعدنا أن تنتشر "الكاميرات" في الأردن، وأن تسطو على مواطن الجمال ولدينا منه في بلدنا الكثير، ولكن ذلك لا يكون إلا بالعين الثاقبة الصبورة، غير الملولة.

وقد ولدت فكرة تأسيسها بمبادرة من مجموعة من الهواة ومحترفي فنّ التصوير الضوئي، فتشكّلت هيئة تأسيسية من خمسة وعشرين عضواً؛ بلوروا نظام الجمعية الأساسي، وكانت رعاية حركة التصوير في الأردن مادةً رئيسيّة فيه، وفي شباط 1994 تسجّلت الجمعية رسمياً في وزارة الثقافة.

وهنا فإنني أودّ أن أبيّن الدور الكبير لرئيسة الجمعيّة سمو الأميرة منى الحسين،

• تجَـوّلْ بنا في زهـور الأردن ونباتاته البرية، وما حكاية "البلاك آيرس" أو زهرة الأردن الوطنية؟!

جـواب: مـن تطوافي يمكنني القول إنّ الأردن يضمّ ما مجموعه 2400 نـوع من الأزهـار والنباتات البرية، وإنّ 15 نوعاً انقرضت وغابت عن العيون، ولديّ أزهار لم أجدها في أيّ مرجع.

ودعني أوضّح أننا كثيراً ما نخلط بين الزهور في أنواعها؛ فنطلق على الدحنون شقائقَ النعمان أو على شقائق النعمان





الداعمة بقوة لجمعيتنا. والدور في الجمعية يجب أن يستمر، وسواء كنت أنا رئيساً أم جاء غيري فإن الجمعية هي الجامع لزملائنا: هوايةً وتخصصاً واحترافاً.

• كيف ترى ما هو موثَّق في "الزهور" بين الصورة والمعلومة الشّارحة؟

- الكتاب الذي أشتغل عليه أتوخّى فيه أن يكون فنيّاً؛ لأنّ ما هو موثّقٌ للزهور عندنا محدودٌ جداً، ولكنّي أذكر كتاباً صدر عن جامعة اليرموك فيه تركيزٌ أكبر على المعلومة لا الصّورة؛ فإذا كانت الصورة ضعيفةً غير واضحة فإن خيراً كبيراً يمكن أن يضيع، وفي الجامعة الأردنية طالعت كتاباً لا بأس به، غير أن الصور جاءت محتشدةً في الصفحة الواحدة، وهو ما جعل من تبيّن مواطن الجمال فيها أمـراً مقلقاً؛ لا سيما حين تحتوي الصفحة الواحدة أربع صور!

الدحنونَ، فشقائق النعمان تزهر أوّل الشتاء وتتوزع على أربعة ألوان: الأحمر والأبيض والأصفر المائل إلى البرتقالي والبنفسجي. ولعلّنا دائماً نركز على اللون الأحمر، بسبب من ندرة الزهرة في ألوانها الأخرى. أما الدحنون "Poppy" فذو لون واحد وهو أحمر ونراه في نيسان، وزهرته رقيقة.

وفي ما يخصّ زهرة الأردن الوطنية "Plack Iris" أو الزهرة السوداء، فإنها نادرة جداً في المناطق الأخرى ومتوافرة بكثافة في الأردن، والخوف كلّ الخوف من انقراضها. والمبكي أنّ كثيراً من أهلنا يتشاءمون منها لسوادها، وهو تشاؤمٌ قد يكون مصدره أسطورة أو تناقل تراث فيه من الخرافة الشيء الكثير. وقد أخبرني المصوّر زهراب أن المغفور له الحسين بن طلال طيّب الله ثراه أعجبته الزهرة قبل 25 سنة في جنوب الأردن، فسمّاها زهرة الأردن الوطنية.

وعندي 1000 صورة من البلاك آيرس، وأعشق هذه الزهرة وأهتم بها كثيراً، ولديّ أكثر من نوع منها. لدينا أيضاً سوسنة أم قيس في المنطقة الشمالية، وهي مائلة إلى اللون الباذنجاني، ولدينا، كذلك، السوسنة البيضاء التي انقرضت في الجبال.

السوسنة البيضاء لي معها حكاية، وهي أن قريباً لي كان كثير التردد على الأغوار، فأخبرني بشيءٍ يلمع؛ فتبيّنه فوجد زهرة. ولما دفعني الفضول إلى معرفة هذه الزهرة وجدتها السوسنة البيضاء.

• الزهرة في وطنها تورق؛ تماماً مثلنا نحن البشر!

– نعم، وأكره أن أغرّب زهرة، أو أشتت



أوصال مجموعة نبات، ولنا أن نسأل: لماذا نجد زهرةً ما في مكان ولا نراها في مكان آخر. ولعلّ في نظرة أهلنا إلى السوسنة السوداء زهرةً تجلب الشؤم، فيه فائدة، وهي أن أحداً لا "يمدّ يده عليها بأذى".

وفي محاضراتي أنصح الأساتذة ألا تسطو البناتُ على الزهرات فيجففنها في كتب، لأنّ أنانيةً تفضحنا ونحن نفعل ذلك.

ولا بدّ أن يجد المهتمُّ في الزهور غرائب وأعاجيب، فنوعٌ يسمى "زعموط" أو "ركف" أو "سايكلمن" يخرج من صخرةٍ وكأنه يحمي نفسه، وهناك أنواع من الزهور يعتقد الأطفال أنها "بطاطا" فيسطون عليها متلذذين بالاكتشاف، مع أنها شديدة السمّية، وهنالك نوعٌ ذو شوك يدفع الأذى عن نفسه، وتمتد جذوره بين الصخور فلا تنال منه الأيدي، ومن الأزهار ما هو "دبق" ويسمى "سوكران يلتصق بيد قاطعه فيجبره على تحاشيه، ومن الزهور ما نسميه "السّت المستحيّة"، وهي فاغرةٌ فاها تتغذى على كلّ طارئٍ من الحشرات، وأرجو أن تتعجب معي

من دلالة الاسم، وللعلم فإن هذه الزهرة لا وجود لها في الأردن.

ولا أريد أن أخوض في حقائق علمية، وقد قرأت مؤخراً عن نقص العسل في أمريكا، لأنّ النحل أصابه الوهن فمرض؛ فقلّ، فشحّ اللقاح.

• **سمعنا عن نساء يُطربن الزهرات بالموسيقى، ويعتقدن أن تمايل الزهرة يجلب الحظ ويفتح الصباح!**

جواب: هل سمعت بالأبقار الحلوبة التي تدرّ بالموسيقى؟! وأنا لا أتعامل مع الزهرة إلا بوصفها حيّةً ذات عروق.

• **ألم يدفعك إحساس الزهرة المرهف- كما تقول- إلى التدفق بالشعر، والتغني باللون؟!**

-ليتني فعلت! ومع أني حاولت أن أكون شاعراً بالكلمة، ومع أنّ صديقي زهير قندح نصحني بالقراءة والاطلاع على فنون الشعر وتطويع اللفظة إلا أنه لم يرض عن شعري، وأنا كذلك لم أرض عن ممارسته السباحة، وقلت له: لن تستطيع السباحة كما قال لي إنني لن أكون شاعراً أبداً.

ولكنّ التصميم هو أساس نجاح الفنان، وما أزال أذكر أنّي طلبت من صديقي عصام طنطاوي أن يعلّمني الرسم، فسأل بماذا تودّ البدء، فقلت بالزهرة، فقال: اخترت الأصعب.

• **هل قارنت يوماً زهورنا بزهور المحيط؟!**

-نعم، وفي ذلك من الطرائف الكثير؛ أذكر أنّني كنت وأقاربي في طريقٍ سريع "هاي وي" في نورث كاليفورنيا، وفجأةً صرخت: قفوا!

> **"أكره أن أغرّب زهرة، أو أشتت أوصال نبات، ولنا أن نسأل: لماذا نجد زهرةً ما في مكان ولا نراها في آخر؟.. أليس هو الوطن؟!"**



ووسـط الـذهـول بـتّ أتـلـمـس عـلـى مـرأى مـنـهـم زهـوراً على جانب الطريق بمـسـاحـة دونم، فرأيت زهـوراً تشهق الـواحـدة مـتـراً، فجلبتها معي صوراً، وعلمت أنها نوعٌ من شقائق النعمان، ولكنها تختلف عما هو عندنا.



وفي تايلند ذهلت بزهور "الأوركيد" ذات المئة نوع عندنا في الأردن، مع أنها زهور بريّة نادرة، وعجبت كيف يزرع في تايلند بين البيوت وداخلها. والقائمة عندي تطول بين أزهار الصين، وأميركا، وهونج كونج وغيرها.

• حصلتَ على جائزة أفضل صورة في زهرة "الكُبَار".. عرّفنا بالكُبَّار؟!

- هي زهرة ونباتها فيه شوك، وقد يعلو مترين، وينتشر على حواف الطريق، ويزهر في الربيع، وزهوره جميلة جداً، وكثيرٌ من الناس لا يلقون للكُبّار بالاً، ويُطلق عليه بالإنجليزية "Cyber".

• يقال إنّ الفحيص ذات طبيعة خاصّة؛ وعائلتكم "الحتاترة" عائلة مثقّفة في الفكر والفنّ والأدب.. بماذا أمدتك الطبيعة والعائلة؟!

- أسابق في صعود الجبل، وأفرح بربيع الأمل، وكلما استفزّني عصفور يصدح أفلتَ من قبضة عدستي؛ لأنّ "الزوم" لا يرضي غروري في صيده، فتكون مناجاة. وصدّقني إنّ بين ضلوع كلٍّ منا بركانٌ من الألم والأمل والتّأمل ليس شرطاً أن يثور!

أما العائلة الفحيصيّة "آل حتّر" فيتنازع عليها الفن والأدب والفكر: صخر وسيمون في الموسيقى، بل إنّ فرقة إحياء التراث جلّها من "الحتاترة". ولا تنس سمعان وفائق حتر المطربين في أمريكا، والفنانة جاكلين حتّر، واشتغالنا في البنك الأهلي على توثيق الدراسات الأردنية في الفكر والفنّ والأدب.

• هل للطفولة بعض إرهاصٍ فيما ذهبتَ إليه؟!

- طفولتي عاديّةٌ جداً، عشتُ مثل أيّ أردني في كنف والديّ، وكان أبي في الجيش العربي، وبدأ شقائي منذ أن فقدت أبي وأمي وأخي مبكراً؛ وبقيتُ من رائحتهم أختٌ سافرت.

---

* محرر المجلّة



النقد الاكتواري



أ.د. علوي الهاشمي *

من خلال تجربتي الطويلة في التفاعل مع الشعر العربي، خلصت إلى النظر إلى هذا الجسم الشعري الممتد عبر القرون نظرة أستطيع أن أسميها: النقد الاكتواري، وأعني به الارتقاء على ما هو موجود، والبحث في كل مرحلة عما فيها مما ينبئ عن المرحلة التي تليها حتى نصل إلى استشراف ما سوف يوجد، ونتوقعه من خلال ما كان موجوداً فعلاً، ومن هنا فالنقد الاكتواري هو التعامل مع المستقبل الغامض المجهول من خلال سيرورة ما هو متحقق عبر العصور.

فقصيدة العمود المكدسة في الشعر العربي على مدى مئات السنين كانت يتحرك في رحمها إرهاصات قصيدة التفعيلة، وكان من الممكن العثور على هذه الإرهاصات موزعة في مواقع كثيرة، ومن خلال تجربة القصيدة العمودية ولدت في الأربعينات وما قبلها وما بعدها قصيدة التفعيلة . إن ولادة أخرى من رحمها توشك أن تكون، وهناك ما يدل عليها في مواقع كثيرة، فكانت الولادة القادمة هي قصيدة النثر، التي أثبتت أنها ولادة منتمية إلى

ذلك الجسد الممتد منغرسة فيه طالعة منه، وسادت قصيدة النثر المشهد الشعري الحاضر، ومن وجهة اكتوارية كان من الممكن التنبؤ بقصيدة النثر، وكان أن أثبتت الأيام صدق هذه التنبؤات.

وقصيدة العمود تشكل الجزء الأعظم من الجسم الشعري العربي وأقل من ذلك قصيدة التفعيلة، وأقل جداً قصيدة النثر التي هي رأس رمح القصيدة العربية في سيرورتها نحو الأمام ، هذا الرمح جسمه الأكبر قصيدة العمود وجسمه الأصغر قصيدة التفعيلة وتجيء في طرف السنان وفي الجزء الحاد قصيدة النثر رأس الرمح المتجه إلى المستقبل.. وهو رأس عضوي من الرمح لا مركباً بفعل فاعل كما قال المتنبي.

وبالتحليل الإكتواري فإن قصيدة النثر هي حفيدة العمود وابنة قصيدة التفعيلة وهي التي تشق طريق الشعر إلى المستقبل ، وحيث لا بد أن تنفتح على شعر لا يعلم إلا الله ما شكله وما سيكون في المستقبل، إنها الفراشة التي انطلقت بعد طول إقامة في الشرنقة ، وهي قد هوّمت وفي رجلها خيط من الحرير.. لكنها تتخذ المستقبل ميداناً فسيحاً لها؛ تجمعت من شعر الكهان، ثم نصوص القرآن التي هي أقرب إلى النثر في شكلها اللاوزني، وفي نثر الصوفيين، وفي النثر الفني عند الريحاني وجبران وغيرهم.

وهذا يمكن النظر إليه على أنه تحلل البنية الشعرية في كيمياء النثر الفني، وتحمل جينات ما قبلها للآتي بعدها. والسؤال:

اكتوارياً؛ كيف ستكون القصيدة القادمة بعد قصيدة النثر وما هو مستقبل الشعر؟؟!

إن قصيدة النثر كما أتوقع ترجع الشعر إلى أصل تكوينه أي إلى الشعرية الخالصة وتحرره من كل ما علق به عبر رحلتة الطويلة، من وظائف جعلت الشاعر كساعي البريد يحمل رسائل الآخرين ولا يحمل رسالته هو إلى نفسه.. إن الشعر بعد قصيدة النثر سيحمل رسالته الخاصة به ويصبح له عنوان غير عناوين الآخرين. ويتخلص الشعر من اللاشعرية. وفي النثر أنت تصل إلى قمة الشعر متحللاً من ضغط القيود والقوانين، ولذا قالت سوزان برنار: قصيدة النثر قصيدة مجانية أي لا غرض لها ولا غاية خارج نفسها ولا تذهب إلا إلى ذاتها ويتحول الشعر العربي بعد قصيدة النثر إلى قمة الشعر الصافي الخالص.

ولأن ما بعد قصيدة النثر هي الشعرية الصافية فهي التي ستذوب في سواها من الأشكال وتمنحها هذه الشعرية الخالصة ويذوب محلولها الشعري في السرد والرواية وفي السينما وفي كل الأنواع وسيكون الشعر حينها كعدسة الطفل صافية يمتد ما خلفها إلى ما أمامها قبل أن يدركها التعتيم.

اكتوارياً.. سيصل الشعر العربي بعد قصيدة النثر إلى الشعرية المطلقة التي تذوب في كل الأشكال والأجناس.

---

* أكاديمي شاعر بحريني